

هجمات الروم البحرية

على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى

د. عليّة عبد السميع الجندوري

● تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرسكان

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



هجمات الروم البحرية

على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى

د. عليّة عبد السميع الجنزوري

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية البنات جامعة عين شمس



الهيئة المنشورة المسماة للكلمات

فروع الصحافة

١٩٩٩

الإشراف الفني :

محمود الجزا

تقديم

يسرني أن أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب المهم عن « هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى » ، الذي كتبه الأستاذة الدكتورة عليّة الجنزوري ، أستاذة تاريخ العصور الوسطى بكلية البنات جامعة عين شمس .

والكتاب يقدم صفحة مهمة من تاريخ مصر بعد الفتح الإسلامي ، وبعد تحريرها من حكم البيزنطيين (الروم) . فلم تكف الدولة البيزنطية منذ ذلك الحين عن شن الهجمات البحرية على مصر من أجل استردادها ، باعتبارها أغنى أقاليم الامبراطورية امدادا بالقمح » ، أو « مخزن قمح القسطنطينية » - كما كانت تطلق عليها - ومدينة الاسكندرية كانت هي المدينة التالية بعد القسطنطينية في الأهمية ، وبها أعظم كنائس الروم .

وقد قسمت الدكتورة عليّة الجنزوري كتابها الى ثلاثة أبواب الباب الأول ، ويشتمل على فصلين ، تحدثت فيها عن هجمات الروم على الاسكندرية بعد فتح حصن بابلليون ، لادراكهم ان الاسكندرية هي مفتاح مصر الحقيقي ، وناقشت الروايات التي تحدثت عن فتح الاسكندرية ، وعن الظروف التي ساعدت على هذا الفتح . وانتقلت بعد ذلك الى الحديث عن موقعة ذات

الصواري ، أول معركة بحرية خاضها العرب ، وناقشت الروايات التي تحدثت عن موقع هذه المعركة .

أما الباب الثاني ، فقد تناولت فيه الدكتوراة علية الجنزوري هجمات الروم على الشواطئ المصرية حتى الحملة الصليبية الأولى . فعالجت في الفصل الأول هذه الهجمات من عام ٥٣ هـ ٦٧٣ م حتى حملة الروم على دمياط سنة ٩٠ هـ / ٧٠٩ م ، وانتقلت الى دراسة حملة سنة ٢٣٨ هـ / ٨٤٣ م على كريت ، لاستردادها من المسلمين ، وبيّنت أهميتها وأثرها . أما الفصل الثالث فقد تحدثت فيه عن هجمات الروم على مصر من عام ٢٣٨ هـ / ٨٤٣ م حتى وقوع الحملة الصليبية الأولى على دمياط عام ٩٠ هـ / ٧٠٩ م .

وقد تناولت في الباب الثالث التحالف بين الصليبيين والبيزنطيين (ان روم) ضد مصر ، فناقشت في البداية قصة هذا التحالف ، والظروف التي تم فيها في عام ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م ، بعد أن احتلت مصر مكان الصدارة في خطط الصليبيين ، وأختتمت هذا الباب بالفصل الثالث عن الهجوم الصليبي البيزنطي على دمياط سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م .

والكتاب على هذا النحو يرسم صورة تاريخية محققة وموثقة لعلاقات أوروبا بمصر في العصور الوسطى ، بقلم أستاذة مختصة ، وهو لذلك جدير بالقراءة .

رئيس التحرير

د . عبد العظيم رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ،
وَأَن لِّلَّهِ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))

صدق الله العظيم

تقديم

كان المجاهدون المسلمون أشيداء في الحرب ، صامدين للعدو صمود الجبال ، وكيف لا يكون ذلك حالهم وقد كان القرآن شعارهم والتقوى لباسهم حتى شهد لهم أعداؤهم بذلك (١) .

واذا كنا سنتعرض في موضوعنا هذا لجانب من جوانب جهاد المسلمين في سبيل الله في جزء مهم من أجزاء الوطن العربي الاسلامي كله ، ألا وهو مصر ، مصرنا الغالية الحبيبة ، فإننا سنتعرض لجهاد مصر في مواجهة عدو هددتها باستمرار من جهة البحر لا البر ، فماذا كان مصيره ؟ وماذا كان موقفها ؟ ثم لماذا هذا الاصرار على الهجمات البحرية بالذات على الشواطئ المصرية طوال العصور الوسطى ؟

هل كان ذلك راجعا الى أن هذا العدو الممثل في الروم (٢) « البيزنطيين » أدركوا أن العرب قوم مراكبهم الخيول وأنهم يجهلون ركوب البحر ، وأن العبرة ليست بامتلاك شواطئ طويلة تمتد بحذاء البحر في بلاد الشام ومصر وشمال افريقيا ، وإنما العبرة بالقدرة على الدفاع عن هذه الشواطئ ؟ ، وبعبارة أخرى : هل استغل الروم نقطة الضعف في حركة التوسع العربية إبان الدور الأول من أدوارها ، وهي عدم وجود أسطول قوى يحمي فتوحات

العرب البرية ، لذا شددوا هجماتهم البحرية خاصة على مصر ؟ (٣) وربما أيد هذا الرأي ما قيل عن الخليفة عمر بن الخطاب عندما ألح عليه معاوية بن أبي سفيان في غزو قبرس أنه كتب الى عمرو بن العاص فاتح مصر وأول ولايتها المسلمين « أن صف لي البحر وراكبه فكتب الية : انى رايت خلقا كبيرا يركبه خلق صغير ، ان ركذ خرق القلوب وان تحرك أراع العقول ، . . وهم فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا فرق ، فلما قرا عمر الكتاب كتب الى معاوية « والله لا أحمل فيه مسلما أبدا » ؟ (٤) .

أم أن ذلك يرجع الى اهتمام الروم بالبحر المتوسط « بحر الروم » (٥) والى أن يظلوا دائما سادته ؟

والراجع أن العاملين تضافرا في اصرار الروم على استمرار هجماتهم على شواطئ مصر ، ولو أن تلك الهجمات الدائبة كانت تعنى لدى الروم شيئا آخر أهم وأعمق ، وهو أنهم كانوا يعتبرون مصر « أغنى أقاليم الامبراطورية امدادا بالقمح » (٦) وبمعنى آخر « مخزن قمح القسطنطينية » (٧) بل انها كانت أغنى اقاليم الامبراطورية على الاطلاق وأكثرها قيمة من الناحية الاقتصادية (٨) .

وهذا ما عبر عنه عمرو بن العاص عندما حاول اقناع الخليفة عمر بن الخطاب بفتح مصر حين قال : « يا أمير المؤمنين تأذن لى فى أن أصير الى مصر فانا ان فتحناها كانت قوة للمسلمين ، وهى من أكثر الأرض أموالا . . . » (٩)

لذلك قيل : أنه بعد أن فقدت دولة الروم مصر بعد فتح العرب لها « فقدت مصدر الثروة والقوة واضطرت أن تنكمش داخل حدود منطقة النفوذ الجغرافى للقسطنطينية » (١٠) .

فاذا اضعفنا الى ذلك ان مدينة الاسكندرية كانت تلى في
المكانة القسطنطينية مباشرة ، وربما تكون قد فاقتها في أهميتها
كمركز تجارى (١١) وأنها كانت بها أعظم كنائس الروم حتى أن
هرقل (١٢) امبراطور الروم (٦١٠ - ٦٤١ م) عندما علم بتوجه
العرب بقيادة عمرو بن العاص لفتح مصر قال « لئن ظفرت العرب
على الاسكندرية ان ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لأنه ليس
لروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية » (١٣) .

كذلك كانت مصر « تصنع السفن الحربية لها وللدولة
البيزنطية » (١٤) وذلك بعد انتهاء الدور الأول من الفتوحات .

وحتى عندما استولى المسلمون على مصر وعلى بلاد الشام
« لم تعترف الامبراطورية البيزنطية بضياح هذين الاقليمين بل
اعتبرتهما واقعين تحت احتلال عربى مؤقت . وظلت تلك السياسة
البيزنطية مطبقة حتى ٦٩٣ م - ٧٤ هـ وكان من آثارها أن بيزنطة
لم تقم أى تمييز جمركى ضد مصر والشام لأن التمييز الجمركى
يعنى الاعتراف بأن مصر والشام بلاد أجنبية عنها » (١٥) .

هوامش التّقديم

(١) وصف أحد بطارقة القبط العرب الذين قدموا لفتح مصر فكان مما قاله عنهم أنهم « أقوام قد هجروا الدنيا ، فمنهم القاريء ، ومنهم الذاكر ، لباسهم الصوف ، صغيرهم يوقر كبيرهم وكبيرهم يرحم صغيرهم وصوت أحدهم لا يعلو على آخر ، الذكر كلامهم والقرآن شعارهم والتقوى لباسهم والخوف من الله أنيسهم » الواقدي : فتوح الشام ، (جـ ٢ ، ص ٨٠ - ٨١) .

(٢) يعرف الروم ببنى الأصفر ، والأصفر هو روم بن العيص بن اسحاق (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٩ مادة الروم ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ج ١ ، ص ٩٢) . وسوف نلتزم في معالجتنا للموضوع الذي بين أيدينا بتسمية البيزنطيين باسم الروم وهي التسمية التي وصفوا بها في ظل الإسلام وفي القرآن الكريم ، خاصة أن موضوعنا يتناول هجماتهم على شواطئ مصر الإسلامية .

(٣) د. عبد الرحمن الراعي - د. سعيد هاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص ٧١

(٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٥ ، بل أن أحد المراجع الحديثة ذكر أن عمر أضاف قائلا : أن أي جندي مسلم أعز إلى نفسه من كنوز اليونان جميعا .

«How can I permit my soldiers to said upon this unfaithful and cruel sea ! By God a single Muslim is dearer to me than all the treasures of the Greeks».

Aly Mohamed Fahmy : Muslim Sea-Power in the Eastern Mediterranean, P. 73.

(٥) بحر الروم أضيف الى الروم لسكنى أهمهم عليه من شماليه ، ويعبر عنه بالبحر الرومي أيضا ، وقد يعبر عنه بالبحر الشامي ، لوقوع سواحل الشام عليه من شرقيه ومخرجه من المحيط من بحر أوقيانوس بين الأندلس وبر العدو من بلاد المغرب ، ويسمى هناك بحر الزقاق ، وربما قيل زقاق سبته لجاورته لها ، وهو هناك في غاية الضيق (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١) . وليس في البحار احسن حاشية من هذا البحر فان العمارات في الجانبين ممتدة غير منقطعة وسائر البحر يعرض في شطوطها الفاوز والمقاطع وتتردد فيه سفن المسلمين والروم يعبر كل فريق الى جانب الآخر سواء . فيغنمون وربما اجتمع فيه الجيوش من المسلمين والروم في السفن فيجتمع لكل فريق مائة سفينة حربية وأكثر من ذلك فيكون حربهم في الماء (الاسطخري : مسالك الممالك ، ص ٧١) وبحر الروم عدة جزر ذكرها القلقشندي في كتابه صبح الأعشى ج ٥ ص ٣٧٠ - ٣٧٥ فقال (جزيرة قبرس - جزيرة رودس - جزيرة اقريطش - جزيرة المصطكى - جزيرة التكريب - جزيرة لريا - جزيرة صقلية - جزيرة سردانية - جزيرة فرسقة - جزيرة انكلطرة - جزيرة السناقر - جزيرة ميودقة - جزيرة يانسة وجزيرة قادس) .

G. Ostrogorsky : History of the Byzantine State, P. 95. (٦)

والمقصود هنا الامبراطورية البيزنطية .

Cam. Med. History V. IV. Part 1. P. 19.

(٧)

ويضيف نفس المرجع ص ٢١ أنه بعد فتح العرب لمصر كشفت أمر الأساطيل المحملة بالقمح التي كانت تحمل من الاسكندرية كمصدر أساسي لامداد العاصمة البيزنطية .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115.

(٨)

(٩) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ . ولهذا فعندما فتح عمرو بن العاص مصر واتى خطابه الى الخليفة عمر ، خر ساجدا وكتب الى عمرو « أن يحمل طعاما في البحر الى المدينة يكفي عامة المسلمين حتى يصير الى ساحل الجبار فحمل طعاما الى القلزم ثم حملة في البحر في عشرين مركبا ، في المركب ثلاثة آلاف أردب وأقل وأكثر حتى وافى الجار » (اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٥٤) ومنذ ذلك الوقت استمرت مصر في امداد الحجاز بالقمح . (Aly Mohamed Fahmy : Op, Cit., P. 16).

Louis Bréhier : Vie et Mort de Byzance, P. 57.

(١٠)

(١١) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، ص ٥٢ ، د. وسام عبد العزيز فرج : العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي ، ص ٢٥٦ . هنا تذكر الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر أن تأسيس القسطنطينية أدى الى اضعاف الملاحة المصرية والتجارة الخارجية ، اذ تحولت صادرات الشرق الأقصى اليها من طريق الخليج الفارسي ، ثم جزيرة العرب والشام على ظهر القوافل بدلا من عبورها البحر المتوسط . الا أن ذلك لم يطل أمره ، اذ اضطر الامبراطور جستنيان في القرن السادس الى العودة الى طريق البحر الأحمر والثغور المصرية بعد أن قطع الفرس طريق القوافل الآتي من الخليج الفارسي ، وهكذا عادت للاسكندرية مكانتها الأولى واصبحت أعظم مدن البحر المتوسط ، وفاقت أهميتها كمركز تجاري أهمية القسطنطينية عاصمة الدولة .

(١٢) انبعاث بالرومية أوقليس (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ،

ص ٤١٧) .

(١٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٦ ، المقريري :

الخطط ؛ ج ١ ، ص ٣٠٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(١٤) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ... ، ص ٧٤ .

ويضيف نفس المرجع أن الاسكندرية كانت مقر تلك الصناعة ، وأن هذه السفن الحربية كانت على نوعين ، نوع كبير الحجم ويمكن أن نسميه البوارج ، وتسع السفينة منها ألف رجل ، ونوع صغير ويمكن تسميته الطرادات وكانت الواحدة منها تسع مائة رجل كما كانت مهمتها السير السريع واللف حول السفن الكبرى . وقد ساعد على ازدهار صناعة السفن هذه أن مصر كانت تنبت نوما من الكتان تصلح أليافه صلاحية تامة لعمل الحبال وأدوات السفن ، فقد ورد في كتاب البلدان لابن الفقيه « ومن عجائب مصر نوع من الكتان اسمه (الدقس) كانت تصنع منه حبال السفن وكانت تسمى (القرقس) » .

(١٥) د. وسام عبد العزيز : العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية

والدولة الأموية ... ص ٢٦٣ .

الباب الأول

الروم والشواطئ المصرية حتى موقعة ذات الصواري

- **الفصل الأول : الروم والاسكندرية**
- **الفصل الثاني : موقعة ذات الصواري**

الموصل الأول

الروم والاسكندرية

• عندما فتح العرب حضن بابلليون (١) في ابريل ٦٤١ م (٢) / ٢٠ هـ (٣) كانت الاسكندرية العاصمة (٤) ، هي الجزء الوحيد الذي تبقى للروم في مصر (٥) ، وهو ما عبر عنه الواقدي على لسان المقوقس عندما قال للعرب الفاتحين عندما تقدموا نحو الاسكندرية « ٠٠٠ وقد ملكتم منا مصر والصعيد وأكثر الريف ، وقد بقي في أيدينا هذه الجهة وما نحن منازعوكم فيما أخذتموه منا ٠٠ » (٦) .

وقد مر بنا كيف كانت الاسكندرية تتمتع بمكانة دينية واقتصادية مهمة بالإضافة الى أنها كانت « المركز الأكثر تألقا للحضارة الهلينية والنمط العريق للحياة المصرية الدائم والخالد دون أي تغيير في وادي النيل » (٧) .

وكانت حتى القرن السابع الميلادي تعتبر المدينة الأولى في العالم — اذا استثنينا قرطاجة القديمة وروما — فقد كان فن البناء بها لا مثيل له في أي مكان آخر في ذلك الوقت ولا قبله (٨) . هذا الى أن الاسكندرية كانت كبرى المدن المصرية والمركز الأول للنشاط السياسي والاقتصادي والثقافي طوال عصرى البطالمة والرومان (٩) .

والواقع أن الروم كانوا يدركون جيدا أهمية الاسكندرية التجارية والحربية والبحرية ، ويعرفون جيدا أيضا أنه ان لم يتم استيلاء العرب على الاسكندرية فلا فائدة من استيلائهم على مصر كلها اذ تظل الاسكندرية شوكة في جانبهم (١٠)

بدأ الروم يشعرون بخطورة الفتوحات العربية بصورة أكثر جدية عندما نجح عمرو بن العاص في دخول مصر وبدأ يتقدم نحو الاسكندرية وقد تجسم ذلك الخطر في قول ملكهم هرقل « ما بقاء الروم بعد الاسكندرية » (١١) وذلك عندما أمر بالاستعداد حتى يخرج لقتال المسلمين بنفسه اعظاما للاسكندرية ، ولذا أمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم مؤكدا أنه « ما بقي للروم بعد الاسكندرية حرمة » (١٢) .

وبمعنى آخر أدرك الروم أن الاسكندرية – وليس حصن بابلون – هي مفتاح مصر الحقيقي ، فحشدوا فيها قواهم (١٣) .

واذا كانت المصادر العربية المختلفة قد أفاضت وأسهبّت في الحديث عن فتح المسلمين للاسكندرية ، فاننا نجد أنفسنا مضطرين للتوقف قليلا أمام أقدمها وهو الواقدي ، فنعثر على رأى فريد له في كتابه « فتوح الشام » مؤداه ان قائد فتح الاسكندرية كان خالد بن الوليد (١٤) ، والراجع أن هذا الرأى به شيء من التحريف في الكتابة أو النسخ ، لذا نجد أنفسنا مضطرين الى عدم الاعتماد عليه مطلقا ، خصوصا أننا لم نعثر في أى مصدر (١٥) آخر على أية اشارة تعضد هذا الرأى .

فابن عبد الحكم مثلا يذكر أن عمرو بن العاص كان قد أرسل الى الخليفة عمر بن الخطاب – أثناء حصار بابلون – يطلب المدد « فأمدّه بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام

الألف » وهم الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت
ومسلمة بن مخلد (١٦) .

فلما تقدم عمرو لفتح الاسكندرية (١٧) حاصرها بنفسه
شهرًا ، فلما أبطأ في فتحها بعث إليه عمر بن الخطاب من يستحثه
على فتحها » قد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلمت أن
الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكونوا غيرهم
ما غيرهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فأخطب الناس وحضهم على قتال
عدوهم ورغبتهم في الصبر والنية وقدم أولئك الأربعة في صدور
الناس وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة
ووقت الإجابة » . ففعل عمرو ذلك ونصره الله (١٨) .

ويفهم مما سبق أن القادة الأربعة السابق ذكرهم هم الذين
تولوا فتح الاسكندرية تحت إمرة عمرو . ثم يعود ابن عبد الحكم
فيعطينا رواية أخرى وهي أن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن
مخلد فأشار عليه بأن يختار رجلاً من أصحاب رسول الله له
خبرته وتجاربه ، فيكون هو قائد المسلمين في فتح الاسكندرية
» أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر
القتال ويكفيك » وأشار عليه باختيار عبادة بن الصامت .
وبالفعل استدعى عمرو عبادة وعقد له وولاه قتال الروم ، فتقدم
عبادة مكانه فصاف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه
الاسكندرية » (١٩) .

أما البلاذري (٢٠) فقد فصل لنا الحديث عن كيفية دخول
عمرو بن العاص الاسكندرية عندما ذكر أن عمرا سار حتى انتهى
إلى الاسكندرية (٢١) ، فوجد أهلها مستعدين لقتاله » وكان القبط

يحبون المودة » فأرسل اليه المقوقس (٢٢) يطلب المهادنة الى مدة فرفض عمرو بن العاص « فأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن الى المسلمين ليرهبهم بذلك » . . . فما كان من عمرو الا أن أرسل له قائلاً : « انا قد رأينا ما صنعت وما بالكثير غلبنا ما غلبنا - فقال المقوقس لأصحابه . . . قد صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى أدخلوه القسطنطينية - فنحن أولى بالاذعان ، وأغلظوا له القول وأبو الا المحاربة . . . » فما كان من المقوقس الا أن تصالح مع عمرو بن العاص فبلغ ذلك هرقل ملك الروم « فسخط أشد السخط وأنكر أشد الانكار وبعث الجيوش فأغلقوا ابواب الاسكندرية وآذنوا عمرا بالحرب » (٢٣)

هنا نتوقف عند خطاب هرقل الذي أرسله كتعبير مباشر ورد قاطع على موقف المقوقس من المسلمين وكيف أن هرقل كان يستبعد أى تصرف من المقوقس ينتج عنه التنازل ولو عن شبر واحد من أرض مصر ، الى جانب ما تضمنه من استخفاف بقوة المسلمين . وفى نفس الوقت نحس فيه بمدى صدق أحاسيس المقوقس وبعد نظره فى الحكم على المسلمين الفاتحين الذين باعوا الدنيا بالآخرة . فقد جاء فى خطاب هرقل للمقوقس : « . . . ان عندك من الروم بالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة . . . فعجزت عن قتالهم » (٢٤) . فما كان من المقوقس الا أن عقب على هذا الخطاب بقوله : « والله انهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا . . . » (٢٥) .

والحقيقة أن المقوقس كان قد طلب من عمرو ثلاثة أمور : الأول الا ينقض الصلح مع القبط لأن رأيهم مثل رأيه « قد جعلت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك فهم متمون لك على ما تحب .

والثاني الا يصلح الروم بعد ذلك وأن يجعلهم « فيئًا وعبيدا فانهم أهل لذلك » وأنه برىء منهم . والثالث أن يأمر بدفنه بالاسكندرية فأجابته عمرو على ما طلب (٢٦) . على أن يقيموا له الجسور والانزال والضيافة والأسواق من الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا ذلك « وصار القبط معهم يعاونونهم على قتال الروم » (٢٧) .

والواقع أن (كيرس) بعد أن عقد الصلح مع عمرو بن العاص قرر ان يبعث الى الامبراطور هرقل بشروط الصلح فان أقره نفذه ، وبمقتضى هذا الصلح قبل البطريك كيرس الاستسلام ودفع الجزية ، وأن تتوقف الأعمال العدائية ، غير أن بيزنطة تلقت الرسالة لقاء بالغ السوء ، ودعا هرقل كيرس الى القسطنطينية ليشرح له موقفه الذي بلغ في نظره حد الخيانة . وأساء الامبراطور استقبال كيرس ، وجعل الأخير يدافع عن نفسه قائلاً ان ما عرضه من دفع الجزية لهم - أى للعرب - يمكن تدبيرها بما يقرره من ضريبة على متاجر الاسكندرية وسلعها . ولوح بأنه عرض على عمرو بن العاص أن يتزوج ابنة الامبراطور المسماة Eudoca أملاً في أن يؤدي هذا الى اعتناق عمرو للمسيحية ، غير أن الامبراطور اشتد في لوم (كيرس) ، لأنه فرط في ذهب مصر الى المسلمين واتهمه بالخيانة وأمر بعزله وسلمه الى حاكم القسطنطينية فأنزل به المهانة ثم نفاه من البلاد (٢٨) .

أما الطبري فيعطينا رأيين عن كيفية اتمام عمرو بن العاص فتح الاسكندرية ، أولهما نقله في الأصل عن أحد جنود الجيش الذي اشترك مع عمرو في فتح مصر والاسكندرية ، ذكر فيه أنه بعد فتح بابلين ووصل الجيش الى بلهيب ، وهى قرية من قرى الريف يقال لها قرية الريش ، وكانت سبايا المسلمين قد بلغت المدينة ومكة واليمن . فأرسل صاحب الاسكندرية الى عمر يقول :

« انى قد كنت أخرج الجزية الى من هم أبغض الى منكم معشر العرب ، لفارس والروم ، فان أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد ما أصبتم من سبايا أرضى فعلت » .

فاستأذنه عمرو في ان يأخذ رأى الخليفة عمر في ذلك الأمر « ان ورائى أميرا لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه » وبالفعل جاء رد عمر بأن يرد لهم سباياهم ويأخذ منهم الجزية « لعمري لجزية قائمة تكون لنا ولن بعدنا من المسلمين أحب الى من فيء يقسم » وأن يخيروا ما بأيديهم من السبى بين الاسلام ودين قومهم ، فمن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه . أما من وصل الى مكة والمدينة واليمن من السبى فلن يستطيع رده . فوافق صاحب الاسكندرية على تلك الشروط وفتحت الاسكندرية (٢٩) .

أما الراى الثانى فيقول : انه عندما وصل عمرو بن العاص الى بابلين ولحق به الزبير « لقيهم هناك أبو مريم جاثليق مصر ومعه الأسقف . . بعثه المقوقس لمنع بلادهم » فقال لهما عمرو « أنتما راهبا أهل هذه البلدة فاسمعا . ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأمره به وأمرنا به محمد صلى الله عليه وسلم . . ثم مضى صلوات الله عليه ورحمته وقد قضى الذى عليه . . وكان مما أمرنا به الاعذار الى الناس فنحن ندعوكم الى الاسلام فمن أجابنا اليه فمثلنا ، ومن لم يجبنا عرضنا عليه الجزية ، . . ومما عهد الينا أميرنا : « استوصوا بالقبطيين خيرا ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانا بالقبطيين خيرا . . » فطلبوا أن يعطيهم عمرو مهلة خمسة أيام ليردوا عليه . فلما رجعا الى المقوقس وأراد أن يجيبهم الى طلبهم رفض أن يردوا « وأمر بمناهدتهم » فلما مرت المهلة دون رد أرسل عمرو

الى الاسكندرية عوف بن مالك فطلب منهم النزول على رأى عمرو
في مقابل الأمان فوافقوا وقال لهم ما أحسن مدينتكم يا أهل
الاسكندرية ! فقالوا ان الاسكندرية قال : انى أبني مدينة الى الله
فقيرة ، وعن الناس غنية — أو لأبنين مدينة الى الله فقيرة وعن
الناس غنية فبقيت بهجتها (٣٠) .

وبذلك يعتبر الطبرى فاتح الاسكندرية هو عمرو بن العاص
نفسه أو قائده عوف بن مالك .

بينما تذكر (Patrologia Orientalis) رأيا آخر هو أن
« قرعة (٣١) أسقف الاسكندرية صالح عمرو بن العاص على أن
يؤدى كل سنة مائتى ألف دينار على ألا يدخل المسلمون مصر
ولا صعودوا حدودها » على أن يعد الأموال ويرسلها لهم ، وأن
(قرعة) ظل مواظبا على ذلك مدة ثلاث سنوات لم يدخلها أحد من
العرب (٣٢)

والواقع أن هذا أمر بعيد عن الصحة ، لأن العرب لم يرحلوا
عن مصر بعد مصالحة عمرو بن العاص لأهلها .

ثم تضيف (البتروولوجيا) أيضا أن قوما من أهل مصر توجهوا
الى هرقل وأوغروا صدره على (قرعة) وأنه « يأخذ الأموال من
مصر ويدفعها الى العرب . . ويدفع اليهم خراج مصر الذى هو
واجبه له » فغضب هرقل من ذلك ووجه الى مصر بطريقا يدعى
منويل وأمره بعزل قرعة من تدبير مصر وأن يتولى ذلك ويقوم
بالذب عن أهلها .

فلما كان فى أواخر السنة نزل العرب الى مصر على العادة
يريدون الأموال « فألفوا منويل نازلا على مصر مع جيوش الروم »
فأخذوهم وأدخلوهم اليه وسألهم عن أمرهم وحاجتهم فأخبروه

بالقصة فلما علم أنهم يريدون الأموال انتهرهم بغضب شديد
وصرفهم بهوان وقال : « انى لست قرّة الأسقف الذى كان يعطيكم
الأموال خوفاً منكم لأنه راهب متعبد وأنا رجل صاحب سلاح
وحرب وشجاعة كما ترون من حالى ومالكى عندى الا الخزى والهوان .
وانصرفوا من البلد ولا تعودوا اليه والا أتيت على أنفسكم وقد أعذر
من أنذر » .

عندئذ رجع القوم الى عمرو بن العاص فأخبروه بما حدث
« فسار حتى وافى مصر ولقى بها منويل فهزمه وقتل عامة أصحابه
ولحق منويل بالاسكندرية مع من بقى من أصحابه ثم استولى
العرب على مصر » (٣٣) .

هنا تنفرد البتروولوجيا أيضا فى اعطاء صورة لموقف هرقل من
قرّة أو كيرس وكيف أنه عاد يتلطف معه ويعتذر له عما بدر منه
نحوه ، وطلب منه أن يناور المسلمين لأنهم أرسلوا الى الناس
كافة . . « كما أنه عاد فقلده امر مصر » . . ان قوما أعطوني
فيك العشوا ورفعوا التى عنك الباطل . . ان هؤلاء أرسلوا كافة
على الناس . . فان قدرت على مداراة القوم ودفعهم عن مصر
بما عز وهان فافعل . . » (٣٤) .

وتستكمل (البتروولوجيا) روايتها فتذكر ان (قرّة) قال
« كيف أستطيع دفع القوم وقد صرت عندهم كذابا » وما كان منه
الا أن توجه الى عمرو بن العاص واعتذر له أنه لم يكن سبب نقض
العهد ، وأن هرقل هو الذى صرفه عن رايه وطلب منه التفاوض
معه من جديد لأنه لا يثق به « فانصرف قرّة الى الاسكندرية بغير
قضاء حاجة » (٣٥) .

وبذلك خالفت (البتروولوجيا) بقية المصادر فى ان عمرا
وصل الى اتفاق مع كيرس وأن ذلك كان سببا فى غضب هرقل

وتصميمه على الخروج بنفسه على رأس جيش الى الاسكندرية للدفاع عنها ضد المسلمين . وبالفعل تم ارسال قوات كبيرة من الروم الى الاسكندرية فقد « قدمت مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح » (٣٦) .

كانت حامية الاسكندرية تقدر بنحو خمسين ألف رجل (٣٧) . وكانت المدينة غاية في الحصانة « حصون متينة لا ترام حصن دون حصن » (٣٨) بالاضافة الى أن الروم كانوا مسيطرين على البحر بأساطيلهم وكان المدد يأتي اليهم عن هذا الطريق (٣٩) « كانت رسل ملك الروم تختلف الى الاسكندرية في المراكب بمادة الروم » (٤٠) . وبذلك توافرت المؤن بالمدينة (٤١) .

كذلك كانت المدينة محمية من ثلاث جهات ، من ناحية البحر المتوسط شمالا وبحيرة مريوط جنوبا وقناة الشعبان غربا ، ولم يتيسر الوصول الى الاسكندرية الا من جهة الشرق والجنوب الشرقي . على أن المحاصرين لم يكن بوسعهم أن يقتربوا من الأسوار من هذه الناحية ، نظرا لوقوعهم هدفا للرماة من فوق الأسوار ، وزاد من مناعة المدينة ما يحيط بها من أسوار ضخمة تحميها الآلات القوية (٤٢) .

والحقيقة ان أحوال الاسكندرية نفسها ساعدت على فتح المسلمين لها وذلك بسبب سوء حالة جيش الروم بها لتنازع القواد ولانقسام الرأي الاسكندري أثناء حصار العرب للمدينة . وكانت كراهية الناس لبيزنطة السبب الرئيسي للتخاذل والضعف فتخلوا عنها ، اذ اشتد سخط السكان لما جرى من فساد الحكم وثقل وطأة الضرائب وكثرة أنواعها ، والاضطهاد الديني والاضطراب والفوضى الناشبة في البلاد (٤٣) .

يضاف الى ذلك كله اضطراب أمور دولة الروم نفسها بعد موت هرقل في ١١ فبراير ٦٤١ م/ ٢٠ هـ (٤٤) « صرعه الله فأماته وكفى المسلمين مؤنته » (٤٥) . وبذلك كسرت بموته شوكة الروم (٤٦) ووهن أمرهم « فقد رجع جمع كثير ممن كان قد توجه الى الاسكندرية » (٤٧) .

ظل العرب محاصرين للاسكندرية مدة ثلاثة أشهر (٤٨) ، بل قيل : ان حصارها امتد الى أربعة عشر شهرا « تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك » (٤٩) .

أثرت أوضاع دولة الروم الداخلية على قوات الروم المحاصرين في الاسكندرية وسهلت سقوط المدينة في يد العرب . فب وفاة هرقل تولى ابنه قسطنطين وهرقل الثاني ونصبت الامبراطورة مارتينة أم ولده هرقل أو هرقلونس شريكة لهما في الحكم ، فعملت هذه الامبراطورة على انتهاء الحرب لانشغالها وساسة الروم بالفتن الداخلية التي قامت من أجل النزاع على العرش وصادفت سياستها هوى لدى المصريين وبعض الحكام الروم المسيطرين على سير الأمور في مصر ، وعلى وجه الخصوص دومنتيانوس Domentianus الذي كان مواليا للامبراطورة مارتينا ، لذا اجتمعوا واتفقوا مع قيرس - الذي كان قد أعيد الى مصر (٥٠) - على انتهاء الحرب بعقد صلح مع المسلمين . وبالفعل انتهت المساعي بعقد معاهدة بابليون الثانية أو معاهدة الاسكندرية (٥١) وذلك في ٨ نوفمبر سنة ٦٤١ م (٥٢) .

بل قيل أن من أهم العوامل التي ساعدت على عقد معاهدة بين المسلمين والروم أن الفوضى التي سادت العسكريين أدت الى تفكك قيادة الجيوش الرومية المدافعة عن مصر ، وغدا الاستبسال في الدفاع

عن البلاد المصرية ضد الجيوش الاسلامية الغازية حركات فردية يقوم بها هذا القائد أو ذاك . وكان من بين القواد الذين قاوموا الجيوش الاسلامية مقاومة عنيفة القائد مانويل الذى صمد لحصار عمرو بن العاص للاسكندرية ، وكاد يبعث الضجر فى نفوس المحاصرين العرب . وما ان توفى هرقل حتى عم الاضطراب فى القسطنطينية ويثس مانويل من وصول امدادات تشد ازره فى الدفاع عن الاسكندرية وانسحب منها بحرا . فى الوقت الذى منحت فيه مارتينا - صاحبة النفوذ الأعلى فى دولة الروم آنذاك - للمقوقس سلطة مفاوضة العرب فى مصر (٥٣) . وبالفعل قام بعقد المعاهدة التى عرفت بمعاهدة الاسكندرية . وكانت أهم شروط تلك المعاهدة ما يلى :

- ١ - أن يدفع الجزية كل من تنطبق عليه المعاهدة .
- ٢ - عقد هدنة بين الطرفين مدتها أحد عشر شهرا تنتهى فى أول شهر بابه القبطى الموافق الثامن والعشرين من شهر سبتمبر ٦٤٢ م .
- ٣ - أن يكف العرب والروم فى أثناء تلك الهدنة عن القتال .
- ٤ - أن ترحل حامية الاسكندرية فى البحر ، ويحمل جنودها معهم متاعهم وأموالهم . على أن من أراد الرحيل من جانب البر فله أن يفعل على أن يدفع كل شهر جزءا معلوما ما بقى فى أرض مصر فى رحلته .
- ٥ - ألا يعود جيش من الروم الى مصر أو يسعى لردّها .
- ٦ - أن يكف المسلمون عن أخذ كنائس المسيحيين ولا يتدخلوا فى أمورهم .
- ٧ - أن يتاح لليهود الإقامة فى الاسكندرية .

٨ - أن يبعث الروم رهائن من قبلهم ، دائة وخمسين من جنودهم وخمسين من المدنيين ضمانا لتنفيذ المعاهدة (٥٤) .

كان لابد من اقرار تلك المعاهدة من جانب الخليفة عمر بن الخطاب وامبراطور الروم . وفي انتظار ذلك كان على كيرس (المقوقس) أن يقنع أهل الاسكندرية بضرورة الموافقة على هذا الصلح حتى قيل أنه كان يبكي « وهو يطلب من الناس أن يصدقوا أنه إنما بذل جهده في أمرهم وأن يرضوا بالصلح الذي عقده من أجلهم » وبالفعل عاد الناس الى رأى الجيش ورضوا بالنزول عن مدينتهم للعرب وأخذوا يجمعون قسط الجزية وهو ثلث المقدار المطلوب وأعطوه للمسلمين في ١٠ ديسمبر ٦٤١ م / المحرم سنة ٢١ هـ (٥٥) . وكان المبلغ يقدر بنحو ثلاثة عشر ألف دينار « (٥٦) » .

وفي نفس الوقت أخذ العرب يخضعون البلاد ريثما يتم التصديق على المعاهدة فاستولوا على مدن كثيرة بالدلتا مثل رشيد والبرلس ودمياط وتنيس (٥٧) .

وقد اختلف في فتح الاسكندرية الأول على يد العرب ، فالبعض يذكر أنه كان « سنة عشرين » (٥٨) والبعض الآخر يذكر أنه كان « سنة احدى وعشرين » (٥٩) ورأى آخر يذكر أنه كان « سنة اثنيتين وعشرين » (٦٠) .

وهكذا استسلمت الاسكندرية للعرب الفاتحين عن طريق معاهدة الاسكندرية السابقة الذكر . وتم للعرب بذلك الاستيلاء على « أعظم موقع استراتيجى ، مفتاح الشمال الافريقى بأسره ومركز حضارة ومدنية عمل الزمن وساعدت الظروف السياسية على اقامتها في الطرف الشمالى الشرقى من القارة الافريقية » (٦١) .

ولكن بالرغم من ذلك وبالرغم من ارتفاع مكانة الاسكندرية بتلك الصورة فان المسلمين لم يستخدموا تجاهها أى ضغط أو قوة في بادئ الأمر (٦٢) .

ويقال انه لما هزم الله الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم في البر والبحر ، فخلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى هو ومن معه في طلب من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية ، فقتلوا من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ، ففتحها وأقام بها وكتب الى عمر بن الخطاب أن الله فتح عليهم الاسكندرية « عنوة بغير عقد ولا عهد » (٦٣) .

وعندما دخل عمرو بن العاص الاسكندرية في ٢٩ سبتمبر سنة ٦٤٢ م (٦٤) وجد بها « ألف مركب من مراكب الروم الكبار » (٦٥) فجلا عنها الروم الذين كانوا يقدرون « بمائتي ألف » (٦٦) وغادرها الأسطول الرومي في الثامن عشر من سبتمبر (٦٧) أو السابع عشر منه ٦٤٢ م / ٢١ هـ « بعد أن استمرت قواته بها عشرة قرون من الزمان » (٦٨) . وقد اتجه الأسطول بعد مغادرة الاسكندرية الى جزيرة رودس (٦٩) . وقدر عدد الروم الذين غادروا الاسكندرية عندئذ بثلاثين ألفا حملوا معهم ما استطاعوا حمله من المال والمتاع والأهل ، أما من بقى فقد اعتبر أسيرا ، « وبقي من الأسارى من بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان » (٧٠) .

استخلف عمرو بن العاص على الاسكندرية « عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم بن عمرو بن هضيم بن

كعب بن لؤى « (٧١) وترك بالمدينة ربيع القوات التي معه وجعل
الربيع الثاني بالسواحل ، أما النصف الباقي فكان معه . وكان
الربيع الذي يقيم بالاسكندرية يقيم لمدة ستة أشهر في الصيف ثم
يعقبهم ربيع آخر ستة أشهر في الشتاء (٧٢) .

وكان عمر بن الخطاب « يبعث كل سنة غازية من أهل
المدينة ترابط بالاسكندرية فكانت الولاة لا تغفلها وتكشف رابطتها
ولا تأمن من الروم عليها » (٧٣) . وكان المرابطون في الاسكندرية
من المجاهدين ينزلون دورا خصصت لهم ، وكانت الدار الواحدة
أحيانا ما تسكنها قبيلتان أو ثلاث (٧٤) .

هنا نود أن نشير الى نقطة مهمة ، هي أن عمرو بن العاص
بعد أن أتم فتح الاسكندرية طلب منه أن يقسمها بين الفاتحين
فاعتذر بأنه لن يفعل ذلك الا بعد أن يأخذ رأى أمير المؤمنين
« لا أقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين » وبالفعل كتب
اليه في هذا الشأن فرد عليه عمر بالا يقسمها وأن يتركها ليكون
خراجها « فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم » (٧٥)
فتركها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج (٧٦) .

واذا كانت مصر كلها بعد فتح العرب لها تدفع للفاتحين جزية
عن الرأس تقدر بدينارين « لا يزداد على أحد منهم في جزية رأسه
أكثر من دينارين الا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض
والزراع » فان أهل الاسكندرية كانوا يؤدون الخراج والجزية
« على قدر ما يرى من وليهم » لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير
عهد ولا عقد ، ولم يكن لهم صلح ولا ذمة (٧٧) .

والحقيقة أن هذه النقطة كانت أحد الأسباب المهمة التي
أدت الى نقض أهالي الاسكندرية لما عاهدوا عليه العرب الفاتحين .

فقد قيل أن (صاحب اخنا) قدم على عمرو وقال له أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فرد عليه عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة : « لو أعطيتني من الركن الى السقف ما أخبرتك انما أنتم خزائن لنا ، ان كثر علينا كثرنا عليكم ، وان خفف عنا خففنا عنكم » لذا غضب صاحب اخنا وخرج الى الروم وأثارهم ضد المسلمين فقدموا الى الاسكندرية لمحاربتهم ، وبذلك نقضوا العهد الذي كان بينهم (٧٨) .

فاذا كان موقف صاحب اخنا هذا هو أحد الأسباب التي جعلت الروم ينقضون عهدهم مع عمرو بن العاص ويعاودون القدوم الى الاسكندرية مرة أخرى لاستعادتها ، فان المصادر والمراجع المختلفة أعطتنا عدة أسباب أخرى يمكننا ان نضيفها الى هذا السبب منها :

انه بعد وفاة الخليفة عمر بن الخطاب وتولى عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن مصر سنة ٢٥ هـ فانتهزت دولة الروم تلك الفرصة لتقوم بهجوم مضاد ضد مصر (٧٩) .

بل قيل أنه في ٢٥ هـ / ٦٤٥ م خالف أهل الاسكندرية ونقضوا صلحهم وكان سبب ذلك « ان الروم عظم عليهم فتح المسلمين الاسكندرية وظنوا أنهم لا يمكنهم المقام ببلادهم بعد خروج الاسكندرية عن ملكهم فكاتبوا من كان فيها من الروم ودعوهم الى نقض الصلح ، فأجابوهم الى ذلك » (٨٠) . في حين يذكر رأى آخر أن أهل الاسكندرية نقضوا العهد سنة ٢٥ هـ « لأن ملك الروم بعث اليهم (معويل) الخصى في مراكب في البحر ، فطمعوا في النصر ونقضوا ذمتهم » (٨١) .

كما ذكر أيضا أن جماعة من زعماء الاسكندرية أنفذوا كتبا الى الامبراطور قنسطانز الذي انفرد بالحكم بعد وفاة هرقلونس

يسألونه النهوض لمساعدتهم ، وشرحوا له أنه ليس بالاسكندرية
الا حامية ضعيفة لا تقوى على دفع جيش الروم . فأثرت تلك
الكتب في الامبراطور الذي لم ينس ما لحق بدولته من الضرر
بضياح مصر (٨٢) .

ومهما اختلفت الآراء فقد حدثت انتفاضة فعلية من جانب
الروم ومحاولة جادة لاستعادة الاسكندرية . وذلك سنة ٢٥ هـ
أشارت اليها بعض المصادر اشارات موجزة (٨٣) ، وأسهب بعض
المصادر الأخرى في ذكر تفاصيلها (٨٤) .

فقد أرسل الامبراطور قنسطانز الثاني في ٢٥ هـ / ٦٤٥ م
اسطولاً كبيراً هدفه اجلاء العرب عن مصر اجلاء تاماً (٨٥) . ورست
قطع الأسطول الرومى بقيادة (منويل الخصى) (٨٦) بالاسكندرية
« وأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك
ولا نكت » (٨٧) .

والواقع أن الروم توخوا السرية التامة في ارسال تلك
الحملة ، وكانت دولة الروم الى ذلك الحين لا تزال على سلطانها
في البحر « غير مدافعين ولا معاندين » . وعلى العكس من ذلك كان
العرب ، فلم يكن لهم في ذلك الوقت سفينة واحدة في البحر
المتوسط تأتيهم بأخبار أسطول الروم الذي بعث به الامبراطور
للاستيلاء على الاسكندرية ، فما شعر العرب الا وأسطول الروم
يدخل ميناء الاسكندرية في ثلاثمائة سفينة ، وألقى فيها مراسيه غير
مدافع ، ولم يكن بالمدينة الا ألف رجل من العرب للدفاع عنها
فتغلب عليها الروم وقتلوهم الا عددا قليلا (٨٨) .

وبالفعل تم استيلاء جيش الروم على الاسكندرية في نهاية
٦٤٥ م / ٢٥ هـ وزحف بعدها الى ما يليها من بلاد الدلتا ينهب

فيها ويخضع من السكان ما لديهم من القمح والنبذ والمال (٨٩) .
عندئذ تخرج مركز العرب في مصر ، وكان الوالى اذ ذاك عبد الله بن
سعد بن أبى سرح من قبل الخليفة عثمان بن عفان (٩٠) .

والحقيقة أن انتصار الروم في ذلك الوقت كان « نصرا
مؤقتا » (٩١) فقد طلب أهل مصر عندئذ من الخليفة عثمان بن عفان
أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم ، فان له خبرة ودراية
بمعاربة الروم فنفذ طلبهم (٩٢) . وبالفعل أعيد عمرو الى مصر ،
فكانت اعادته عملا مهما وخطوة موفقة ، حيث أتيح فيها لقاء فاتح
مصر الأول والخير بشئونها بالقائد مانويل البيزنطى العنيد الذى
كان كل هدفه أن يعيد مجد دولته في مصر « (٩٣) » .

سار عمرو لملاقاة عدوه بجيش مكون من « خمسة عشر
ألفا » (٩٤) وانضم الى المقوقس من اطاعه من القبط ، أما الروم فلم
يطعه منهم أحد . فأشار البعض على عمرو بن العاص أن يسرع
في مهاجمتهم قبل أن يكثر عددهم وأنه لا يأمن « أن تنتفض مصر
كلها » فرفض عمرو قائلا « دعهم حتى يسيروا الى فانهم يصيبون
من مروا به فيخزي الله بعضهم ببعض » (٩٥) .

وبالفعل خرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من أهل
القرى فجعلوا ينزلون القرية فيشربون خمورها ويأكلون أطعمتها
وينهبون ما مروا به فلم يعترض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم
في البر والبحر ، ودارت بين الجانبين معارك شديدة طاردهم
المسلمون فيها حتى الاسكندرية وانتهت بانتصار المسلمين ومقتل
قائد الروم منويل النصى (٩٦) ، أو هروبه للقسطنطينية (٩٧) ،
ولو أنه يرجح أنه قتل ، وذلك في صيف ٦٤٦ م (٩٨) .

وقد قتل مع قائد الروم أعداد غفيرة منهم ، وفي النهاية تدخل البعض وطلبوا من عمرو أن يرفع السيف عنهم . وبالفعل تم ذلك ، وبني في ذلك الموضع الذي رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذي يعرف في الاسكندرية بمسجد الرحمة ، والذي سمي بذلك لرفع عمرو السيف هناك (٩٩) . أما من نجا من القتل من الروم فقد لجأوا الى السفن وهربوا بها بحرا (١٠٠) .

وهكذا تشدد عمرو بن العاص في موقفه من الروم في الاسكندرية هذه المرة . وقد عبرت المصادر والمراجع المختلفة عن ذلك بصور شتى ، فمثلا البلاذري يذكر أنه « دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرية » (١٠١) أما اليعقوبي فيقول : ان عمرو فتح الاسكندرية سنة ٢٥ هـ « وسبى الذراري ووجه بهم الى المدينة ، فردهم عثمان الى ذمتهم الأولى » (١٠٢) . بينما يذكر ابن عبد الحكم والمقرئ أن عمر فتح الاسكندرية في هذه المرة « عنوة وقسرا » (١٠٣) في حين يكتفى الكندي بالقول بأن الاسكندرية « فتحت الفتح الثاني عنوة سنة خمس وعشرين » (١٠٤) بينما يذكر ابن كثير أن عمرو بن العاص غزا أهل الاسكندرية « في ربيع الأول سنة ٢٥ هـ فافتتح الأرض عنوة وافتتح المدينة صلحا » (١٠٥) . أما ابن العماد فيذكر أن عمر « قتل وسبى » (١٠٦) في الوقت الذي اكتفى المؤرخ (الفريد بتلر) بالقول بأن الاسكندرية تم الاستيلاء عليها نهائيا بالقوة (١٠٧) .

والواقع أنه مهما اختلفت الآراء فان الاسكندرية فتحت في المرة الثانية بالقوة .

وكان الروم عندما خرجوا من الاسكندرية وتوجهوا الى الوجه البحر قد أخذوا الأموال من أهل القرى التي مروا بها سواء من

أيدهم أو عارضهم فلما انتصر المسلمون عليهم جاء الفريق المعارض للروم وطلبوا من عمرو أن يرد عليهم أموالهم ودوابهم لأنهم لم يخالفوهم « فرد عليهم ما عرفوا من أموالهم بعد إقامة البينة » (١٠٨) .

هذا وقد هدم عمرو سور الاسكندرية وتركها بغير سور لأنه كان قد حلف أنه إذا نصره الله على الروم وأجلاهم عن الاسكندرية في تلك المرة ، أن يهدم سورها ويجعلها « مثل بيت الزانية يؤتى من كل جانب » (١٠٩) .

وقد ساعد الأقباط العرب الفاتحين ضد الروم واستسلموا لحكمهم مما يثبت أنهم « فضلوا الخضوع للعرب عن الخضوع لبيزنطة » (١١٠) .

أما عمرو بن العاص فلم يستمر في ولاية مصر بعد فتح الاسكندرية الثاني سوى شهر واحد عزله بعده عثمان بن عفان وولى عبد الله بن سعد (١١١) .

وبالنسبة لحركة الفتوحات الاسلامية فانها سارت قدما في طريقها الطبيعي واستولى العرب بعد فتح الاسكندرية الثاني على السواحل « فيما بين الاسكندرية والقرما » (١١٢) . بل أن الخليفة عثمان بن عفان تشدد بعد ذلك في توصياته بضرورة الحفاظ على الاسكندرية والسهر على حراستها ، وهذا ما عبر عنه عندما كتب لواليه على مصر - عبد الله بن سعد بن أبي سرح يقول « قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالاسكندرية ، وقد نقضت الروم مرتين . فالزم الاسكندرية مرابطيها ثم اجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر (١١٣) .

والواقع أنه بعد فتح العرب الاسكندرية للمرة الثانية ،
استمرت مصر بصفة دائمة تحت الحكم الاسلامى (١١٤) .

ولقد كانت أهمية مصر بالنسبة لدولة الروم ، وعدم قدرة
الأخيرة على التسليم بضياع مصر هو الدافع وراء المحاولات الدائبة
التي قامت بها دولة الروم لاستعادة تلك البقعة الشديدة الأهمية
بالنسبة لاقتصادها . وقد تمثلت أولى تلك المحاولات بعد حوالى
تسع سنوات من استيلاء العرب النهائى على الاسكندرية ونقصد
بها موقعة ذات الصوارى البحرية الشهيرة .

هوامش الفصل الأول

- (١) يسميه الطبرى فى تاريخه ، ج ١ حوادث سنة عشرين (باب
البون) .
- (٢) كان ذلك يوم عيد الفصح يوم الاثنين ١٩ ابريل (د. السيد الباز
العرينى : مصر البيزنطية ، ص ١٨٨) .
- (٣) اختلف فى السنة التى تم فيها فتح مصر فبينما يذكر ابن عبد الحكم
انها فتحت عشرين (ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٨٠) يذكر
الطبرى انها فتحت اما سنة « ست عشرة أو عشرين » ويؤكد الكندى : كتاب
الولاة وكتاب القضاة ، ص ٩ وابن الجوزى : تاريخ عمر بن الخطاب ،
ص ١١١ فتح مصر فى سنة عشرين هجرية .
- (٤) د. السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ، د. ابراهيم
المدوى ، الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٤٩ .
Aly Mohmaed Fahmy : Op. Cit., P. 78.
- (٥) Bernard Lewis : The Arabs in History, Hutchinson
son of London P. 54.
- (٦) الواقدي : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
- (٧) Christopher Dawson : Le Moyen-Age et les
Origines de L'Europe, P. 146.
- (٨) Alfred J. Butler : Arab Conquest of Egypt, P. 291.
- (٩) د. عبد الرحمن الراعى ، د. سعيد عاشور : مصر فى العصور
الوسطى ، ص ٢٧ .

- (١٠) د. سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ١٩٧٠ ، ص ١٢ - ١٣
- (١١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر واخبارها ، ص ٧٦ .
- (١٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٩ .
- ! (١٣) د. عبد الرحمن الراعي ، د. سعيد عاشور ، مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٧ - ٢٨ .
- (١٤) الواقدي : فتوح الشام ، ج ٢ ، ص ٧٤ : ٨٦ .

يقول الواقدي ما ملخصه ان ابن المقوقس - ويسميه أرسطوليس - لما انهزم أمام المسلمين توجه الى الاسكندرية ثم بلغه فتح مصر فعز عليه ذلك . وبعث عدة مراكب من الاسكندرية شحنها بالرجال وطلب منهم أن يباغتوا سواحل بلاد الشام وينقضوا بهجوم على المسلمين ، وبالفعل ساروا الى سواحل الرملة وباغتوا المسلمين بهجوم وقتلوا منهم رجلا ، وأخذوا عددا من الأسرى ، وعدة غنائم أخرى ، ويقال أن عدد الأسرى بلغ حوالي ألف ومائة ، فوضعهم في المراكب وعادوا الى الاسكندرية . عندئذ أرسل أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن العاص يخبره بذلك ويحذره من صاحب الاسكندرية ، فلما وصل الخطاب الى عمرو صعب عليه وأرسل الكتاب الى خالد بن الوليد وكتب اليه يحثه بالنسير الى الاسكندرية . اما عن أسرى المسلمين فقد أرسلهم ابن المقوقس الى احد الأديرة ويسمى « دير الزجاج » وبعث معهم قوة تتكون من ألفين من الرجال . لكن خالدا عرف اخبارهم فتوجه اليهم ومعه شراحيل بن حسنة وعامر بن ربيعة ويزيد بن أبي سفيان وهاشم بن سعيد القعقاع وغيرهم وتمكن هو ورفاقه من تخليص الأسرى المسلمين وقتلوا من أعدائهم سبعمائة وأسروا ألفا وثلاثمائة ثم توجهوا الى الاسكندرية ومعهم أسراهم من القبط .

وفي نفس الوقت كان أرسطوليس قد أرسل الى ملك برقة المسمى (كيماويل) وطلب منه النجدة بعد أن حذره من العرب ، وبالفعل أرسل ملك برقة لنجدته جيشا مكونا من أربعة آلاف .

كذلك أرسل ملك برقة كبير البطارقة عنده والذي كان يسمى سطيس الى المقوقس يبشره بقدوم النجدة اليه ، فلما وصل هذا البطريق الى الاسكندرية طلب منه ابن المقوقس أن يتدخل في الصلح بينهم .

فلما وصل البطريق عند خالد بن الوليد دار بينهما حديث جدد سطيس على اثره اسلامه على يد خالد ثم حذرهم من شقيق ملك برقة الذي سياتي

بعده إبحاربتهم وأن ملك الاسكندرية يريد صلحهم على أن يعطيهم شيئاً من المال ويسلم اليهم قوما من أصحابهم كانوا قد أخذوهم من ساحل الرملة ، فما كان من خالد إلا أن أخبره بأنهم قد فك الله أسرهم وجمع بهم شملهم ... عندئذ اسقط في يد ابن المقوقس وطلب من أرباب دولته الاستعداد لحرب العرب حتى تسلمهم نجدة ملك برقة وما أن التحم ابن المقوقس بالعرب الفاتحين حتى ارتفعت فرائصه ، ففر هارباً الى جزيرة كريت وأخذ معه أمواله وحريمه وأولاده .

وعندئذ توجه أهل الاسكندرية الى خالد فقال لهم « خير الناس من قدر وعفا ونريد منكم ألف مثقال ذهباً صلحاً عن أنفسكم وأهاليكم وندعوكم بعد ذلك الى الاسلام ، فمن أجاب منكم كان له ما لنا وعليه ما علينا ومن عدل عن ذلك أخذنا منه الجزية عن السنة التالية من كل رجل وغلّام بلغ الحلم أربعة دنائير ، فوافقوا على ما شرطه عليهم » .

وجمع أهل الاسكندرية المال ومضوا به الى خالد وبني فيها المساجد وأخذ كنيستهم العظمى فجعلها جامعاً وترك لهم أربع كنائس وكتب الى عمرو بن العاص يخبره بفتح الاسكندرية وفرح وركب وترك موضعه أبا ذر الغفاري وذهب الى الاسكندرية وبني فيها جامعاً في الريض .

وهكذا نستنتج من رواية الواقدي هذه أن الاسكندرية فتحت على يد خالد بن الوليد تحت أمرة عمرو بن العاص ، لكن بقية المصادر والمراجع تعطينا رأياً مخالفاً تماماً لذلك ، بل انها لم تذكر على الإطلاق اسم خالد بن الوليد .

(١٥) على سبيل المثال لا الحصر : ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٦١ : ٧٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ ، الطبري : تاريخه ، أحداث سنة ٢٠ هـ ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الصحابة ، القسم الثاني حرف الخاء ، ص ٤٣٧ ، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، المجلد الثاني ، ص ١١٠ - ١١١ ، ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، ج ٨ ، ص ٥٧ .

(١٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦١ . وهنا يذكر أن البعض يضعون خارجة بن حذافة بدلاً من مسلمة بن مخلد .

(١٧) تقدم اليها من الفسطاط (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ،

ص ٧٢) .

(١٨) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(١٩) ابن عبد الحكم : المصدر السابق نفس الصفحة .

هنا يذكر ابن عبد الحكم ، س ٦٦ أن عبادة بن الصامت كان قد اختاره عمرو بن العاص للتفاوض باسم المسلمين الفاتحين قبل عقد الصلح بين المسلمين والمقوقس وفتح مصر . وكان عبادة أسود اللون ، فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فها به المقوقس لسواده ، فقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا جميعا : ان هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه ، وقد أمر الأمير دوننا بما أمره به وأمرنا الا نخالف رأيه وقوله . فقال وكيف رضيتهم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وانما ينبغي أن يكون هو دونكم قالوا : كلا انه وان كان أسود كما ترى فانه من أفضلنا سابقة ومقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا . فقال المقوقس لعبادة تقدم يا أسود وكلمنى برفق فانى أهاب سوادك وان اشتد كلامك على ازددت لذلك هيبة . فتقدم اليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود كلهم أشبه سوادا منى وأفظع منظرا ، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى . وأنا قد وليت وأدبر شبابى . ان غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليلة ونهاره وشملة يلتحفها . فان كان أحدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله . فلما سمع المقوقس ذلك منه قال ان حوله : لقد هبت منظره وان قوله لأهيب عندى من منظره .

(٢٠) البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢١) كان ذلك سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م « د . ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٤٩ » .

(٢٢) المقوقس أو كيرس (د . السيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام) ، ص ٨ ، وهو نفسه (قره) الذى يشار اليه في

Agapitus : Kitab Al-Unvan : Patrologia Orientalis, V. VIII, P. 471.

كان كيرس اسقفا لفاميس Phasis الواقعة بالقرب من القوقاز . وربما كان ذلك هو سبب تسميته بالقوقازى ، وهو ايضا الاصل الحقيقى للفظه المقوقس وهو الاسم الذى نقرأه فى النصوص العربية والقبطية وى

سنة ٦٣٢ م أقر هرقل صورة التوفيق التي تقضى بأن يمتنع الناس عن الخوض في الحديث عن كنه طبيعة المسيح وعما إذا كان له صفة واحدة أو صفتان ، ولكن عليهم أن يشهدوا أن له إرادة واحدة لذلك ولى هرقل كيرس بطريركية الإسكندرية وأمره أن يجمع المذهبين المونوفيزيتي والخلقدوني في المذهب الجديد وهو المذهب المونوتولييتي (د. السيد الباز العريني : مصر البيزنطية ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤) وبذلك أخطأ الامبراطور هرقل ووقع فيما وقع فيه الامبراطور جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) من استناد الرئاسة الدينية والسياسية لشخص واحد هو كيرس أو المقوقس (د. سيده كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٨) .

(٢٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٢ ، المقريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٣ . كان عمرو بن العاص قد فرض على الروم الذين يرغبون في البقاء في الاسكندرية مثلما فرض على القبط ، أي دينارين على كل منهم (ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٧٠) .

(٢٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٧ . ومما جاء في خطاب هرقل : « انما أناك من العرب اثنا ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك من الروم بالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فمعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم في حال القبط أذلاء ، ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم فأنهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قتلهم وضعفهم كأكلة . تناهضهم القتال ولا يكون لك رأى غير ذلك . وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم .

(٢٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧١ . كان رد المقوقس : « والله أنهم على قتلهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا ، ان الرجل الواحد منهم ليعادل مائة رجل منا وذلك أنهم قوم الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، يقاتل الرجل منهم وهو يستقتل ويتمنى ألا يرجع الى أهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم أجرا عظيما فيمن قتلوا منا ويقولون : أنهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة المييش من

الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولدتها فكيف نستقيم نحر وهؤلاء... ويحكم أما يرضى أحدكم أن يكون آمنا على نفسه وماله وولده بدينارين في السنة » .

(٢٦) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٧٢ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ، ص ١١٨ .

(٢٧) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٧٣ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٨ . وبذلك يكون القبط قد ساعدوا عمرا أثناء تقدمه من الفسطاط الى الاسكندرية ، ولم يقفوا ضده مع الروم كما ذكر ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ١١٥ « سار عمرو الى الاسكندرية فاجتمع له من بينها وبين الفسطاط من الروم والقبط فهزمهم واخذن فيهم » .

(٢٨) د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤١٥ - ٤١٧ .

(٢٩) الطبرى : تاريخه ، أحداث سنة ٢٠ هـ .

(٣٠) الطبرى : تاريخه ، أحداث سنة ٢٠ هـ .

(٣١) المقصود كيرس .

(٣٢) Agapitus : Kitab Al-Unvan : Patrologia Orientalis, V. VIII, P. 471.

(٣٣) Agapitus : Kitab Al-Unvan : Patrologia Orientalis, V VIII, PP. 472 — 473.

(٣٤) ملحق رقم (١) .

(٣٥) Patrologia : Op. Cit., P. 474.

(٣٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٣ .

(٣٧) د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٢٠ ، د. العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٤٩ ، مقدمة المحقق د. عبد الله أنيس الطباع لكتاب عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم : فتوح افريقيا والاندلس ، ص ٨ ويذكر الأخير أن عدد قوات الجيش الاسلامى الزاحف على الاسكندرية كان عشرين الفا .

(٣٨) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٨ .

(٣٩) د. سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٣ .
(٤٠) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ، السيوطى : حسن
الحاضرة ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٤١) د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٢٠ .

(٤٢) د. العرينى : المرجع السابق نفس الصفحة .

(٤٣) د. العرينى : المرجع السابق ص ٤٢٨ .

(٤٤) د. سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٣ ، د. السيد
الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤١٧ ، اختلف في تاريخ وفاة هرقل
فالبعض يذكر انها سنة تسع عشرة هجرية والبعض الاخر يذكر انها كانت سنة
مشرين هجرية (ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٦ ، المقرئى :
الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، السيوطى : حسن الحاضرة ، ج ١ ،
ص ١١٩) .

Agapitus : Kitab Al-Unvan : Patrologia Orient-
alis, V. VIII, P. 478.

ويذكر الاخير انها كانت سنة ٩٥٢ لذي القرنين ، ١٩ للعرب ، ٧ لعمرو .
(٤٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٦ ، المقرئى :
الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، السيوطى : حسن الحاضرة ، ج ١ ،
ص ١١٩ .

(٤٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٥ .

(٤٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٧٦ ، المقرئى :
الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، السيوطى : حسن الحاضرة ، ج ١ ،
ص ١١٩ .

(٤٨) البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣١٠ ، المقرئى : الخطط ،
ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(٤٩) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، السيوطى : حسن
الحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٥٠) مات الامبراطور قسطنطين في ٢٥ مايو ٦٤١ م فتولى العرش هرقلونوس
ابن هرقل من مارتينا التى ظلت تشاركه في الحكم ، وتوجه سياسة البلاد
وظل هرقلونوس يحكم حتى سبتمبر ٦٤١ حينما شاركه قسطنطين في الحكم ،

وذلك بعد رحيل كيرس الى مصر مصحوبا بعدد كبير من القساوسة وتكليفه بعقد صلح مع العرب لوضع نهاية لكل المقاومات المستقبلية في البلاد وليعبد تنظيم الإدارة في مصر .

(Alfred Butler : The Arab Conquest of Egypt, P. 305).

على أن كيرس جعل الامبراطور والامبراطورة والسناطور ورجال البلاط على الانصياع الى رايه الذي يقضي بانه لا سبيل الى المقاومة ولا بد من الازعن للعرب (د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ١٢٢) .

(٥١) د. سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٣ - ١٤ .

(٥٢) د. الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٢٥ .

(٥٣) د. ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥١ .

(٥٤) Butler : The Arab Conquest of Egypt, P. 320.

حنا النقيوسى (John of Nikiou)

د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٢٦ ، د. سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٤ .

(٥٥) د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ عن Dichi Butler . على أن البطريك كيرس لم يعش حتى يشهد الجلاء النهائي للروم لانه مات في ٢١ مارس ٦٤٢ م (د. الباز العرينى : المرجع السابق ص ٤٣٠) .

(٥٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ١٠٣ .

(٥٧) د. السيد الباز العرينى : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٥٨) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٥٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ١٢٩ .

(٥٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ١٧٨ ، المقربرى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، ٣١٤ . ويذكر الأخير أن ذلك كان في مستهل المحرم من السنة .

(٦٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٧٨ ، المقربرى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

(٦١) مقدمة المحقق عبد الله انيس الطباع لكتاب عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم : فتوح إفريقية والاندلس ، ص ٨ - ٩ .

Alfred Butler : Op. Cit., P. 222.

(٦٢)

(٦٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢١ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115.

(٦٤)

د. الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ١٤٠ .

(٦٥) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ . أما السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ، ص ١٢٢ فيذكر أن عدد المراكب كان مائة لا ألفا . ذلك يضيف ابن اياس أن ممرا عبر في رسالته للخليفة عمر بن الخطاب عن مدى عظم المدينة « وجدت بها اثني عشر ألف يقال يبيعون صنف البقول في جوانب المدينة بعد العصر . . . » .

(٦٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٨٢ ، المقرئ :

الخط ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115.

(٦٧)

د. الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ١٤٠ .

Paul Lemerle : Le Monde de Byzance, Histoire

(٦٨)

et Institutions. P. 354.

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115.

(٦٩)

د. الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ١٤٠ .

(٧٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٨٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٢ . ويقال : أن بيوت الأثرياء التي كانت حول الاسكندرية ونعت غنيمة في يد المسلمين الذين حصلوا على غنيمة هائلة فاقبلوها من معظم المنازل الأخشاب والحديد وأرسلوها في مراكب نقل البضائع في النيل الى حصن بابليون ليستخدموها في عمليات اقامة الجسور .
(Butler : The Arab Conquest of Egypt. P. 296).

(٧١) البلاذري : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣١٠ .

(٧٢) المقرئ : الخط ، ج ١ ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، السيوطي :

حسن المحاضرة ج ١ ، ص ١٦٣ . هنا تذكر الدكتورة سعد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية . . ص ٨٠ « ان حامية الاسكندرية او رابطتها كانت تقيم في المدينة ستة أشهر تبدأ من شهر ابريل ، فقد ذكر المقرئ أن احتراس البحر

بالاسكندرية يبدأ من خميس العهد أو خميس العدى وينتهى بشهر أكتوبر ،
وفي أكتوبر تنهى الحامية أعمالها فتغادر الاسكندرية الى داخل البلاد ،
حيث تقضى فصل الشتاء فى أعمال أخرى تقتضيها أحوال البلاد بينما تحل
محلها حامية أخرى أقل عددا وعدة وتبقى فى الثغر حتى آخر شباط
(فبراير) . » .

(٧٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٧٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١١ « كان لكل عريف قصر
ينزل فيه بمن معه من أصحابه ، واتخذوا فيه أخاذا فكان الرجل يدخل الدار
فيركز رمحه فى منزلها فيها ، ثم يأتى الآخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار ،
فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلاث » وهنا تعقب الأستاذة الدكتور سعاد ماهر
فى كتابها : البحرية فى مصر الإسلامية ... ، ص ٨٠ - ٨١ على ذلك بقولها
(ان الظروف كانت غير مواتية فى ذلك الوقت لبناء رباط أو ثكنات لاقامة
الحامية تعطى فقد خصص لها عمرو الدور والقصور التى تركها الروم عند جلائهم
عن المدينة مفضلا هذا مما اقتضته شروط الصلح التى تنص على أن ينزل
العرب ضيوفا على أهل المدينة يقدمون لهم الطعام والعلوفة لخيولهم ..
وكانت الدور تعطى فى أول الأمر للعريف ورجاله عندما يأتون للمرابطة ، حتى
إذا ما انتهت دورتهم الصيفية حلت محلهم حامية الشتاء ، وقد أدى نظام
الشيوع هذا الى خراب الدور لتركها دون ترميم أو صيانة ، ولكن عمرا
لاحظ هذا العيب وعمل على تلافيه فرأى أن تؤول المنازل لسكانها ولبنينهم
لذلك قرر عند ذهابه من القسطنطينية الى الاسكندرية « أن الرجل يدخل الدار
فيركز رمحه فى منزل ثم يأتى الآخر فى آخر فيركز رمحه فى بعض بيوت الدار ، فكانت
الدار تكون لقبيلتين أو ثلاث حتى إذا نقلوا سكنها الروم وعليهم مرممتها .
وبهذا كان يسمح للروم بسكنى الدور فى الوقت الذى تغلو فيه من حاميتها
الصيفية والشتوية على أن يقوموا بترميمها وصيانتها بدلا من الكراء لانها
كانت وفقا لشروط الصلح ملكا عاما للعرب) .

(٧٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٩ ، السيوطى : حسن
المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٧٦) السيوطى : المصدر السابق نفس الصفحة .

(٧٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٨٢ - ٨٣ ،
المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٧٨) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، المقرئ :
الخط ، ج ١ ، ص ٢١٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٥٦ .
هنا يذكر ابن عبد الحكم أنه بعد مجيء الروم الى الاسكندرية بعد استشارة
صاحب اخنا لهم وبعد أن تمت هزيمتهم أمر صاحب اخنا (النبطي) وجيء
به الى عمرو فقال له الناس أقتله فقال : لا بل انطلق فجئنا بجيش
آخر .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115.

(٧٩)

(٨٠) ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ٨١ .

(٨١) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ١٦٥ . والمقصود
بعمول هنا منويل .

(٨٢) د. السيد الباز العريني : مصر البيزنطية ، ص ٤٣٢ .

Agapitus : Kitab Al-Unvan : Ptarologia Orient-

(٨٣)

alls, V. VIII, P. 479.

اليعقوبي : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ،
ج ٧ ، ص ١٦٥ ، ابن العماذ : شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٢٥ .

(٨٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٥ - ١٧٧ ، المقرئ :
الخط ، ج ١ ، ص ٢١١ - ٢١٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ،
ص ١٥٩ - ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٨١ ، ابن اياس : بدائع
الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٨٥) د. سيده كاشف : العرب والبحار ، الكتاب السنوي الثاني
للعام الجامعي ١٣٩٦/٩٥ هـ - الرئاسة العامة لتعليم البنات - كلية البنات
 بالرياض ، ص ٨٠ . هنا أخطأ كل من ابن الأثير والسيوطي في التحديد
الرمزي لتلك الحملة وفي ذكر اسم الإمبراطور الذي أرسلها . فذكر أن السنة
كانت (سنة ٣٥ هـ) وأن الإمبراطور كان (قسطنطين بن هرقل) . ومن المرجح
أن الخطأ وقع فيه ابن الأثير أولاً ثم نقله عنه السيوطي في كتابه . (ابن
الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ،
ص ١٦٢) . أما ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢١ فيذكر أن
إمبراطور الروم في ذلك الوقت كان قسطنطين بن هرقل وأنه هو الذي خرج
بنفسه الى الاسكندرية في ألف مركب مشحونة بالرجال المقاتلين .

(٨٦) هو القائد البيزنطي (الروسي) الذي استبسل في الدفاع عن الاسكندرية في حصارها الاول ودافع عنها دقلما مجيدا (د. ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥١) .

(٨٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٥ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٨٨) د. نسفا ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٧٧ ، د. ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥١ .

(٨٩) د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٣٣ .

(٩٠) د. سيدة كاشف : العرب والبحار ، المرجع السابق ، ص ٨٠ - ٨١ . كان عمر بن الخطاب قد توفي سنة ٢٣ هـ وخلفه عثمان بن عفان رضى الله عنهما فعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح مكانه . وكان عمر بن الخطاب قد ولى عبد الله بن سعد من الصعيد الفيوم ، فلما استخلف عثمان بن عفان طمع عمرو بن العاص أن يعزل له عثمان عبد الله بن سعد عن الصعيد ، فرد عليه عثمان بقوله لقد ولاه عمر بن الخطاب الصعيد وليس بينه وبينه حرمة ولا خاصة « وهو أخى فى الرضاعة فكيف أعزله عما ولاه غيرى ، فغضب عمرو فعزله عثمان وولى عبد الله على مصر كلها » وكان ذلك سنة خمس وعشرين للهجرة وقبل عودة الروم لغزو الاسكندرية (ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٧٢ - ١٧٤) .

Bernard Lewis : The Arabs in History, Hutchinson (٩١)
son, P. 54. G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115.

(٩٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر : ص ١٧٥ ، الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ١١ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٩٣) د. العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥٢ .

(٩٤) البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣١٠ .

(٩٥) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، السيوطى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٠ .

(٩٦) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣١١ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٢ ، د. العدوى : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٥٢ ، د. سيده كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ١٦ .
Aly Mohamed Fahmy : Op. Cit., P. 78.

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115. (٩٧)

د. السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٤١ .
G. Ostrogorsky : Ibid., P. 115. (٩٨)

د. اسيد الباز العرينى : المرجع السابق ، نفس الصفحة ، د. العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٤٣٣ .

(٩٩) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦١ . وهنا تضيفه الدكتورة سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٧٩ (لعل مكانه الآن حديقة الشلالات مكان ضريح سيدى عمر بن يحيى) .

(١٠٠) د. السيد الباز العرينى : مصر البيزنطية ، ص ٣٣ .

(١٠١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ق ٢ ، ص ٣١١ .

(١٠٢) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

(١٠٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ج ١ ، ص ١٧٨ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١٤ .

(١٠٤) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاء ، ص ١١ .

(١٠٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ١٦٥ .

(١٠٦) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ١ ، ص ٣٥ .

Alfred Butler : Op. Cit., P. 323. (١٠٧)

(١٠٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٨١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(١٠٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٥ ، ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ، ص ٨١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٠ .
G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115. (١١٠)

د. السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٤١ .

فقد قاد البطريك المونوفيزيتى بنيامين الشعب السكندرى فى مظاهرة
ضد الروم وأعلن الخضوع لحكم المسلمين .

(١١١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ١٨ .

Agapitus : Kitab Al-Unvan : Patrologia Orientalis, V. VIII, P. 479. (١١٢)

(١١٣) انقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٢١١ ، السيوطى : حسن
المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، والمقصود بأمر المؤمنين هنا عمر بن الخطاب .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 115. (١١٤)

الفصل الثاني :

موقعة ذات الصواري (١)

اختلفت المصادر والمراجع في تحديد تاريخ تلك المعركة ،
فالبعض يذكر أنها كانت سنة « احدى وثلاثين للهجرة » (٢) ،
وبعض الآخر يذكر أنها كانت سنة « أربع وثلاثين » (٣) في حين
يذكر فريق ثالث أنها كانت سنة « خمس وثلاثين » (٤) قبل مقتل
عثمان بن عفان (٥) .

يرجع السبب البعيد لتلك الموقعة الى أن عبد الله بن سعد بن
أبي سرح لما أصاب الروم « بافريقية » خرجوا لمحاربته (٦) أو أنه
لما أصاب من الفرنج والبربر ببلاد افريقية والأندلس « حميت
الروم واجتمعت على قسطنطين بن هرقل » (٧) - والمقصود هنا
قنسطانز الثاني (٦٤١ - ٦٦٨ م (٨) / ٢١ - ٤٨ هـ) - وساروا
لمحاربة المسلمين . وثمة رأى آخر يذكر « أن الروم انتهزوا
فرصة انشغال عبد الله بن سعد بن أبي سرح في محاربة (سبيطلة)
من أرض تونس سنة ٢٧ هـ وجاءوا بأسطول كبير لمحاربته » (٩) .

أما السبب المباشر لتلك الموقعة فيقال : أنه لما استولى
العرب على الاسكندرية « جاءت الروم الى قسطنطين بن هرقل
وقالوا له : أتترك الاسكندرية في أيدي العرب وهي مدينتنا

الكبرى ؟ « (١٠) ثم طلبوا منه أن يخرج بهم لاسترداد الاسكندرية « فأخرج على أنا نموت فتبايعوا على ذلك » (١١) وخرجوا بأسطول بحرى كبير اختلفت المصادر في تعدادة . فبينما ذكر الطبرى أنه كان مكونا من « خمسمائة مركب » (١٢) ، نجد الطبرى قد ذكر في موضع آخر ، وأيده ابن الأثير في هذا الرأى ، وهو أنه كان يتراوح بين « خمسمائة أو ستمائة » (١٣) بينما ذكرت بعض المصادر الأخرى أنه كان حوالى « ألف مركب » (١٤) بل قيل : ان ملك الروم خرج « فى جمع لم يجتمع للروم مثله قط » (١٥) . بينما كان عدد مراكب المسلمين يقدر « بمائتى مركب ونيف » (١٦) .

وثمة رأى يذكر ان سبب تلك الموقعة هو أنه فى سنة ٣٤ هـ / ٦٥٥ م أبحر الامبراطور قنسطانز على رأس عمارة بحرية لعرقلة استعدادات البحرية التى كان المسلمون يعدونها فى موانئ الشام لشن اغارة على القسطنطينية (١٧) .

وكان الذى يتولى حكم مصر فى ذلك الوقت هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وهو يعتبر أمير البحر الثانى فى الاسلام ، وذلك بعد معاوية بن أبى سفيان والى الشام قبل أن تصير له الخلافة (١٨) .

ولكن قبل أن نسترسل فى سرد أحداث تلك الموقعة المهمة ، نتساءل : أين دارت رحاها ؟ هل نشبت عند فونيكس Phoenix قرب شواطئ ليكيا ، بآسيا الصغرى ؟ أو بالقرب من ثغر فونيكه غرب الاسكندرية ؟

الواقع أن بعض المراجع الحديثة تؤكد أنها حدثت بالقرب من الاسكندرية (١٩) والبعض الآخر يذكر أنها حدثت بالقرب من شاطئ ليكيا (Lycian Coast) بآسيا الصغرى (٢٠) . فى حين

تركها بعض مراجع أخرى دون تحديد مكثفية بالإشارة الى أنها
اما حدثت بالقرب من آسيا الصغرى أو الاسكندرية (٢١) .

ونحن نميل الى اعتبار أن تلك الموقعة حدثت بالقرب من
شاطى ليكيا بآسيا الصغرى ، ذلك لأن الطبرى مثلاً يذكر في خلال
سرده التاريخي لها ، أن عبد الله بن سعد « ركب في مركب وحده
ما معه الا القبط حتى بلغوا ذات الصواري ، فلقوا جموع
الروم » (٢٢) كذلك كتب ابن كثير أن عبد الله بن سعد « أقام
بذات الصواري أياما رجع مؤيدا » (٢٣) وذلك بعد احرازه للنصر .
هذا الى جانب ما ذكرته بعض المراجع الحديثة من أن تلك الموقعة
كانت « جزءا من سياسة العرب الدفاعية لتأمين سلامة شواطئهم
على البحر الأبيض المتوسط » (٢٤) .

واذا كان الهجوم هو خير وسائل الدفاع ، فقد خرج
عبد الله بن سعد بن أبي سرح بأسطول مصر لقتال الروم قرب
شواطئ آسيا الصغرى ليحمي مصر من خطر الروم .

وقد هال عبد الله بن سعد كثرة عدد سفن الروم بالنسبة
لبعد سفن المسلمين ، لذا بدأ يستشير أصحابه فيما يفعل ، وطرح
القضية أمامهم لاتخاذ الرأي فيها قائلا : « بلغنى أن ابن هرقل
قد أقبل اليكم في ألف مركب فأشيروا على » . وبعد تفكير عميق
قام أحد رجال الاسكندرية وطلب من عبد الله ضرورة مواجهة العدو
والبدء بمهاجمته فورا ، وعقب على رأيه بقوله : « كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين » (٢٥) .

وبالفعل شحن عبد الله بن سعد سفن المسلمين بالرجال ولكنه
لم يستطع أن يستفيد من كل القوة التي تحت يده ، لأن نصف

القوات كانت قد خرجت مع بسر بن أرطاة في البر ، لذا ركب في كل مركب « نصف شحنته » (٢٦) فقط ، كذلك شارك أهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان في تلك الموقعة (٢٧) .

وقد اعطانا الطبري وصفا تفصيليا لتلك المعركة حين ذكر انهم ربطوا سفنهم بسفن العدو ، حتى كانوا يضربون بعضهم بعضا على سفنهم وسفن أعدائهم ، فقاتلوا قتالا شديدا « حتى رجعت الدماء الى الساحل تضربها الأمواج وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما » (٢٨) . فقد قتل من الجانبين أعداد كبيرة « قتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يحصى » (٢٩) والراجع ان عدد قتلى الروم فاق عدد قتلى المسلمين حيث يذكر الطبري ان الله نصر المؤمنين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة « ولم ينج من الروم الا الشريد » (٣٠) .

وثمة رأى آخر يذكر أنه بعد تحريض الروم لامبراطورهم وحثه على ضرورة استرداد الاسكندرية من المسلمين ، سار الامبراطور بأسطول كبير لانجاز تلك المهمة لكن الله سبحانه وتعالى بعث عليهم رياحا عاصفة عالية أغرقتهم ولم ينج منهم الا الامبراطور نفسه وعدد قليل من قواته ألقت بهم الريح بصقلية (٣١) . فسأله أهلها عن أمره فأخبرهم بما حدث له ولقواته ، فما كان منهم الا أن قالوا له « لقد أفنيت من بقى من عسكر الروم وجثت الينا فلو دخلت العرب الى بلادنا لم يجدوا من يردهم » (٣٢) وبتعبير آخر « شئت النصرانية وأفنيت رجالها ، لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم » (٣٣) فأدخلوه الحمام وقتلوه وتركوا من كان معه في المركب (٣٤) .

هنا نتوقف قليلا عند تلك العبارة التي أتت على لسان أهل صقلية ، ثم موقفهم من امبراطورهم ، ثم ننتقل الى تحليل الأستاذة

الدكتورة سعاد ماهر لها . ففي ثنايا قول أهل صقلية « لو دخلت العرب علينا لم نجد من يردهم » نستطيع أن نستشف مدى المكانة العظيمة التي بدأ العرب يحتلونها في المجال البحري وما بلغوه في ذلك الوقت المبكر من مركز مرموق في الحروب البحرية « مما يدحض الرأى المتواتر عند جمهور المؤرخين من أن العرب كانوا حديثي العهد بممارسة البحر وركوبه ، فقد كانت أساطيل العالم في ذلك الوقت ترهبهم وتخشى بأسهم ، وأن البلاد التي كان ركوب البحر حرفة وصناعة لها ، تملكها الذعر بعد انتصار العرب على الأسطول البيزنطي ، مما حدا بها الى قتل ملكها خشية انتقام العرب منهم اذا علموا بايوائهم له » (٣٥) .

لكن هل قتل أهل صقلية امبراطور الروم حقا ؟ الواقع أننا نقف عند الاجابة عن هذا السؤال أمام رأيين متناقضين . الأول وهو الذي يذكر أن أهل صقلية قتلوا الامبراطور (٣٦) . والثاني أنه هرب بأعجوبة (٣٧) بعد ان كاد يقع أسيرا في يد المسلمين (٣٨)

ونحن نرجح الرأى الثانى الذى يؤكد هرب الامبراطور . مستنديين فى ذلك الى ما كتبه استروجورسكى من أن الامبراطور قنسطانز الثانى Constans II « الذى كان فى شدة الخطر استطاع ان يحمى نفسه بواسطة توضحية شخصية بطولية لأحد الجنود البيزنطيين الصغار » (٣٩) واذا كانت فترة حكم قنسطانز الثانى امتدت من (٦٤١ - ٦٦٨ م / ٢١ - ٨٤ هـ) فان استروجورسكى يذكر فى موضع آخر أنه « قتل فى حمامه فى ١٥ سبتمبر ٦٦٨ م . بواسطة أحد الحجاب » (٤٠) .

والحقيقة أن تلك الموقعة كانت حدا فاصلا فى سياسة الروم تجاه المسلمين . فقد أفاق الامبراطور قنسطانز بعدها الى نفسه

وادرِك أن اعداد أية حملات برية أو بحرية لاسترداد مصر أو الشام
يعتبر « مجهود فاشل ضائع ومحاوَلات فات أوانها » (٤١) .

لقد كانت موقعة ذات الصواري نصرا بحريا كبيرا للمسلمين ،
وقد « وصفها المؤرخ اليوناني ثيوفانس بأنها كانت يرموكا ثانيا
على الروم » (٤٢) بل أن بعض المؤرخين يعتبرون موقعة ذات
الصواري أعظم موقعة حربية شهدها البحر المتوسط منذ موقعة
اكتيوم البحرية سنة ٣١ قبل الميلاد (٤٣) . فلقد كانت أول انتصار
للعرب في العصر الاسلامي في الحروب البحرية ، بل أنها جعلت
العرب يدركون أنهم قد أصبحوا قوة بحرية لها خطرُها وأن الموقف
الجديد أصبح يحتم عليها الفصل في سيادة ذلك البحر وانتزاعه
نهائيا من قبضة الروم (٤٤) .

وإذا كانت مصر قد انتصرت في تلك الموقعة فإنها استفادت
من وراء ذلك الانتصار فائدة كبيرة ، فقد استولت على كثير من
سفن الروم ، وكانت تلك السفن نواة للأسطول المصري الكبير
الذي اعترف بفضلُه في النضال الذي قام فيما بعد بين الأمويين
والروم (٤٥) .

وإذا كان عبد الله بن سعد قد استطاع أن يفخر في التاريخ
بأن أسطول مصر في عهده صار قوة لها حسابها في مياه البحر
المتوسط ، بعد أن أنزل الهزيمة بأسطول الروم في موقعة ذات
الصواري ، فإن خلفاء عبد الله بن سعد الذين تولوا ولاية مصر بعده
أظهروا عناية كبرى بأمر الأسطول وخاصة أن غزوات الروم
البحرية لم تنقطع عن شواطئ مصر ومواقعها على البحر
المتوسط (٤٦) . ولو أن الطابع الغالب على تلك الهجمات كان
طابع القرصنة فقد « تعرضت بعض المدن الساحلية دائما لغارات من
البحارة والقرصان البيزنطيين » (٤٧) .

هوامش الفصل الثاني

- (١) سميت تلك الموقعة بموقعة ذات الصواري ، « لكثرة صواري المراكب واجتماعها » (الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٣) .
- (٢) الطبري : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ ، ابن الاثير : الكامل ج ٣ ، ص ١١٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ١٧١ ، د. علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٤٤ .
- (٣) الطبري : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ ، الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٣ ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٧ ، ص ١٧١ ، د. سيده كاشف : العرب والبحار ، المرجع السابق ، ص ٨٢ ، د. العدوي : الامبراطورية البيزنطية ... ، ص ٥٣ ، د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ... ، ص ٨٠ .
- (٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، التريزي : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
- (٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩٩ . وقد قتل عثمان « في ليلة الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة » سنة خمس وثلاثين (المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثالثة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م) ، ص ٣٥٥ .
- (٦) الطبري : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .
- (٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٧٢ .
- (٨) G. Ostrogorsky : Op. Cit., PP. 114, 580.
- د. الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٩٨٥ .

هنا يذكر استروجورسكى ص ١١٤ أنه بناء من قرار اتخذه السناتو في بيزنطة سنة ٦٤١ تقرر عزل مارتينا وهرقلونس وذلك بعد قطع لسان مارتينا وقطع أنف هرقلونس ثم نفيهما الى جزيرة رودس . واعتلى العرش ابن قسطنطين الثالث الذى لم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره والذى اتخذ اسم هرقل عند تسميته ، وهو اسم أبيه ، وعند تتويجه اتخذ اسم قسطنطين وأطلق الناس عليه اسم قنسطانز (الثانى) وهو مصغر قسطنطين . وهو الذى أصبح يعرف فيما بعد بالمتحى *Pogonatus* لاطلاق لحيته كلما تقدم فى السن . وربما كان اتخاذه اسم قسطنطين مند تتويجه هو الذى جعل غالبية المصادر العربية تخطئ وتسميه (قسطنطين بن هرقل) وعلى سبيل المثال لا الحصر . الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(٩) د. سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ... ، ص ٨١ .

(١٠) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ . وقد خلط ابن اياس هنا أيضا بين اسم قسطنطين بن هرقل وقنسطانز .

(١١) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(١٢) الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .

(١٣) الطبرى : المصدر السابق ، ص ٢٩١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ .

(١٤) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ١٣ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٦٢٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ .

(١٥) الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .

(١٦) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٣ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

(١٧) د. ابراهيم العدوى : الامبراطورية البيزنطية ... ، ص ٥٣ .

(١٨) د. عبد الرحمن الراقى ، د. سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٧٢ . د. سيده كاشف : العرب والبحار ، ص ٨٢ .

- (١٩) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ... ، ص ٨٤ .
 د. علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٤٤ .
 G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 116. (٢٠)
- د. الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٤٢ ، د. العدوى :
 الامبراطورية البيزنطية ... ، ص ٥٣ .
- (٢١) د. سيدة كاشف : مصر في فجر الاسلام ، ص ٨٥ ، د. سيدة
 كاشف : العرب والبحار ، ص ٥٤ .
- (٢٢) الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩١ .
- (٢٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ١٧٢ .
- (٢٤) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ... ، ص ٨٤ .
- (٢٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٤ .
- (٢٦) المقرئى : نفس المصدر ، ص ٣١٥ .
- (٢٧) ابن الاثير : الكامل : ج ٣ ، ص ١١٨ ، د. سعاد ماهر :
 البحرية في مصر الاسلامية ... ، ص ٨٤ .
- (٢٨) الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ . ذكر احد شهود
 العيان لتلك المعركة انه رأى الساحل حيث تضرب الرياح الموج « وأن عليه
 مثل الطرب العظيم من جثث الرجال وان الدم الغالب على الماء » والمقصود
 بالطرب هنا ما نتأ من الحجارة وحدد طرفه .
- (٢٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١١٨ .
- (٣٠) الطبرى : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٩٢ .
- (٣١) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، المقرئى : الخطط ،
 ج ١ ، ص ٣١٥ ، السيوطى : حسن الحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ابن اياس :
 بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ . وقد أخطأت كل تلك المصادر في تسمية
 امبراطور الروم باسم قنستنتين بن هرقل .
- (٣٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ .
- (٣٣) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣١٥ .
- (٣٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، المقرئى : الخطط ،

ج ١ ، ص ٣١٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ ، ص ١٦٢ ، ابن اياس :
بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ .

(٣٥) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ... ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣٦) ابن الاثير : الكامل ، ج ٢ ، ص ١٩٩ ، المقرئ : الخطط :
ج ١ ، ص ٣١٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ابن اياس :
بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٢ . وتضيف تلك المصادر أن امبراطور الروم
دافع عن نفسه أمام أهل صقلية بقوله « اننا خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا .
لكنهم صنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال ويلكم يذهب رجالكم وتقتلون ملككم ،
قالوا كأنه عرق معهم ثم قتلوه » .

G. Ostrogorsky : Op. Cti., P. 116.

(٣٧)

ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ١٧٢ . حيث يقول « انه
بعد انتصار المسلمين هرب قسطنطين وجيشه وقد قلوا جدا وبه جراحات
شديدة مكيئة مكث حيناً يداوى منها بعد ذلك » .

(٣٨) د. السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ١٤٢ .

G. Ostrogorsky : Op. Cti., P. 116.

(٣٩)

ويفصل نفس المرجع كيفية هرب الامبراطور قنسطانز في إحدى الحواشي
التي نقلها عن ثيوفانس بقوله أن الامبراطور استبدل ملابسه مع أحد الجنود
وبذلك تمكن من الهرب ، من حين قتل العرب ذلك الجندي بدلاً منه ، والراجح
أنه كان من الجنود الشجعان فقد رويت عنه الكثير من روايات البطولة .

G. Ostrogorsky : Ibid., P. 123.

(٤٠)

(٤١) د. العدوي : الامبراطورية البيزنطية ... ، ص ٥٤ .

(٤٢) د. سيدة كاشف : العرب والبحار ... ، ص ٨٣ .

(٤٣) د. عبد الرحمن الرافعي ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور
الوسطى ، ص ٧٢ .

(٤٤) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤٥) د. علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٤٤ .

(٤٦) د. عبد الرحمن الرافعي ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور
الوسطى ، ص ٧٢ .

(٤٧) د. السيد الباز العريني : مصر البيزنطية ، ص ٤٣٤ .

الباب الثاني

الروم والشواطيء المصرية

حتى الحملة الصليبية الأولى

الفصل الأول : هجمات الروم من ٥٣ هـ حتى حملة ٢٣٨ هـ
• على دمياط

الفصل الثاني : حملة ٢٣٨ هـ وأهميتها وآثارها •

الفصل الثالث : هجمات الروم من ٢٣٨ هـ حتى الحملة
الصليبية الأولى •

الفصل الأول

هجمات الروم من ٥٣ هـ حتى حملة ٢٣٨ هـ على دمياط

تعرضت شواطئ مصر البحرية ، بصفة مستمرة لهجمات الروم . وقد نجحت تلك الهجمات حيناً وأخفقت أحياناً وسنحاول أن نستعرضها بشيء من الإيجاز فيما يلي :

نزل الروم في سنة ٥٣ هـ / ٦٧٣ م بالبرلس (١) وكان والى مصر آنذاك مسلمة بن مخلد (٢) ، فخرج المسلمون اليهم في البر والبحر واستشهد منهم « جمع كثير » (٣) وكنتيجة لهذا الهجوم بنيت أول دار لصناعة الأسلحة بمصر في السنة التالية في جزيرة الروضة حيث وطد العزم على بناء السفن الحربية بها (٤) .

وفي سنة ٩٠ هـ / ٧٠٩ م نزل الروم على دمياط (٥) . وكان والى مصر حينئذ قرّة بن شريك (٦) العبسى (٩٠ - ٩٦ هـ (٧) ٧٠٩ - ٧١٤ م) وذلك في عهد الخليفة الوليد الأول (٨) ، فأسروا خالد بن كيسان أمير البحر وذهبوا به الى امبراطور الروم فأهداه الى الخليفة الوليد بن عبد الملك (٩) من أجل الهدنة التى كانت بينه وبين الروم (١٠) .

والحقيقة انه في نفس الوقت تقريبا ٧٠٩ م كان العرب قد حاصروا الطوانة Tyana وهي احدى قلاع كبادوكيا وهزم جيش الروم الذي أرسل لرد ذلك الهجوم هزيمة فادحة ، واضطرت الطوانة في النهاية للتسليم بعد أن فقدت الأمل في وصول أية نجدة . كذلك قام العرب في الفترة ما بين ٩٢ - ٩٣ هـ / ٧١٠ - ٧١١ م بالعديد من الهجمات على قيليقيا دون ان يقابلوا بأية معارضة ، واستولوا على العديد من القلاع (١١) .

كذلك وصلت اخبار في ٩٦ هـ / ٧١٥ م تفيد باستعدادات بحرية ضخمة للمسلمين على الشواطئ الشامية ، « وقيام أسطول اسلامي سكندري بالتوجه الى موقع يقال له فونكس بآسيا الصغرى لقطع بعض أخشاب السرو لبناء السفن ولزيادة القدرة الهجومية للأسطول الاسلامي » . عندئذ فكر الامبراطور أنستاسيوس الثاني Anastasius II ٧١٣ - ٧١٥ م في القيام بحروب دفاعية وذلك بمهاجمة الأسطول السكندري أثناء انشغاله بقطع الأخشاب ، وقد انتهت الحملة التي أرسلها أنستاسيوس بتمرد أطاح بالامبراطور نفسه (١٢) .

ولقد شاركت البحرية المصرية في الحملة التي قام بها مسلمة بن عبد الملك لفتح القسطنطينية وذلك في سنة ٩٩ هـ / ٧١٨ م ، « فقد وصل من مصر أسطول اسلامي يحمل المؤن والأسلحة » . وقد دخل ذلك الأسطول الى البسفور واتخذ موقعه في (كالوس أجروس Kalos Agros) (١٣) .

ولم تمض سوى سنتين تقريبا حتى تحرك الروم من جديد نحو شاطئ مصر . ففي رمضان ١٠١ هـ / ٧٢٠ م هاجموا كنيس (١٤) ، وذلك في عهد الخليفة يزيد الثاني .

وثنيس هي الثغر المصرى الشقيق لدمياط (١٥) ، وقد ظلت بيد المسلمين الى أن كانت ولاية بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن عبد الملك (١٦) فنزلها الروم « فقتلوا أميرها مزاحم بن مسلمة المرادى فى جمع من الموالى » (١٧) .

أما فى ١٢١ هـ / ٧٣٩ م فقد قام الروم بهجوم ناجح على دمياط للمرة الثانية (١٨) فقد نزلوها فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بأسطول مكون من « ثلاثمائة وستين مركبا » (١٩) فقتلوا وسبوا (٢٠) . ومن المرجح أن ذلك الهجوم أحرز نجاحا ، جزئيا نتيجة للظروف الداخلية التى كانت عليها مصر آنذاك عندما قام الأقباط بثورة كبرى، بالإضافة الى هجوم أقباط النوبة على مصر من الجنوب (٢١) .

وهنا يذكر (كانار) أن تحطيم الروم لأحد الأساطيل المصرية بالقرب من جزيرة كريت حوالى سنة ٧٤٧ م / ١٢٩ - ١٣٠ هـ « أثر فى البحرية المصرية تأثيرا شديدا فأنقصها وزاد من ضعفها ووهنها فى المائة سنة التالية » (٢٢) . وثمة رأى آخر أكثر وضوحا يذكر أن المعركة التى اشتبك فيها أسطول كريت الرومى بالأسطول العربى الكبير المكون من ألف سفينة من مصر والشام بالقرب من جزيرة قبرص والتى انتصر فيها أسطول الروم لأنه كان مسلحا بالنار الاغريقية وانهزم فيها الأسطول العربى ولاذ بالفرار ولم ينج منه سوى ثلاث قطع ، أدت تلك الهزيمة الى اختفاء قوة مصر البحرية فى البحر المتوسط أكثر من قرن من الزمان (٢٣) .

كذلك أثرت الفتنة بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون، وأدت الى امتداد الفتن الى أرض مصر « فطمع الروم فى البلاد ونازلوا دمياط فى أعوام بضعة ومائتين » (٢٤) . فقد استغل

الامبراطور ليو الخامس (٨١٣ - ٩٨ هـ) تلك الظروف الصعبة التي كان عليها المسلمون وأرسل أسطولا حوالى ٨١٧ م / ٢٠٢ هـ لمهاجمة دمياط (٢٥) . وهذا ما دفع الأستاذة الدكتور سعاد ماهر الى وصف الهجمات البحرية التي شنّها الروم على مصر « بطابع الانتهازية » (٢٦) .

ولقد شهدت الفترة التالية عدة اتفاقات بين الجانبين : الاسلامي والرومي . فمثلا في شمال بلاد الشام عرض الثائر العربي نصر على امبراطور الروم أن يعقد معه تحالفا ، وبالرغم من أن ذلك التحالف لم يتم فإن الخليفة المأمون عقد تحالفا مع توماس السلافي - وهو أحد قادة جيش الروم وكان قد هرب الى العرب في عهد هارون الرشيد - وبمساعدة الخليفة توج امبراطورا بواسطة بطريك أنطاكية ، وفي ٨٢٠ م / ٢٠٥ هـ وهو تاريخ مقتل ليو الخامس واعتلاء ميخائيل الثاني العموري العرش ، كان توماس قد استطاع بواسطة المساعدات الاسلامية أن يخترق أرمينيا وأن يضم غالبية المقاطعات العسكرية في آسيا الصغرى اليه ، وبدأ يستعد للمسير الى القسطنطينية . ولم يستطع الامبراطور ميخائيل أن يقضى عليه قبل سنة ٨٢٢ م / ٢٠٨ هـ . ونتيجة لذلك فقد استطاع المسلمون الوصول الى كمخ وقاموا بعدة هجمات بحرية على شواطئ وجزر آسيا الصغرى . وأكثر من ذلك فقد استطاع اللاجئون الذين قدموا من قرطبة واستقروا في الاسكندرية أن يغزوا جزيرة كريت ويستولوا عليها في ٨٢٧ م / ٢١٢ هـ . ورغم محاولات الروم استعادتها عن طريق ارسال حملتين في سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م فانهم اخفقوا « ومنيت الحملة الثانية بفشل ذريع فقد ذبحت قواتها وأفنى أسطولها وهرب قائدها » (٢٧) .

هوامش الفصل الأول

(١) لا يعرف بالتحديد سبب توجيه تلك الحملة البحرية الرومية الى البرلس بالدلت ولكن الراجح ان تلك الحملة وغيرها على الشواطىء الاسلامية كانت رد فعل لهجمات معاوية بن ابي سفيان المتتالية على آسيا الصغرى من ناحية البر خمس عشرة سنة متتالية من ٦٦٢ م حيث استطاع ان يحول فيها سكان ضواح بأكملها الى العبودية . كذلك استطاع في مجال البحر ان يستولى على قبرص ورودس وغيرها من الجزر البحرية التابعة لدولة الروم . هذا وقد تمكن احد قواده من الاستيلاء على جزيرة كيزيكوس *Cyzicus* . كما استطاع جزء من اسطول معاوية في ٦٧٢ م - اى قبل مهاجمة البرلس بسنة تقريبا - من الاستيلاء على *Smyrna* واستولى جزء ثان من الاسطول على بعض شواطىء قيلقية وليكيا . حدث كل في عهد الامبراطور قنسطنطين الرابع *Constantine IV* (٦٦٨ - ٦٨٥ م) والذي شهد هذه دورا فاصلا في الصراع الاسلامى الرومى (*G. Ostrogorsky, Op. Cit., PP. 112 — 124*) .

(٢) مسلمة بن مخلد الأنصارى هو الذى ولى مصر من قبل معاوية « وجمع له الصلاة والخراج والمغرب » . وتوفى وهو وال عليها لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين ، وكانت ولايته عليها خمس عشرة سنة وأربعة أشهر (الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٢٨ ، ٤٠) .

ومسلمة بن مخلد كان يدعى أبو سعد الأنصارى وهو الذى حل محل عقبة الجهنى في مصر وكان الاخير قد ارسل بواسطة معاوية بن ابي سفيان ليستولى على جزيرة رودس في سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ - ٦٦٨ م) . وقد ظل مسلمة حاكما لمصر وشمال افريقيا حتى وفاته في ٦٢ هـ / ٦٨١ م (*Fahmy A.M.I : Op. Cit., P. 139*) .

(٣) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٣٨ . « ومن استشهد في ذلك اليوم وردان مولى عمرو بن العاص وعازر بن ثعلبة البلوى وأبو رقية عمرو بن قيس اللخمي في جمع من الناس كثير » .
Fahmy A.M. : Op. Cit., P. 139.
(٤)

(٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ . ودمياط في ذلك الوقت كانت كورة من كور أرض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا . . ويقال سميت بدمياط من ولد اشمن بن مصرام بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام . دمياط كلمة سريانية أصلها دميظ : أى القدرة ، إشارة الى مجمع العذب والملح (المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٩٩ - ٤٠٠) . أما ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٨ ، ٤٧٢ - ٤٧٣ (حرف الدال) دار صادر بيروت ، والقزوينى : أنوار البلاد وأخبار العباد ص ٩٣ . فيقول عنها أنها مخصوصة بالهواء الطيب وهى من ثغور الاسلام ، عندها يصب ماء النيل فى البحر وعرض النيل هناك نحو مائة ذراع وعليه من جانبيه برجان ، بينهما سلسلة حديد عليها حرس لا يدخل مركب فى البحر ولا يخرج الا باذن ، وعلى سورها مدارس ورباطات كثيرة . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لعمر بن الخطاب : يا عمر سيفتح على يدك ثغران : الاسكندرية ودمياط ، أما الاسكندرية فخرابها من البربر وأما دمياط فهم صفوة من صفوة الشهداء من رابطها ليلة كان معى فى حظيرة القدس .

(٦) الطبرى : تاريخه ، أحداث سنة ٩٠ هـ .

(٧) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٦٤ : ٦٦ « قدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة تسعين وتوفى ليلة الخميس لست بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ، فكانت ولايته على مصر ست سنين الا أياما » .

ويسميه الشيخ عبد الله الشرقاوى فى كتابه تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ج ١ ، ص ١٠٠ (سرى بن شريك) ويصفه بأنه كان ظلوما عسوقا .

Fahmy A.M. : Op. Cit., P. 140.

(٨)

(٩) الطبرى : تاريخه ، أحداث سنة ٩٠ هـ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٥٤٨ أحداث سنة ٩٠ هـ .

(١٠) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 143.

(١١)

كان ذلك فى فترة حكم الامبراطور جستنيان الثانى التى امتدت من

٦٨٥ - ٦٩٥ ، ٧٠٥ - ٧١١ م .

(١٢) د. وسام عبد العزيز فرج : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(١٣) د. وسام عبد العزيز : نفس المرجع ، ص ١٥٩ . من

(Theophanes : Chronographia, Finlay : History of Greece)

(١٤) د. عبد الرحمن الرافعى ، د. سعيد عاشور : مصر فى العصور

الوسطى ، ص ٧٣ ، د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ،
ص ٣٠٣ .

ومن المرجح ان ذلك ايضا كان رد فعل لهجوم مسلمة بن عبد الملك على
القسطنطينية سنة ٧١٧ - ٧٨١ م والذى تضافرت عدة عوامل على اخفاقه
مثل قسوة الشتاء ائذاك ومهاجمة البلغار للقوات الاسلامية ، جنبا الى جنب
مع جيش الروم ، مما دفع الجيش الاسلامى الى الانسحاب من المياه
الرومية (البيزنطية)

G. Ostrogorsky : Op. Cit., PP. 156 — 157.

(١٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٣٠ . سميت تنيس على اسم

تنيس بن حام بن نوح . ويقال بناها قليمون من ولد اريب بن قبطيم احد
ملوك القبط فى القديم . ويقال ان الجنيتين اللتين ذكرهما الله تعالى فى كتابه
العزيز : « واضرب لهما مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اثمار وحفناهما
بنخيل .. » كانتا لاهوين من بيت الملك اقطعهما ذلك الموضع ، فاحسنا
عمارته وهندسته وبنياته . وكان الملك يتنزه فيهما ، ويؤتى منهما بغرائب
الفواكه والبقول ويعمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيبه . فعجب بذلك
الكان احد الاهوين وكان كثير الضيافة والصدقة ، ففرق ماله فى وجوه البر .
وكان الآخر ممسكا يسخر من اخيه اذا فرق ماله ، وكلما باع من قسمه
شيئا اشتراه منه ، حتى بقى لا يملك شيئا .

وصارت تلك الجنة لاهيه ، واحتاج الى سؤاله ، فانتهره وطرده ،
وعيره بالتبذير وقال : قد كنت انصحك بصيانة مالك فلم تفعل ، ونفنى امساكى

فصرت أكثر منك مالا وولدا . وولني عنه مسرورا بماله وجنته . فأمر الله تعالى البحر ، فركب تلك القرى ففرقها جميعا فأقبل صاحبها يولول ويدعو بالثبور .

كذلك كانت تنيس مشهورة بثياب الشروب التي لا يصنع مثلها في الدنيا وكان يصنع بها للخليفة ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من العزل - سداة ولحمة - غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب كذلك اشتهرت تنيس بصناعة كسوة الكعبة المشرفة . (المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٢٩ - ٣٣٨) .

(١٦) قدمها « لسبع مشرة خلت » في ١٧ رمضان سنة ١٠١ هـ (الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٧٠) .

(١٧) الكندى : المصدر السابق نفس الصفحة ، المقرئى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٣١ ، وفي ذلك يقول الشاعر :

الم تربع فيخبرك الرجال بما لاقى بتنيس الموالى

(١٨) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٨٨ ،
M. Canard : Cam. Med. Hist., V. IV Part I P. 699.

د. عبد الرحمن الرافعى ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص ٧٣ .

(١٩) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ ، د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٢٠) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٢١) د. وسام عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٣١٦ - ٣١٧ .
(٢٢) M. Canard : Cam. Med. Hist., V. IV Part I P. 699.

(٢٣) د. وسام عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٢٤) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ . فبعد قيام ثورة في بلاط قرطبة ضد الأمير الحاكم ١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٧٢٢ م ترك بعض المغامرين الأسبان بلادهم وأبحروا مصطححين معهم زوجاتهم وأولادهم ، حتى نزلوا في ضواحي الاسكندرية وكان ذلك حوالى ١١٩ هـ / ٨١٤ - ٨١٥ م وفق رأى الكندى . وبعد .

ان شعروا بقوتهم بعد فترة بدأوا يستغلون الفوضى السائدة في مصر ليعملوا لحسابهم ، واختاروا ابا حفص قائدا لهم ثم استولوا على الاسكندرية في ذي الحجة سنة ٢٠٠ هـ يولية ٨١٦ م وظلوا مسيطرين على الاسكندرية حتى ارسل الخليفة المأمون قائده عبد الله بن طاهر سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ - ٨٢٦ م ليضع نهاية للاضطراب في مصر وقد نجح في اتمام مهمته خلال عامين استطاع خلالهما ان يخضع الحاكم الثائر في صفر ٢١١ هـ مايو ٨٢٦ م وحاصر الاسكندرية في ربيع الأول ٢١٢ هـ يونية ٨٢٧ م واستولى عليها بعد تسعة أيام . هنذئذ خضع الاسبان للقائد العباسي وحصلوا على تعهد بمغادرة الاسكندرية الى اى اقليم رومى خارج نطاق النفوذ الاسلامى ؛ فعزموا على التوجه الى جزيرة كريت ذات الموقع الاستراتيجى والتجارى المهم . وعليه كان غزوهم لتلك الجزيرة في صيف ٨٢٧ م .

(Fahmy A.M. : Op, Cit., PP. 128 — 130)

M. Canard : Cam, Med. Hist., V, IV. Part 1. P. 709. (٢٥)

(٢٦) دق سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ... ص ٨٩ .

M. Canard : Cam, Med. Hist., V. IV. Part 1, (٢٧)
P. 709.

الفصل الثاني

حملة ٢٣٨ وأهميتها وآثارها

كان للعرب الأندلسيين في كريت دور كبير في تحريك تلك الحملة الى شواطئ مصر . وعليه فلكى نتعرف عن كشب على الأبعاد الحقيقية لتلك الحملة ينبغي أن نركز الضوء قليلا على جزيرة كريت آنذاك .

ففي مستهل وصاية الامبراطورة ثيودورا ، أرملة الامبراطور ثيوفيل ٨٢٩ - ٨٤٢ م / ٢١٤ - ٢٢٧ هـ على ابنها القاصر ميخائيل الثالث ٨٤٢ - ٨٦٧ م - ٢٢٧ - ٢٥٣ هـ قرر المسئولون في القسطنطينية ارسال حملة الى كريت لاستردادها من المسلمين . وبالفعل أبحرت تلك الحملة في ١٨ مارس ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ بقيادة ثيوكتستوس فنزل بقواته على أرض الجزيرة وقاتل بشجاعة وأحرز انتصارا على المسلمين الذين فوجئوا بهذه الحملة في الوقت الذي كان فيه أسطولهم يقوم بالاغارة على البحر الايجي (١) .

عندئذ رأى مسلمو كريت أنه من الممكن أن يتغلبوا على ضعف امكاناتهم العسكرية باللجوء الى الحيلة وذلك « بأن رشوا أحد الضباط البيزنطيين وأوعزوا اليه أن يشيع في معسكره أن الامبراطورة ثيودورا عزلت ثيوكتستوس من مجلس الوصاية »

وأنها اختارت أحد منافسيه ليحل محله . عندئذ سرت تلك الاشاعة في المعسكر الرومي حتى وصلت الى ثيوكتستوس نفسه ، فخشى على منصبه وترك جيشه وأسطوله وأسرع بالعودة الى القسطنطينية(٢) .

وهكذا أدى اهتمام ثيوكتستوس بمصالحة الشخصية الى اضاعة الفرصة على بيزنطة في استرداد كريت وتسبب في اخفاق تلك الحملة وتكبيد الدولة خسائر فادحة مادية وبشرية(٣) .

ولما كان العرب الأندلسيون في كريت ، لا يزالون يعرقلون سبل تجارة الروم ويهددون جزر بحر ايجه وشواطئه بالقرصنة ، لذلك أمرت ثيودورا بالاغارة على سواحل مصر لتخريب ما فيها من دار صناعة بحرية مهمة - ترسانة لصناعة السفن - كانت تزود عرب كريت بالسفن والعتاد وأحيانا بالرجال(٤) كان هذا هو أحد أسباب حملة الروم البحرية على مصر ٨٥٢ م / ٢٣٨ هـ . يضاف الى ذلك سبب آخر مهم هو رغبة كل من ثيوكتستوس وثيودورا في الانتقام لما أنزله أهل كريت بحملة ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ ، لكن الضربة لم تكن موجهة تلك المرة الى كريت وانما الى مصر نظرا للرابطة القوية التي كانت تربط حكام مصر بأهالي كريت(٥) .

والمعروف أن كريت كانت تتبع أحيانا الروم وأحيانا أخرى كانت تتبع الخلافة العباسية ، وفي فترات تبعيتها للطرف الأخير كانت تتبع من ناحية التقسيم الإداري للدولة العباسية اقليم مصر(٦) .

كانت كريت تمتد مصر بالعسل النحل والجبن(٧) وكانت تصدر الى مصر وسوريا الأخشاب وزيت الزيتون(٨) . والراجع

أن مصر استخدمت تلك الأخشاب في دار صناعتها لصناعة السفن ،
التي كانت ترسل منها عددا الى كريت كما كانت تمدّها بالسلاح
والعتاد الحربي (٩) وكل ما يدعم حكامها (١٠) .

وقد قيل ان السبب المباشر لتوجيه حملة الى سواحل مصر
في ذلك الوقت (٨٥٣ م / ٢٣٨ هـ) هو ما وصل الى المسؤولين
الروم من أن هناك كمية من السلاح موجودة بمدينة دمياط (١١) .
أراد المصريون حملها « الى أبي حفص صاحب اقريطش » (١٢)
وعلى ذلك كان هدف تلك الحملة هو قطع الاتصال والمعونة البحرية
التي قامت بين مصر - مقر الترسانة - وجزيرة كريت التي غدت
خطرا جسيما يهدد قواعد الروم البحرية في آسيا الصغرى ويهاجمها
باستمرار وبانتظام (١٣) .

وهكذا توجه أسطول رومي الى مصر ، وهنا تجمع غالبية
المصادر العربية على أنه كان مكونا من « ثلاثمائة مركب » (١٤)
بينما يذكر اليعقوبي أن عدده كان « خمسة وثمانين مركبا » (١٥)
والراجح أن اليعقوبي كان يقصد هنا عدد الجزء من الأسطول الذي
بدأ الهجوم . وكان الأسطول بقيادة ثلاثة من قادة الروم البحريين
أشار اليهم الطبري باسم « عرقا وابن قطونا وامزدناقة » (١٦)
أما ابن الأثير فيذكر فقط أن الأسطول كان بقيادة « ثلاثة
رؤساء » (١٧) .

وإذا كان اليوم الذي حدد للهجوم على دمياط هو ٢٢ مايو
٨٥٣ م (١٨) / ٩ ذى الحجة ٢٨٣ هـ (١٩) . فإن ذلك يدل على
« مهارة تدبير الادارة البيزنطية » (٢٠) فقد كان والى مصر في ذلك
الوقت عنبسه بن اسحاق (٢١) آخر وال عربي تقلد أزمة الحكم
في مصر وذلك في عهد الخليفة المتوكل العباسي (٨٤٧ - ٨٦١ م /
٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) (٢٢) .

وهكذا تصادف ذلك الهجوم مع خلو دمياط من حاميتها ،
وقد علل ذلك بسببين : الأول أن عنيسة بن اسحاق أمر الجند
الذين بدمياط أن يحضروا الى الفسطاط عندما اقترب العيد .
« ليتجمل بهم » (٢٣) . والسبب الثانى أن عنيسة أراد ظهور ولديه
يوم العيد حتى يجمع بين العيد والفرح واحتفل بتلك المناسبة احتفالا
كبيرا حتى بلغ به الأمر أن أرسل الى ثغرى دمياط وتنييس فأحضر
« سائر من كان بهما من الجند والخرجية والزرايين » وكذلك
من كان بثغر الاسكندرية من المذكورين (٢٤) . والراجح أن السببين
تضافرا معا على اخلاء دمياط من « مسلحتها » (٢٥) على حد
تعبير ابن خلدون . وان تلك الحامية استدعيت للاشتراك فى عرض
حربى فى الفسطاط رغب الوالى أن يجعله اكبر عرض حربى
ممكن (٢٦) .

ومهما يكن من أمر فان موقع دمياط سهل على الروم العبث
والتخريب فيها على نحو كبير . فدمياط العصور الوسطى تختلف
عن دمياط الحالية التى تقع على الضفة اليمنى لمصب فرع
دمياط ، على بعد اثنى عشر كيلو مترا من البحر المتوسط ويفصلها
عن بحيرة المنزلة شريط ارضى اتساعه كيلو متر واحد ويستندل من
أقوال الجغرافيين العرب فى العصور الوسطى أن دمياط كانت تقع
على قطعة ارض مستطيلة تمتد بين مصب فرع دمياط والبحر
المتوسط ، كما أن الشريط الأرضى الذى يفصلها عن بحيرة المنزلة
كان من ضيق المسافة بدرجة جعلت مياه الفيضان تعلو عليه
وتغمره حتى تبدو دمياط كأنها جزيرة منعزلة فى الماء (٢٧) .

هاجم الروم دمياط « فقتلوا من أمكنهم قتله من الرجال
وأخذوا من الأمتعة والقنء والكتان ما كان عبيا ليحمل الى
العراق » (٢٨) . بل قيل أنهم « هجموا على أهلها وقتلوا جماعة من
المسلمين وأسروا منهم جماعة » (٢٩) .

هنا يبين اليعقوبى مدى فداحة الخسائر البشرية حين يقول :
أن عدد سبايا الروم « من المسلمات ألفا وثمانمائة وعشرين امرأة
ومن نساء القبط ألف امرأة ومن اليهود مائة امرأة » (٣٠) وهو
رأى انفرد به اليعقوبى ، ونحن نرجحه لأنه أقدم من الطبرى الذى
أخذت عنه غالبية المصادر العربية الأخرى حين قال أن عدد السبايا
بلغ حوالى « ستمائة امرأة » (٣١) وأن عدد المسلمات منهن نحو
« مائة وخمسة وعشرين امرأة » (٣٢) .

كذلك استولى الروم على السلاح الذى كان بدمياط (٣٣)
واستولوا على السقط (٣٤) ، كما « أحرقوا خزانة القلوع وهى
شرع السفن وأحرقوا المسجد الجامع بدمياط وأحرقوا
الكنائس » (٣٥) عندئذ هرب الأهالى « فغرق فى البحر نحو
الفين » (٣٦) .

ورغم ما أبداه بعض أهالى دمياط من شجاعة نادرة فى قتال
الروم فإن ذلك لم يغير من نتيجة تلك الغارة التى رجحت فيها
كفة الروم . فقد كسر بسر بن الأكشف - الذى كان قد حبس بأمر
عنيسة - قيوده بواسطة عدد من أعوانه ، وخرج يقاتل الروم هو
وجماعة آخرون ، وبالفعل قتل عددا منهم (٣٧) .

وإذا كان اليعقوبى قد أوضح أن الهجوم الرومى على دمياط
قد استمر « يومين وليلتين » (٣٨) فإن بعض المصادر العربية
أشارت الى أن الروم ولوا مسرعين فى البحر (٣٩) دون أن تشير
الى أية مقاومة من جانب المصريين . بينما يشير الكندى - وأخذ
عنه المقرئى نفس رأى - الى أن عنيسة بن اسحاق نفر اليهم
فى جيشه ونفر معه كثير من الناس فلم يدركوهم ومضى الروم الى
تنيس فأقاموا بأشتومها فلم يتبعهم عنيسة (٤٠) . أما أبو المحاسن

فيفسر اسراع الروم بمغادرة دمياط بقوله : ان ابن الأكشف « هزمهم واخرجهم عن دمياط فنزحوا عنها منهزمين » (٥١) أي أن رحيل الروم عاد بالدرجة الأولى الى استماتة أهالي دمياط في الدفاع عنها .

بينما يعطينا ابن اياس رأيا آخر يؤكد فيه أن المصريين جميعا وقفوا صفا واحدا أمام تلك الحملة حتى أجلوها عن البلاد . فقد ذكر أنه عندما وصلت أخبار تلك الحملة الى مصر في يوم عيد الأضحى « نودى بالنفير فخرج أهل القسطنطينية جميعا وتوجهوا الى ثغر دمياط وتحاربوا مع بني الأصفر فانتصر عليهم عنبسة » وأسر منهم جماعة وهرب الباقون جميعا (٤٢) . وفي ذلك إشارة الى حدوث صدام بين الروم والمصريين آنذاك .

ومهما يكن الأمر فان الروم بما أحدثوه في دمياط كانوا هم المنتصرين لكنهم لم يكن في مخططهم البقاء أكثر من ذلك في الثغر لأن هدفهم كما مر بنا كان الاستيلاء على كل ما يمكن أن يرسل الى كريت لتقوى به ضدهم . وعليه فقد توجهوا بعد ذلك الى أشتوم تنيس (٤٣) .

وقبل أن نستعرض في الحديث عن مصير تلك الحملة بعد مغادرتها دمياط ، نود أن نشير الى أنه رغم كل ما أحرزه الروم من ورائها ، ورغم تحقيقهم للغرض الأساسي من توجيهها فان غالبية (المصادر البيزنطية صمتت تماما عن الإشارة اليها . وكل ما عثرنا عليه من اشارات عن تلك الحملة في المصادر والمراجع الأجنبية قليل جدا . فمثلا (استروجورسكي) اكتفى بالإشارة الى نتيجة الحملة بإيجاز بقوله : « أن دمياط دمرت وحرقت تماما » ثم عقب على الحملة ككل بقوله أنه « لأول مرة يتجاسر

البيزنطيون بالمخاطرة بعيدا في صراع بحري « (٤٤) . أما (برييه) فقد ذكر « أن الحملة البيزنطية البحرية على دمياط أسفرت عن نهب وحرق المدينة » (٤٥) .

كذلك أشار أحد المراجع الأجنبية بإيجاز الى نتائج تلك الحملة بقوله « ان الأسطول استولى على دمياط وأحرقها وقتل عددا من الأهالي وأخذ الباقين أسرى ثم استولى على مخازن السلاح والمؤن » (٤٦) . كما أشار مرجع مشابه الى « أن البيزنطيين قد استولوا على دمياط في ٢٢ مايو ٨٥٣ م » وأن ذلك قد ورد بدون شك في مصدرين عربيين مهمين وأنهما « عززا بأوراق بردى تم كشفها حديثا وترجع أيضا الى أصل عربي » (٤٧) .

والواقع اننا لا ندرى أى مصدرين عربيين يقصد ذلك المرجع الحديث من بين الحشد السابق للمصادر العربية . كذلك لم يورد شيئا عن أوراق البردى التي ذكرها . هذا بالإضافة الى أنه ذكر أن حملة مايو ٨٥٣ م انتهت بالاستيلاء على دمياط ، لكن الحقيقة ان الروم لم يستقروا فيها بعد تدميرهم وتخريبهم لها مما لا يعطيها صفة الفتح المستقر الثابت .

لكن الغارة على دمياط حققت هدفها في الانتقام لهزيمة ثيوكتستوس التي لحقت به من مسلمي كريت ٨٤٣م (٤٨) / ٢٢٨هـ . كما فوتت على مسلمي كريت فرصة الاستفادة من السلاح والمعدات التي قد يحصلون عليها من مصر ورغم ذلك كله - وكما هو واضح لنا - نلاحظ أن غالبية المصادر التي أمدتنا بالمعلومات عن تلك الحملة كانت مصادر عربية لا بيزنطية . وليس هذا بالشئ المستغرب فقد تعرض تاريخ الأسرة العمورية لكثير من التشويه ، ولاخفاء كثير من الانتصارات التي حققها أباطرة تلك الأسرة (٤٩) .

والواقع أن زوخ الحقد والنفسك نجحت عبر القرون في حرمان عهد ثيودورا وثيوكتستوس وسرجيوس « من مجرد اسمه الذي يجعله مشهورا » ذلك العهد الذي وصف في غالبته بأنه « عهد حكم القديسين » (٥٠) .

والواقع أن أحد جوانب القصور الخطيرة في المؤرخين البيزنطيين المحدثين ، هو المدى الواسع الذي سمحوا فيه لأنفسهم أن يخدعوا بواسطة مصادر غيرت تغييرا فعليا بواسطة مؤرخين أرخوا لمصلحة الأسرة المقدونية ، وكان على رأسهم الامبراطور قنسطنطين بورفيروجينيتوس نفسه (٥١) .

نعود مرة أخرى لنتتبع ما حدث لحملة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م بعد مغادرتها لدمياط . فنجد أنها اتجهت شرقا لمهاجمة تنيس ، وهي جزيرة في بحيرة المنزلة تقع بين الفرما ودمياط . ولكن التيار أفسد خطة الروم الذين تخلوا عن متابعة السير نحوها خشية أن تبجنح سفنهم الى الرمال . ومن ثم اتجهوا الى أشتوم التي لا تبعد كثيرا عن تنيس (٥٢) « بينها وبين تنيس أربعة فراسخ وأقل » (٥٣) ، وكانت مركزا حصينا له سور وأبواب حديدية كان المعتصم قد أقامه فاقتحم الروم ذلك الحصن وخرّبوا معظمه (٥٤) . وأحرقوا ما كان به من الآلات الحربية (٥٥) من « المجانيق والعرادات » (٥٦) وأخذوا بعض الأبواب الحديدية وأبحروا عائدين الى بلادهم قبل أن تصل الامدادات الاسلامية من داخل البلاد (٥٧) . « فلم يعرض لهم أحد » (٥٨) .

كان رد فعل تلك الغارة على شواطئ مصر أن أمر الخليفة المتوكل ببناء حصن دمياط في رمضان ٢٣٩ (٥٩) هـ / الموافق فبراير ٨٥٤ م (٦٠) كما أمر بتشديد حصنين آخرين أحدهما في

القرما والآخر في مدينة تنيس ، وقد أشرف على انشائها جميعا أمير مصر عنيسة بن اسحاق وأنفق لهذا الغرض أموالا عظيمة (٦١) .

فما كان من الروم الا أن أعادوا أسطولهم من جديد الى دمياط لتعويق بناء السفن وأعمال الصيانة والاصلاح التي أمر بها الخليفة ومكثوا في دمياط نحو شهر ينهبون كل ما يقع تحت أبصارهم أو تصل اليه أيديهم (٦٢) .

هوامش الفصل الثاني

(١) د. اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ،
ص ٨٦ عن (موناخوس (Monachus) .

وثيوكتستوس هو أبرز أعضاء مجلس الوصاية على الاطلاق في فترة وصايتها على ابنها ولا يرجع نفوذه الكبير الى خدماته المخلصة للامبراطور ثيوفيل لكن يرجع في الحقيقة بالدرجة الاولى الى كونه السبب الرئيسي في اعتلاء ميخائيل الثاني العرش بعد مقتل ليو الخامس ، ونعتبر وظيفة اللغثيث Logothete التي تولاه ثيوكتستوس في عهد ثيودورا ثم ستيليانوس زوتزس Stylianus Zoutzes على عهد ليو السادس من اهم الوظائف العظيمة والمتزايدة الأهمية .

(Cam Med. Hist., V. IV, Part 1, PP: 105, 106, G. Ostrogorsky:
Op. Cit., P. 250).

وللتفصيل أكثر انظر كتاب المرأة في الحضارة البيزنطية للمؤلفة
ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) د. اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ عن موناخوس .

(٣) د. اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٤) د. إسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

(٦) د. اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٥ عن (النعمان :
النجالس والسايرات) .

(٧) د. اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

William H. Meneill : A World History, P. 42. (٨)

Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1, P. 713. (٩)

Ġ. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 222.

(١٠)

(١١) د. اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٨ - ٨٩ .

(١٢) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ (دار المعارف) .

L. Brehler : Viet et Mort, P. 128.

(١٣)

د. سعاد ماهر : البحرية في مصر ... ، ص ٨٩ .

(١٤) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٢ ، ابن الأثير : الكامل ،

ج ٥ ، (ادارة الطباعة - المنيرة ١٣٥٧ هـ) ص ٢٩٢ ، الذهبى : دول

الاسلام ، ج ١ ، ص ١٤٤ ، الياقنى : مرآة الجنان ومبرة اليقظان ، ج ٢ ،

ص ١٢١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ص ٢٩٤ ، ابن العماد :

شذرات الذهب ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(١٥) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .

(١٦) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٣ .

(١٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .

Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1, P. 106.

(١٨)

(١٩) الكندى : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٢٠١ .

المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ،

ج ٢ ، ص ٢٩٤ . حيث ذكرنا أن ذلك كان يوم عرفة ويؤيد هذا ما ذكره

ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٤ من أن (بنو الأصفر) - أى

انروم - جاءوا الى ثغر دمياط سنة ٢٣٨ هـ وهاجموها .. وان الخبر جاء

« الى مصر بذلك فى يوم عيد النحر » أى أن الروم هاجموا دمياط ليلة العيد .

(٢٠) د. العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ... ،

ص ٩٢ .

(٢١) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ص ٢٨٨ ، الكندى : كتاب الولاة

وكتاب القضاة ، ص ٢٠٠ ، أما أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ،

ص ٢٩٣ فيسميه عنبة بن اسحاق بن شمر بن عيسى بن عنبة . أما ابن

اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٤ ، فيكتفى بتسميته عنبة بن اسحق

ابن شمر فى حين يحرف زامباور الاسم بعض الشيء فى كتابه معجم الانساب

والاسرات الحكيمة فى التاريخ الاسلامى ص ٢١ فيسميه عنبة بن اسحق بن

شامر .

- (٢٢) د. العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية
ص ٩١ .
- (٢٣) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ .
- (٢٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .
- (٢٥) ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .
- (٢٦) اسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٣٥ ، د. العدوى :
الامبراطورية البيزنطية ... ص ٩٢ .
- (٢٧) د. العدوى : الامبراطورية البيزنطية ... ص ٩٢ .
- (٢٨) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ . والمقصود بالقند هنا
عسل قصب السكر (مختار الصحاح للرازي . دار التراث العربى - حرف
القاف والتون) .
- (٢٩) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- (٣٠) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
- (٣١) الطبرى : المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الاثير :
الكامل : ج ٥ ، ص ٢٩٢ أحداث ٢٣٨ هـ ، اليافعى : مرآة الجنان وعبرة
اليقظان ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ ،
السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ابن العماد : شذرات
الذهب ، ج ٢ ص ٨٩ .
- (٣٢) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ .
- (٣٣) اليعقوبى : تاريخه ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ ، الطبرى : تاريخه ،
ج ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .
- (٣٤) اليعقوبى : نفس المصدر السابق والصفحة ، والسقط أى المتاع
(مختار الصحاح للرازي ، حرف السين والقاف) .
- (٣٥) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ .
- هنا تعقب الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر على ذلك التصرف بقولها :
انه مما يدل على أن تلك الغارة كان يقصد منها أهداف أوسع من السلب
الذى جرت عليه الغارات التقليدية آنذاك ، وأنها كانت جزءا من سياسة الروم
ازاء أسطول كريت ، أن الجند استولوا على مؤن وذخيرة فى دمياط كانت معدة
للشحن الى كريت .. ثم أحرقوا أشرعة السفن المكدسة فى المخازن البحرية
بدمياط (د. سعاد ماهر : البحرية فى مصر الاسلامية ، ص ٩٠) .

- (٣٦) أليقوبي : تاريخه ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
- (٣٧) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
- (٣٨) أليقوبي : تاريخه ، ج ٢ ، ص ٤٨٨ .
- (٣٩) الياقنى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٤٨ .
- (٤٠) الكندى : كتاب الولاة ، وكتاب القضاة ، ص ٢٠١ ، المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ . ويعقب الكندى على رايه هذا بإيراد شعر ليحيى بن الفضل كتبه للمتوكل يعجب فيه من موقف عنيسة ويتحسر لأن الدين كاد أن يذهب على يد الولاة المتراخين فى أداء واجبه نحو البلاد ويعجب من موقف عنيسة . ومن ذلك الشعر تلك الأبيات :
- أرضى بأن يوطأ حريمك منوة وأن يستباح المسلمون ويحربوا
حمار ألى دمياط والروم وثب بتيس راي العين منه وأقرب
مقيمون بالأشتوم يبنفون مثل ما أصابوه من دمياط والحرب ترب
فما رام من دمياط شبرا ولا درى من العجير ما يأتى وما يتجنب
فلا تنسنا أنا بدار مضيعة بمصر ، وان الدين قد كاد يذهب
- (٤١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .
- (٤٢) ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٢٤ .
- (٤٣) الطبرى : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ ويسمونها أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ (أشمون تيس) .
- G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 222. (٤٤)
- L. Brehier : Vie et Mort, P. 128. (٤٥)
- Cam. Med. Hist. V. IV. Part, 1, P. 713. M. Canard (٤٦)
- Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1, P. 106 (٤٧)
- (The Late H. Grégoire)
- (٤٨) د. اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ٩١ .

- (٤٩) نفس المرجع ، ص ٨٩ .
 Cam. Med. Hist. V. IV, Part. 1, P. 107. (٥٠)
 Cam, Med. Hist. : Ibid., V. IV. Part 1, P. 105. (٥١)
 (٥٢) د. العدوى : الامبراطورية البيزنطية ... ، ص ٩٣ .
 (٥٣) الطبري : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ . وتقع أشتوم عند مدخل بحيرة تنيس . (Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1, 713). أما عن فرسخ الطريق فهو ثلاثة أميال هاشمية وقيل اثنا عشر ألف ذراع وهي تقريبا ثمانية كيلو مترات والكلمة فارسية (المنجد في اللغة والآداب والعلوم - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ص ٦٠٧) .
 (٥٤) الطبري : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ ، د. العدوى : المرجع السابق ، ص ٩٣ .
 (٥٥) د. العدوى : نفس المرجع السابق والصفحة ، د. أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٢٣٥ .
 (٥٦) الطبري : تاريخه ، ج ٩ ، ص ١٩٤ - ١٩٥ .
 (٥٧) د. العدوى : المرجع السابق ، ص ٩٣ .
 (٥٨) الطبري : المصدر السابق ، ص ١٩٥ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٥ (إدارة الطباعة النورية) ١٣٥٧ هـ ، ص ٢٩٢ .
 (٥٩) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
 (٦٠) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية ... ، ص ٩١ .
 (٦١) المقرئ : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .
 Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1. P. 713. (٦٢)

الفصل الثالث

هجمات الروم من ٢٣٨ هـ حتى الحملة الصليبية الأولى

عاود الروم مهاجمة دمياط بحملة ثالثة سنة ٨٥٩ م (١) / ٢٤٥ هـ وكان والى مصر آنذاك يزيد بن عبد الله بن دينار (٢) . فخرج يزيد « الى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس وأربعين » (٣) وأقام بها مدة « لم يلق حربا » (٤) فرجع الى القسطنطينية في ربيع الأول من نفس السنة ، ولكن بمجرد وصوله الى بنها بلغه أن الروم « نزلوا الفرما » فرجع في جيشه « فلم يلقهم » (٥) . وهكذا لم يحدث أى اشتباك بين تلك الحملة وبين أولى الأمر في مصر .

أما في عهد الطولونيين (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م) (٦) . فقد كانت مصر على أيام أحمد بن طولون ومن جاء بعده من الطولونيين - وللمرة الأولى منذ عهد البطالمة - قاعدة لقوة عسكرية مستقلة وقوة سياسية مرهوقة مع استقلال أيضا في سياستها ودور متصاعد في شئون الشرق الأوسط كله (٧) .

فمنذ اللحظة الأولى لتولى أحمد بن طولون شئون مصر سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م ، اتجه الى دعم قوته البحرية ليدفع عن نفسه وولايته محاولات الخلافة العباسية استرداد نفوذها المطلق عليها . ومن ثم اتجه الى الاهتمام بشئون أسطول مصر (٨) . الذى زادت قوته زيادة ملحوظة وأصبح خطرا يتهدد الروم ، وخصوصا بعد أن استطاع أحمد بن طولون بعد تحسن العلاقات بينه وبين الخلافة العباسية من أن ينقل بعض قطع الأسطول الى (طرطوس) فى شمال بلاد الشام وأن يجعلها قاعدة حربية تخرج منها السفن التى تهاجم معاقل الروم فى آسيا الصغرى (٩) .

وإذا كانت بعض المراجع (١٠) قد جعلت ذلك السبب هو الدافع القوى الذى جعل امبراطور الروم باسل الأول Basil I (٨٦٧ - ٨٨٦ م (١١) / ٢٥٣ - ٢٧٣ هـ) يسارع بارسال وفء الى أحمد بن طولون « يخطب وده » ويحمل له هدية قيمة تشمل عدة أسرى من ذوى المكانة المهمة ، وعدة مصاحف ، فقد أرسل « عبد الله بن رشيد بن كاوس وعدة أسرى ، وأنفذ معهم عدة مصاحف منه هدية اليه » (١٢) .

فالحقيقة أن هناك أسبابا كثيرة تضافرت لتجعل امبراطور الروم باسل الأول لا يسارع بالقيام بهجوم بحرى ضد مصر - مقر ابن طولون الأساسى آنذاك - ليجهض تلك القوة البحرية الناشئة قبل أن يستفحل خطرها . ذلك لأنه كان مشغولا بالحرب فى جبهات مختلفة شرقية وغربية وباقرار نفوذ الروم فى أكثر من جبهة .

ففى مستهل حكمه عاد نفوذ الروم من جديد الى السواحل الادرياتي الشرقية وتم انشاء الثيمات الدالماتية . The Theme 'of Dalmatia فى ذلك الوقت أيضا ، كذلك أجنبرت

القبائل السلافية على تقديم التأييد الحربى لدولة الروم . وازداد نفوذ الروم قوة ورسوخا في البلقان . كما شهدت تلك الفترة تحول الكثير من قبائل العرب والسلاف الى المسيحية بواسطة بيزنطة ، وأحرز الروم نصرا مؤقتا على كرواتيا . وبصفة عامة ازداد تأثير الروم ظهورا في كل من بلغاريا ومقدونيا وصربيا (١٣) .

وإذا كان العرب قد استولوا على مالطة في سنة ٨٧٠ م / ٢٥٧ هـ مما دعم مركزهم البحرى أكثر في البحر المتوسط فإن لويس الثانى امبراطور المانيا (١٤) - استطاع أيضا أن يستولى على بارى سنة ٨٧١ م / ٢٥٨ هـ . لكن رغم ذلك وجه الروم كل اهتمامهم لعدة سنوات تالية ناحية الشرق حيث انشغلوا في تتبع البياالقة (١٥) Paulicians في آسيا الصغرى ، وتمكنوا من قتل زعيمهم حوالى ٨٧٢ م / ٢٥٩ هـ ، وبعد ذلك اندفع الامبراطور باسل الى اقليم الفرات في ٨٧٣ م فاستولى على زبطره وسميساط . وإذا كان باسل قد منى بهزيمة قاسية عند ملطية وعند أطراف طوروس فانه اكتفى بما حققه من نجاح جزئى، وكان ذلك فاتحة لعدة حملات حربية منظمة على الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية .

كذلك أعاد الروم سيطرتهم على بارى بايطاليا ٨٧٦ م / ٢٦٣ هـ كما ردوا هجوما عربيا على الأقاليم الساحلية الدلماشية، وعلى اليونان والبلبونيز بل انهم خططوا للاستيلاء على جزيرة قبرص لمدة سبع سنوات . ثم لحق الروم ضربة قوية عندما استولى العرب على سيراكوز Syracuse بصقلية ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م . ولكن في السنوات الأخيرة من حكم باسل الأول - وخصوصا بعد أن أسندت القيادة العسكرية الى القائد نففور فوقاس « عاد جنوب إيطاليا من جديد تحت الحكم البيزنطى » (١٦) .

وما ان وصلت الدولة الطولونية الى شيخوختها وبدأت
مظاهر الاضمحلال الاقتصادي تظهر عليها حتى بدأ الروم يوجهون
ابصارهم اليها من جديد « فبدأوا يستأنفون هجماتهم البحرية على
شواطئها » (١٧) .

بموت هرون بن خمارويه في ١٨ صفر ٢٩٢ هـ (١٨) / ٩٠٥ م
انقرضت الدولة الطولونية وشرد رجالها أو ذبحوا . فلما عادت
مصر الى المكتفى ، ولى عليها عيسى النوشري أحد قواده . « كما
ولى على مديريات مصر جماعة من قواد جيشه الآخرين ، وكان
نصيب دمياط وتنيس معا مهاجر بن طليق » (١٩) .

وفي سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م انتهز الروم اضطراب أوضاع
مصر وهاجموا دمياط بأسطول مكون من « مائتي مركب » وأقاموا
حوالي شهر يثيرون الفساد والاضطراب على الساحل « ويقتلون
ويأسرون » فالتحم المسلمون معهم في عدة معارك (٢٠) .

وعاد الروم لمهاجمة دمياط مرة أخرى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م
فدخلوا المدينة « وأخذوا من فيها وما فيها وضربوا الناقوس في
جامعها » (٢١) .

وفي ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م أسس محمد بن طنج الاخشيد الدولة
الاخشيديّة (٢٢) . فعنى بإنشاء المراكب الحربية ونقل جزءا من
دار صناعة السفن من جزيرة الروضة الى القسطنطينية في دار عرف
باسم « صناعة السفن » وغدت السفن الحربية والتجارية تصنع
في دار صناعة مصر تارة وفي دار صناعة الجزيرة تارة أخرى (٢٣) .

وعندما انشغل الروم بقيادة حنا كوركواس بالحرب مع سيف
الدولة الحمداني - وذلك في الأربعينيات من القرن العاشر الميلادي ،

والثلاثينات من القرن الرابع الهجرى » ولكى يحموا أنفسهم من ذلك العدو الجديد اضطروا للدخول فى علاقات ودية مع خلافة بغداد ومع الاخشيديين فى مصر « (٢٤) لذلك لم نقرأ عن حملات للروم وجهت الى شواطئ مصر فى تلك الفترة .

ولكن كذاب الروم دائما انه كلما لمحوا بادرة صغيرة من بواير الضعف فى شئون مصر سارعوا بإرسال حملة بحرية اليها . فقد انتهز الروم الفتن التى سادت مصر بعد وفاة كافور الاخشيدى (٢٥) . وهاجموا دمياط فى العاشر من رجب ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م « طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، فى بضعة وعشرين مركبا » فقتلوا وأسروا حوالى مائة وخمسين من المسلمين (٢٦) .

وبقيام الدولة الفاطمية كان اهتمام الخليفة المعز لدين الله ، أبو تميم معد (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) بالبحر شديدا ، حتى أن أهالى جزيرة كريت استنجدوا به ضد تهديدات الروم وأوضحوا له أن مجيء الأسطول الفاطمى اليهم يتيح له فرصة الحصول على قاعدة حربية قريبة من القسطنطينية عاصمة الروم ويهيئ للفاطميين مركزا لسيادة شرق البحر المتوسط . . . وبالفعل بادر المعز بالاتصال بالاخشيديين وطلب منهم مساعدته فى تلك المهمة (٢٨) . ولكن تدهور أحوال الاخشيديين بعد وفاة كافور كما رأينا شجعت الروم على مهاجمة دمياط .

هذا وقد وصلت البحرية المصرية فى عهد الخليفة العزيز ، أبو منصور نزار (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) درجة كبيرة من التقدم مكنته من اعداد حملة بحرية لغزو بلاد الروم غير أن تلك الحملة لم تحقق الغرض الذى كانت تجهز من أجله

« لا حتراق مراكيها » (٣٠) عندئذ أرسل امبراطور الروم رسله الى الخليفة العزيز لطلب الصلح وحملهم بالهدايا فوافق الخليفة على الصلح (٣١) .

والحقيقة أن الامبراطور باسل الثاني Pasil II ٩٧٦ - ١٠٢٥ م (٣٢) / ٣٦٦ - ٤١٦ هـ مرت به آنذاك بعض الأحداث اضطرته الى طلب تلك الهدنة من الفاطميين (٣٣) .

لكن الهدنة لم تستمر طويلا « بسبب الصراع الفاطمي الحمداني الذي تحول الى صراع فاطمي بيزنطي بسبب استنجد ولاية حلب الحمدانيين بالبيزنطيين » (٣٤) .

وبوفاة الخليفة العزيز ، خلفه الخليفة الحاكم ، ابو علي المنصور (٣٦٨ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢١ م) الذي « أحرزت الجيوش المصرية في بداية عهده العديد من الانتصارات على الدولة البيزنطية في بلاد الشام » (٣٥) . وعندما وصلت تلك الأخبار الى الامبراطور باسل حزن حزنا شديدا لأنه كان مشغولا حينئذ بحرب البلغار ، فحرص على أن يستتب الأمن والسلام في بلاد الشام حتى يتفرغ لحربه مع البلغار ، اذ كان يخشى من تدخل الفاطميين في بلاد الروم ، لذلك طلب عقد هدنة سنة ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م لكن الحاكم بأمر الله بعث له باجابة غير مرضية مما جعل الامبراطور يصمم على الاتجاه بنفسه الى بلاد الشام مرة أخرى تاركا القيادة في بلغاريا لنقفور أورانوس (٣٦) .

وبالفعل قدم الامبراطور باسل بنفسه الى بلاد الشام ٩٩٩ م / ٣٩٠ هـ وأحرز عدة انتصارات على الفاطميين فيها (٣٧) . وعندئذ علم بوفاة ملك الكرج الذي كان قد أوصى بملكه قبل وفاته

لباسل ، لذلك أسرع باسل بالعودة وضخم بلاد الكرج الى امبراطوريته (٣٨) . وبوصول باسل للقسطنطينية وجد هناك سفارة بعثها الحاكم بأمر الله برثاسة أريسطس Arestes بطريك بيت المقدس يطلب عقد هدنة لمدة عشر سنوات وذلك ١٠٠١ م / ٣٩٢ هـ (٣٩) .

وهناك رأى آخر يذكر أن امبراطور الروم هو الذي أرسل رسله الى مصر لطلب الهدنة وأن الحاكم أعد عدته لاستقبال السفراء وبالنسبة في تزيين القصر وفي الحفاوة برسول الروم ، وتم الاتفاق على صلح لمدة عشر سنوات (٤٠) .

ومهما اختلفت الآراء فإن ما نود أن نؤكد هنا هو أنه عقدت هدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات . إلا أن تلك السياسة الودية ما لبثت أن تبدلت الى علاقة عدائية عندما علم الامبراطور البيزنطي بنبا السياسة العدائية التي اتبعها الحاكم ازاء النصارى (٤١) ، وظل الأمر كذلك حتى عهد الخليفة الظاهر أبى الحسن على (٤١١ - ٤٢٧ هـ (٤٢) / ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) فعملت عمته ست الملك التي كانت وصية عليه على اقامة علاقات ودية بين مصر ودولة الروم (٤٣) .

تلا ذلك فترة من الهدوء النسبي بين الجانبين ففى سنة ٤١٨ هـ / ١٠٢٧ م عقدت معاهدة بين امبراطور الروم قنسطنطين الثامن Constantine VIII ١٠٢٥ - ١٠٢٨ م / ٤١٦ - ٤١٩ هـ وبين الخليفة الظاهر تمت بمقتضاها الموافقة على الدعوة للظاهر فى الخطبة فى جامع القسطنطينية (٤٤) . كذلك عقد الظاهر معاهدة صداقة مع الامبراطور رومانوس الثالث Rumanus III Argerus (١٠٢٨ - ١٠٣٤ م) (٤٥) .

وفي أوائل عهد الخليفة المستنصر بالله أبو تميم معد ٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م كانت العلاقة بين الدولة الفاطمية ودولة الروم على شيء من الصفاء أيضا . ففي سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م تم الاتفاق بين الخليفة المستنصر والامبراطور ميخائيل الرابع Mighael IV (١٠٣٤ - ١٠٣٤ م (٤٧) / ٤٢٦ - ٤٣٣ هـ) .

ثم تجددت العلاقات الودية بين الخليفة المستنصر والامبراطور قنسطنطين التاسع مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢ - ١٠٥٥ م / ٤٣٤ - ٤٤٧ هـ) . وعليه ففي ٨ ذي الحجة سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م وردت هدية من الامبراطور قنسطنطين التاسع للخليفة المستنصر بالله الفاطمي « كان من جملتها بغل وحصان من أحسن الدواب وأغلاها قيمة ، كل منهما عليه ثوب ديباج رومي منقوش ثقيل ، وخمسون بغلا عليها مائة صندوق مصفحة بالفضة ، فيها آنية الذهب والفضة ، منها مائة قطعة بميناء ، وفيها من الديباج والسندس والابريسيم والعمائم المعلمة ما لا يقدر على مثله ، فعوض عن هديته بمثلها من حق مصر ومن الجواهر والمسك والعود والطراز ، عمل تنيس ودمياط ، ما هو أكثر قيمة مما بعثه » (٤٨) .

وفي ١٠٤٧ - ١٠٤٨ م / ٤٣٩ - ٤٤٠ هـ وقعت معاهدة بواسطة قنسطنطين مونوماخوس ، الذي تبادل في مناسبات عديدة السفارات مع الخليفة الفاطمي المستنصر . وفي ١٠٥١ - ١٠٥٢ م / ٤٤٣ - ٤٤٤ هـ تمكن الامبراطور قنسطنطين من القبض على الرسول الذي كان متوجها الى حاكم شمال افريقيا الثائر وأخبر به الخليفة المستنصر بسرعة (٤٩) .

وقد وقع اتفاق جديد بين الجانبين في ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م - أثناء الشدة العظمى (٥٠) التي عانت منها مصر آنذاك - وقد نص

الاتفاق على أن يمد الامبراطور مصر بالغلل والأقوات ليستطيع الخليفة بذلك أن يقاوم الغلاء والمجاعة التي حلت بمصر في تلك السنة (٥١) . « فقد هلك الناس بالجوع وفنيت ذخائر مصر بعد مقاساة شديدة من غلاء السعر . وكان القمح والشعير يجلب من بلاد الأندلس وبلاد النصارى . وكان التجار الذين يجلبونه يأخذون فيه الجواهر والياقوت وغير ذلك من ذخائر مصر » (٥٢) .

وقد اختلفت الآراء عن مدى تنفيذ الاتفاق السابق الذكر . فبينما يذكر العيني أن الامبراطور أرسل للمستنصر « أربعمائة أردب » من غلات بلاده (٥٣) . أو بمعنى آخر أمد الفاطميين بالقمح (٥٤) . يذكر رأى آخر أن الامبراطور قنسطنطين التاسع مات قبل أن ينفذ الاتفاق (٥٥) .

لكن مهما كان الأمر فإن الامبراطورة ثيودورا Theodora التي خلفته اشترطت مساعدة الفاطميين الحربية ضد السلاجقة في مقابل امدادها لهم بالقمح ، فلما رفض المستنصر منعت عنه القمح (٥٦) . فما كان من المستنصر الا أن أرسل حملة حربية الى انطاكية فردت الامبراطورة على ذلك بإرسال حملة بحرية سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م . فأرسل المستنصر الى القسطنطينية بالقاضى عبد الله القضاعى لتسوية الخلاف بين الدولتين (٥٧) .

ولكن ثيودورا لم تهتم بوجود رسول المستنصر ، بينما سمحت لرسول السلطان طغرلبيك السلجوقى بالخطبة للخليفة القائم العباسى ، فغضب المستنصر واستولى على نفائس كنيسة القيامة (٥٨) .

ولم تلبث دولة الروم أن دخلت فى مرحلة حرجة من تاريخها « بدأ فيها موكب الغروب ليسجل بداية النهاية لتلك الدولة وهى الفترة الممتدة من ١٠٥٧ - ١٢٠٤ م » (٥٩) .

ويجمل لنا الأستاذ الدكتور حسنين ربيع معالم تلك الفترة بقوله : انه ب وفاة الامبراطورة ثيودورا في ١٠٥٦ م / ٤٤٨ هـ انتهت الأسرة المقدونية وبدأت فترة من الفوضى والاضطراب استمرت لمدة خمس وعشرين سنة انتهت بتولية الكسيوس كومنين عرش الامبراطورية وكانت أهم ملامح تلك الفترة من الفوضى والاضطراب التي شاهدها الدولة البيزنطية بين سنتي ١٠٥٦ - ١٠٨١ م ما حدث من زيادة النزاع بين الفئات العسكرية في المناطق الثغرية من أرباب السيوف وأفراد السلطات البيروقراطية في العاصمة القسطنطينية من أصحاب الأقاليم ، وما حدث من تغيرات اجتماعية واقتصادية هزت المجتمع البيزنطي ، وما تعرضت له بيزنطة من أخطار خارجية من النورمان والبشناق Patzinaks والسلاجقة وغيرهم «(٦٠)» .

ويكفي للتدليل على مدى الهزات التي أصيبت بها دولة الروم آنذاك أن نذكر هزيمة الروم في موقعة مانزيكرت ١٠٧١ م / ٤٦٣ هـ على يد السلاجقة وأسر الامبراطور رومانوس الرابع ديوجين (١٩٦٨ - ١٠٧١ م) على يد السلطان ألب أرسلان السلجوقي (٦١) وما ترتب على تلك الموقعة من نتائج خطيرة بالنسبة لدولة الروم . ذلك أنها لا تقل عن معركة اليرموك . لأن مانزيكرت قررت مصير آسيا الصغرى ، واليرموك قررت مصير الشام ، فلقد كانت خسارة دولة الروم لولايات شرق آسيا الصغرى دليلا وبرهانا على قرب موت دولتهم أو بداية النهاية لحياتها « فعندما فقدت الدولة البيزنطية ولاياتها الغنية في آسيا الصغرى أصبحت القسطنطينية رأسا حرم من الجسد الذي يسنده »(٦٢) .

وبوصول الكسيوس كومنين الى عرش الروم ١٠٨١ - ١١١٨ م كان عليه أن يواجه الأخطار الثلاثة السابقة الذكر : السلاجقة والبشناق والنورمان .

والواقع أن الخطر الأخير كان أشد وأقوى من أى وقت مضى بظهور أطماع روبرت جويسكارد النورماندى فى عرش القسطنطينية نفسها (٦٣) . وبوفاة جويسكارد بالطاعون فى بداية ١٠٨٥ م دخلت إيطاليا فى فترة من الاضطراب واستراحت دولة الروم من الخطر النورماندى لعدة سنوات (٦٤) .

وفى ١٠٩٠ - ١٠٩١ م هوجمت القسطنطينية برا وبحرا بواسطة البشناق فاستخدم الكسيوس كومنين الدبلوماسية البيزنطية فى الاستعانة ببعض القبائل البربرية خاصة الكومان الذين قدموا من سهول جنوب روسيا فى التخلص من الخطر البشناقى ، وانتهى الأمر بهزيمة البشناق فى معركة جبل ليفونيون Mt. Levunion الشهيرة فى ٢٩ ابريل ١٠٩١ م (٦٥) .

وباستيلاء السلاجقة على بيت المقدس ١٠٧٧ م كان على دولة الروم أن تبحث عن وسيلة تحمى بها الأراضى المقدسة باعتبار أن تلك الأراضى كانت يوما ما ضمن دائرة نفوذها . وربما كان ذلك هو الدافع لألكسيوس كومنين لطلب جنود مرتزقة من الكونت روبرت فلاندر Count Robert of Flanders الذى زاره أثناء حجه سنة ١٠٨٩ م أو بداية ١٠٩٠ م والذى أعطاه وعدا بإرسال خمسة آلاف فارس ، وكان نفس المطلب هو الذى رمى اليه الكسيوس عندما طلب المساعدة من روما وعلى رأسها البابا أوربان الثانى Urban II « ولكن الأحداث تطورت بطريقة غير مرغوب فيها وغير متوقعة ففى الوقت الذى بدأت فيه الحملة الصليبية الأولى تأخذ طريقها الى الشرق بسرعة كان الامبراطور الكسيوس يعد نفسه لحملة عسكرية الى آسيا الصغرى وبعد مرور خمسة عشر عاما قضاها امبراطور الروم فى صراعات مع جبهات معادية مختلفة وجد نفسه أمام خطر جديد لم يحسب حسابه (٦٦) .

ولم تلبث أن تطورت الأحداث بسرعة ووصل العديد من أمراء الغرب إلى القسطنطينية فما كان من الامبراطور الكسيوس إلا أن جعلهم يقسمون له يمين الولاء والطاعة وتم بين الجانبين اتفاق ١٠٩٧ م تعهد الأمراء الصليبيون بمقتضاه « أن يمدوا للامبراطور كل ما استولوا عليه من مدن كانت تتبع فيما مضى الامبراطورية البيزنطية » ووعدهم الامبراطور في مقابل ذلك بدل ما يحتاجون اليه من مؤن ومعدات عسكرية وان يولى بنفسه قيادتهم مع كل قواته . ولقد وافق جميع أمراء الصليبيين على ذلك الاتفاق فيما عدا ريموند التولوزي (٦٧) .

وقد نفذ الصليبيون بالفعل اتفاقهم مع امبراطور الروم . فعور استيلائهم على نيقية في يونيو ١٠٩٧ م سلموها للامبراطور . لكن ما ان استولى الصليبيون على انطاكية في يونيو ١٠٩٨ م حتى انتهت علاقات الود والتآلف بين الصليبيين والروم وبدأت تظهر المنافسات الدفينة بين أمراء الصليبيين انفسهم (٦٨) . وبمسير آخر كان استيلاء الصليبيين على انطاكية ١٠٩٨ م « معروفا للطرق » (٦٩) سواء بالنسبة للعلاقات بين دولة الروم والصليبيين أو بين الصليبيين انفسهم .

وهنا يتبادر للذهن سؤال عن حقيقة موقف دولة الروم من مصر وشواطئها آنذاك ؟ خصوصا بعد ان لمنا مدى حرص دولة الروم باستمرار على عدم التفريط في مصر .

هنا يشير (رنسيمان) الى ان الامبراطور الكسيوس كومنن نصح الصليبيين أثناء تواجدهم بالقسطنطينية بالوصول الى شىء من التفاهم مع الفاطميين في مصر (٧٠) . وبالفعل ارسلت سفارة صليبية لهذا الغرض من نيقية (٧١) .

وقبل أن نسترسل في تتبع تلك السفارة ونتائجها نود أن نتوقف قليلا لنتعرف عن قرب على هدف الكسيوس كومنين الحقيقي من وراء نصيحته تلك . وهنا لن نجد تفسيراً أصدق مما دونته ابنته الأميرة المؤرخة أنا كومنينا نفسها عندما قالت « أنه عندما كان يتصارع عدوان للروم بعضهما مع بعض كان من الضروري أن يساعد الامبراطور - والدها - الأضعف ، وليس ذلك بهدف أن تزداد قوته ، لكن لكي يتغلب على خصمه الآخر ، ثم بعد ذلك يستطيع الامبراطور أن ينتزع البلد من المنتصر ويجعلها ضمن ممتلكاته ، ويتلو ذلك أن يأخذ بالتدريج بلداً بعد آخر . وهكذا يستطيع الامبراطور أن يوسع رقعة الامبراطورية الرومانية التي أصبحت محدودة جداً وخصوصاً بعد أن زادت قوة سيف الأتراك زيادة ملحوظة » (٧٢) .

والواقع أن ذلك كان الهدف البعيد الذي رمى اليه الكسيوس من وراء نصيحته تلك للصليبيين ان صبح تسليماً بها . وعلى ذلك يتحالف الصليبيون والفاطميون ويقضى الحليفان على الأتراك السلاجقة عندئذ تسنح الفرصة للكسيوس فيسهل عليه استعادة ممتلكات الروم من أيدي السلاجقة ، ثم بعد ذلك يأتي دور الفاطميين بعد أن تزداد قوته وسطوته . والراجح أن ذلك كان السبب في عدم وجود أي احتكاكات رومية مصرية في ذلك الوقت .

بل أن المصارع والمراجع المختلفة تسهب في الكلام عن مشروع التحالف الفاطمي الصليبي (٧٣) . في ذلك الوقت والذي يعتبر - في رأينا - رد الفعل الطبيعي لتوصية الكسيوس والسفارة الصليبية الى مصر ، رغم إشارة رنسيومان الى أن الصليبيين لم يأخذوا بنصيحة الامبراطور (٧٤) .

وقد فصل لنا وليم الصورى الحديث عن ملابسات ذلك التحالف بصورة توضح مدى جهل الفاطميين فى مصر بمغزى الحركة الصليبية آنذاك . حيث ذكر فى روايته « أن المصريين كانوا ينظرون نظرة شك الى أى تقدم يحرزه (الفرس والأتراك) (٧٥) ، ولقد سر (أمير مصر) (٧٦) سرورا بالغاً لسماعه أخبار فقدان قلج أرسلان السلجوقى لثيقية ولحصار المسيحيين أنطاكية . وعندما طال حصارها وخشى من اخفاق أهلنا أرسل مبعوثين من قبله ليرجو القادة أن يستمروا فى الحصار وأكد للمسيحيين أن السلطان (٧٧) سيمدهم بالتأييد العسكرى والمؤن ، وكان عليهم أيضا أن يكسبوا ود القادة وأن يوقعوا معهم معاهدة صداقة » . ثم يؤكد وليم الصورى أن المبعوثين المصريين « قوبلوا بحفاوة واحترام من قادة جيشنا » (٧٨) .

وكانت أهم النقاط التى دارت حولها المفاوضات الفاطمية الصليبية عندئذ هى أن تكون أنطاكية والمنطقة الشمالية من بلاد الشام للصليبيين ، وتكون بيت المقدس والأراضى المقدسة فى جنوب بلاد الشام للفاطميين (٧٩) .

استمع الصليبيون الى المقترحات الخاصة بالتحالف الصليبي الفاطمي بسرور (٨٠) واستقبلوا سفراء الفاطميين بمودة (٨١) . وكيف لا يفرحون وهذا غاية ما كانوا يتمنونه ، حيث يكفل لهم ذلك التحالف التخلص من نصف الجبهة الاسلاميه آنذاك .

وبعد عدة اسابيع عاد المبعوثون الفاطميون الى مصر محملين بالهدايا ومصنوحين بسفارة صليبية صغيرة (٨٢) ، للتفاوض مع أولى الأمر فى مصر (٨٣) .

ولكن الأفضل لم يلبث أن أرسل جيشا استولى على بيت المقدس ١٠٩٨ م ويقال أن ذلك حدث أثناء وجود السفارة المصرية

في معسكر الصليبيين أمام أنطاكية (٨٤) . بينما يشير رأى آخر الى أن ذلك تم أثناء وجود السفارة الصليبية التي جاءت بعد ذلك الى مصر لتأكيد التحالف الصليبي الفاطمي (٨٥) .

وثمة رأى يذكر أن الوزير الفاطمي الأفضل نظر الى الصليبيين على أنهم « جنود مرتزقة لامبراطور الروم » (٨٦) . وعليه دخل معهم في مفاوضات للتحالف ضد السلاجقة السنيين أعداء الفاطميين . وهذا يوضح لنا أنه حدث في ذلك الوقت تقارب بين كل من أولى الأمر في مصر وامبراطور الروم ، ومما يعضد ذلك الرأى أن ثمة اتفاقا سريا تم بين امبراطور الروم والفاطميين في مصر . وقد شاء سوء الحظ أن تقع رسالة بهذا المعنى موجهة من الامبراطور الى الوزير الأفضل في أيدي الصليبيين عقب موقعة عسقلان مباشرة (٨٧) .

والذى نود أن نبرزه هنا هو أن دولة الروم لم تقم قبيل قدوم الحملة الصليبية الأولى الى الشرق وفي أثناء تواجدها به بأى هجمات على شواطئ مصر لانشغالها بالقضية الصليبية التى جرت على مسرح بلاد الشام . ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع الصليبي الرومى على الأرض المقدسة يحل محل أى تطلعات أخرى لدولة الروم .

هوامش الفصل الثالث

- (١) G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 227. Cam Med. Hist., V. IV. Part 1, P. 713. M. (Canard), Cam, Med. Hist. V. IV, Part, 1, P. 110 (The Late H. Grégoire)
- ويذكر المرجع الأخير أن ذلك كان في يونية ، يولية من السنة .
- (٢) قدم يزيد الى مصر « يوم الاثنين لعشر بقين من رجب » ٢٤٢ هـ . (الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٢٠٢) .
- (٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .
- (٤) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٢٠٣ .
- أما أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ . فيذكر أنه عاد الى مصر قبله نزول الروم الى دمياط مرة ثانية فخرج اليهم فلم يلقهم . فأقام بالثغر مدة ثم عاد الى مصر .
- (٥) زامبور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ص ١٤٣ ، د. مبددة كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ، ص ١٧ . Cam. Hist, of Islam, V, 1, P. 184. (٧)
- (٨) د. سعاد ماهر : البحرية في مصر الاسلامية ، ص ٩١ . ويضيف نفس المرجع أن ابن طولون جدد بناء دور الصناعة التي تصنع بها السفن ودب النشاط في القواعد البحرية في دمياط والاسكندرية .
- (٩) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٩٢ .
- (١٠) المرجع السابق نفس الصفحة .
- G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 578. (١١)

- (١٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٢٨ . كان ارسال حاكم منطقة الثغور العربية الذي كان قد وقع أسيراً في أيدي الروم دليلاً على رغبة الامبراطور في كسب ود أحمد بن طولون (د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ١٢) .
- G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 236. (١٣)
- G. Ostrogorsky : Ibid., P. 600. (١٤)
- (١٥) انظر كتاب المؤلفة : الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى ، ص ١٧١ - ١٧٨ .
- G. Ostrogorsky : Op. Cit., PP. 237 — 239. (١٦)
- هنا يضيف استروجورسكي : « ان روما نفسها التي كانت مهددة بواسطة الهجمات العربية المستمرة على السواحل الإيطالية ، اضطرت لطلب النجدة من الامبراطور البيزنطي . وهذه نقطة جديرة بان يلفت اليها النظر عن الموقف التسامح الذي اتخذته البابوية في الشؤون الدينية آنذاك تجاه البيزنطيين » .
- Gam. Hist of Islam. V.I. P. 181. (١٧)
- (١٨) الكندي : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، ص ٢٤٦ . فقد ذكر ان هرون قتل ليلة الأحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة الثنتين وتسعين ومائتين « وهنا أخطأ الشيخ عبد الله الشرقاوى في كتابه تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ، ج ١ ، ص ١٢٧ حين ذكر ان هرون توفى في سنة ٢٩١ هـ .
- (١٩) نقولا يوسف : تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، ص ١٠٩ .
- (٢٠) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ .
- (٢١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٨٢ .
- (٢٢) د. سيده كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٢٢) د. سيده كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 276. (٢٤)
- (٢٥) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ ، زامبور : معجم الانساب ص ١٤٤ . أما الشيخ عبد الله الشرقاوى : تحفة الناظرين ... ، ج ١ ، ص ١٢٩ فقد أخطأ في تحديد سنة وفاة كافور حين ذكر أنها كانت سنة ٣٤٩ هـ . والصحيح ان هذا التاريخ هو تاريخ وفاة اوتوجور بن الاخشيد الذى قيل ان

كافور دس له السم فمات (د. سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، ص ١٢٥) .

(٢٦) المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٠١ . هنا تذكر الدكتور سعاد ماهر أن ذلك كان فى العاشر من يونية ٩٥٨ م ولكن الراجع أنها ٩٦٨ م . بمقابلتها بالتاريخ الهجرى الذى ذكره المقرئى وبلاستعانة بزامبور : معجم الانساب ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٢٧) زامبور : معجم الانساب ... ، ص ١٤٤ .

(٢٨) د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٩٤ - ٩٦ .

(٢٩) زامبور : معجم الانساب ... ، ص ١٤٤ .

(٣٠) د. حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٧ . اذا كان الدكتور حسن ابراهيم يذكر هنا أن الحملة كانت قد أرسلت بالفعل الا أن الدكتور سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٩٨ تذكر أنها كانت فى مرحلة الاعداد ولو أنها أخطأت فى ذكر السنة حيث قالت أنها ٩٦٦ م وهى تقابل بذلك ٣٨٦ هـ ، ولكن الراجع أنها ٣٧٧ هـ لأن الروم بعثوا بعدها فى طلب الصلح من العزيز . وتفصل لنا الدكتور سعاد ماهر الحديث عن احتراق تلك الحملة أثناء اعدادها بقولها : « أن الروم هالهم قوة الأسطول المصرى فى العصر الفاطمى فلجأوا الى بعض أساليب القدر والخيانة لمرقلة استعدادات الفاطميين البحرية ، فقد حدث سنة ٩٦٦ م أن أمر الخليفة العزيز بالله باعداد أسطول عظيم فى دار الصناعة بالمقس للهجوم على قواعد الروم المجاورة للشام ، ولكن ما كادت دار الصناعة تفرغ من بناء السفن حتى نشبت فيها النار وأحرقت معظم قطع الأسطول وانهم الخليفة الفاطمى تجار الروم وعملاءهم من مدينة أمالفى بتدبير هذا الحادث واعترف الروم بجريمتهم وغادروا البلاد مطرودين » (د. سعاد ماهر : المرجع السابق ص ٩٨ عن Bréhier : Vie et Mort de Byzance

Cam. Med. Hist. V. IV., Part, 1. P. 724.

(٣١)

د. الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، طبعة ١٩٦٥ ، ص ٦١١ .

د. سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص ٩٨ ، د. حسن ابراهيم حسن

تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٧ ، د. على ابراهيم حسن : مصر فى العصور

الوسطى ، ص ٢٨٢ . ويذكر المرجعان الأخيران أن أهم شروط ذلك الصالح كانت : اطلاق سراح أسرى المسلمين ، الدعاء للخليفة الفاطمي بجامع القسطنطينية في خطبة الجمعة ، وأن تكون هذه الهدنة بين الفريقين سبع سنين . أما أسد رستم ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥ فيذكر أن مسجد القسطنطينية كان قد أقيم منذ القرن الثامن (عن Siumberger, Dolger)

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 578.

(٣٢)

(٣٣) بعد هزيمة الامبراطور باسل في بلاد البلغار بدأت الارستقراطية البيزنطية تشجع على الثورة فتجهز سكليروس لغزو آسيا وكان يدعى الملك لنفسه في حين أن برداس فوكاس لم يكن أقل طموحا من سكليروس ولم ينس ما نزل به في السنوات القليلة الماضية من الاذلال والمهانة بأن عزله عن دمشق الشرقية التي يتولى صاحبها القيادة العامة للجيش البيزنطية في الشرق . يضاف الى ذلك أن بارداس اتخذ معه الامبراطور نقفور فوقاس مثله الأعلى ثم أعلن نفسه امبراطورا في أغسطس سنة ٩٨٧ م / ٣٧٧ هـ . وهكذا أصبح هناك امبراطوران في آسيا برداس سكليروس وبرداس فوقاس (يسميهم أسد رستم البرداسيين) . وامبراطوران بالقسطنطينية (باسل وقسطنطين) وخشي الأولان اذا تطاحنا أفاد من ذلك الآخران فتحالفا واتفقا ضد عدوهما المشترك . وعلى ذلك بدأ باسل يستعين بالجند المرتزقة من الروس ليوازن بذلك الانشقاق الداخلي في امبراطوريته بينه وبين كبار القواد . وأدت تلك الظروف مجتمعة الى خوف باسل من الدخول في حرب مكشوفة مع الفاطميين فسعى لعقد هدنة معهم سنة ٣٧٧ هـ (د. الباز العريني : الدولة البيزنطية طبعة ١٩٦٥ ، ص ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ طبعة ١٩٦٣ ، ص ٦٨ ، د. أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٥٤) .

Grousset : L'Empire du Levant, P. 123.

(٣٤)

ولقد سيطر الحمدانيون على حلب في الفترة ما بين سيف الدولة أبي الحسن على ٣٣٣ هـ الى اخضاع الفاطميين لمرتضى الدولة أبي نصر منصور بن لؤلؤ ٤٠٦ هـ (زامبور : معجم الانساب ، ص ٢٠١) استنجد سعد الدولة الحمداني (٣٥٦ م - ٣٨١ هـ) بالروم ضد الفاطميين فقدم اليه جيش رومي بقيادة ميخائيل بورتزيه ، لكن لحقت بهم الهزيمة وأسر قائد الروم (Grousset : Op. Cit., P. 123) وبعد وفاة سعد الدولة حاول الفاطميون الاستفادة من صغر سن ابنه سعيد الدولة (٣٨١ - ٣٩٢ هـ)

للاستيلاء على حلب فاستنجد سعيد الدولة بالامبراطور باسل الثاني وكتب اليه « لتأت مسرعا يا باسل ، ان الصوت الوحيد أو الاشاعة بمجيئك سوف تجبر المصريين على فك الحصار » فتقدم باسل بنفسه ، وكان قد فرغ من حرب البلغار ، ووصل في ربيع الثاني ٢٨٥ هـ في سرعة مذهلة فقدم اليه اميرها فروض الولاء والطاعة ، وتقدم باسل فاستولى على شيزر وحمص ورفقنيه من الحاميات الفاطمية .

د. سعيد هاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٦٨ ، (Grousset : Ibid., P. 124) عندئذ افاق الأمير الحمداني من الصدمة وأدرك الخليفة الفاطمي خطأه في استمرار النزاع بينهما فقرر عقد الصلح ٢٨٥ هـ ثم رأى الخليفة العزيز الخروج بنفسه لقتال الروم حتى اذا ما وصل الى بلبس توفي في رمضان ٢٨٦ هـ / ١١٦٦ م (ابن القلائس . ذيل تاريخ دمشق ، ص ٤٤ ، ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، د. علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٨٢ .

Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1. P. 724).

Lane-Poole, St. : A Hist. of Egypt... V.I. P. 159, (٣٥)

Cam. Med. Hist. V. V, Part, 1. P. 725. Grousset : L'Empire du Levant, P. 124.

(٣٦) د. الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٤ (طبعة ١٩٦٥) .

(٣٧) د. الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٦٧٦ ، أسد رستم :

الروم ، ج ٢ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

Grousset : L'Empire... P. 125, Cam. Med. Hist. V. IV. Part, 1.

PP. 724 — 725.

(٣٨) أسد رستم : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

(٣٩) د. الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧٧ (طبعة

Cam. Med. Hist. V. IV. Part. 1. P. 725.

(١٩٦٥) .

(٤٠) د. أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٥٧ ، د. علي ابراهيم

حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٨٢ - ٢٨٤ ، د. حسن ابراهيم حسن :

تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٨ .

William of Tyre : A History of Deeds done (٤١)

beyond the Sea. V. I. PP. 66 — 67.

وقد فصل وليم الصوري تلك السياسة الشاذة للحاكم بأمر الله وعلى رأسها « نيش كنيسة السيد المسيح » أى كنيسة القيامة بيت المقدس : واو أننا نرجح أن ذلك فيه مبالغة شديدة من جانب وليم كعبده دائما مع المسلمين عامة فكيف لا يكون هذا رأيه فى الحاكم بأمر الله .

(٤٢) زامبور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة ... ، ص ١٤٤ .

(٤٣) د. على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٤ .
أرسلت تقفور بطريرك بيت المقدس سفيرا الى الامبراطور ليبلغه أمر الاجراءات التى اتخذت فى القاهرة لصالح النصارى وتجديد بناء الكنائس .

وهنا خطأ د. أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٦٥ فى نقطتين حين ذكر أن التى كانت تقوم بالوساية فى ذلك الوقت كانت أرملة الظاهر ، والحقيقة انها عمته ست الملك كما ذكر كذلك أن الذى كان قاصرا هو المنتصر ، والحقيقة انه الظاهر .

Lane-Poole. St. : A Hist. of Egypt... V. 1, P. 126. (٤٤)

تقرر فيها الخطبة للظاهر ببلاد الروم وافتتاح الجامع فى القسطنطينية وتزويده بالحصر والقناديل ومده بمؤذن ، وعند ذلك اذن الظاهر بفتح كنيسة القيامة التى بالقدس (المقرئى : الخطط ، ج ١ ، ص ٣٥٥ ، د. على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٤ ، د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٨)

William of Tyre : Op. Cit., V.I, P 69 (٤٥)

(٤٦) زامبور : معجم الانساب ... ، ص ١٤٥ .

(٤٧) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، دار صادر وبيروت ١٩٦٦ ، ص ٤٦٠ . وقد تم الاتفاق بينهما على أن يطلق الروم خمسة آلاف أسير وان يعمروا كنيسة القيامة التى كانت قد خربت أيام الخليفة الحاكم بأمر الله . فاطلق امبراطور الروم الأسرى وأرسل من عمر الكنيسة وانفق عليها أموالا كثيرة ، كذلك أصبح للامبراطور حق اختبار بطريرك بيت المقدس « ولو أن ذلك لا يفهم منه أن هناك أية حماية فرضت من الجانب البيزنطى على الأماكن المقدسة » .
(Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, P. 726.

(٤٨) المقرئى : اعطاء الحنفى بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ،

ج ٢ ، ص ١٩٤ .

Cam. Med. Hist. V. IV. Part, 1. P. 726.

(٤٩)

(٥٠) هنا يذكر عبد الله الشرقاوى فى كتابه تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ، ج ١ ، ص ١٣٩ أنه حدث فى عهد المستنصر (غلاء عظيم لم يهد مثله الا ما كان فى زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى اكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعد جوهر وطلبت عوضه مدبر قلم يوجد من يأخذه) .

Cam. Med. Hist. V. IV. Part, 1. P. 726.

(٥١)

د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٩ ،
د. على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٤ .

(٥٢) تحقيق الدكتور حسن نصار : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ ، ص ٧٩ . . ويضيف نفس المرجع ، ص ٧٨ « أن المستنصر لقي شدايد وأهوالا وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر فأخرج فيها أمواله وذخائره الى أن بقى لا يملك غير سجاده التى يجلس عليها وهو مع ذلك صابر غير خاشع » .

(٥٣) العيني : عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان جزء ١٥ مجلد ١ ،
ص ٩٨ . مخطوط بدار الكتب رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٥٤) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٦٩ . من

(Dolger, Regesten)

(٥٥) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٩ ،
د. على ابراهيم حسن ، مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٤ .

Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1, P. 726.

(٥٦)

Wustenfelfd

د. أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ٧٨ عن

وقد نسيت ثيودورا أن مصر كانت يوما ما مخزن قمح القسطنطينية .

(٥٧) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٥٩ ،
د. على ابراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٥ . يذكر عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله ، ص ٢٢٣ « أن أبا عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاى ، الفقيه المحدث المؤرخ ، ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وتوفى سنة ٤٥٤ هـ وكان من أقطاب الحديث والفقه الشافعى ، وتولى القضاء

وغيره من مهام الدولة في عهد المستنصر بالله وأوفده المستنصر إلى ثيودورا
امبراطورة القسطنطينية سنة ٤٤٧ هـ .

(٥٨) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٧ .

Cam. Med. Hist. V. IV. Part 1, P. 726.

(٥٩) د. حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ،
ص ١٥٦ .

(٦٠) د. حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

G. Ostrogorsky : Op. Cti., P. 344. (٦١)

ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٦٥ (دار صادر وبيروت ١٩٦٦ -
١٣٨٦ هـ) واللب أرسلان حكم من ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ (زامبور : معجم
الانساب ... ، ص ٢٢٣) .

(٦٢) د. حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٩٠ - ١٩١ .
Vryonis

(٦٣) كان روبرت جويسكارد زعيم النورمان قد انتهى في ١٠٧١ م - وهي
التي سبق أن ذكرنا أنه حدثت فيها موقعة مانزيكرت - من الاستيلاء على مدينة
باري وهو العمل الذي جعله سيد جنوب إيطاليا ومن هذا المركز في أبوليا
استطاع روبرت جويسكارد تحقيق انتصارات سريعة بغزوه ما تبقى من أقاليم
صفيرة للدولة البيزنطية في داخل إيطاليا وسهلت انتصاراته في جنوب إيطاليا
استرداد صقلية من المسلمين . وأصبح جويسكارد دوقاً لأبوليا واعتبر نفسه
خليفة شرعياً للأباطرة البيزنطيين ، وقد ذهبت آمال جويسكارد إلى أبعد من
ماضى جنوب إيطاليا فقد انتهز فرصة ضعف الدولة البيزنطية من الداخل
ومشاكلها الخطرة في الخارج وتطلع إلى تحقيق حلمه في الاستيلاء على التاج
الامبراطوري البيزنطي . د. حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

G. Ostrogorsky : Op. Cti., P. 358. (٦٤)

G. Ostrogorsky : Ibid., P. 360. (٦٥)

G. Ostrogorsky : Ibid., PP. 361 — 363. (٦٦)

G. Ostrogorsky : Ibid., P. 363. (٦٧)

كان أمراء الصليبيين الذين وافقوا على اتفاقية ١١٩٧ م هم جودفري

برايون دوق اللورين وهيو أف فرماندوا شقيق ملك فرنسا وروبرت النورماندي
شقيق ملك إنجلترا وروبرت أف فلاندرز وبوهيموند النورمانى ابن روبرت
جويسكارد .

G. Ostrogorsky : Ibid., P. 364.

(٦٨)

(٦٩) د. حنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

Runciman : Op. Cit., V. 1, P. 229.

(٧٠)

Runciman : Ibid., V. 1, P. 230.

(٧١)

Anna Comnen : The Alexiad ... P. 158.

(٧٢)

William of Tyre : Op. Cit., VI. P. 224, J. Pra-

(٧٣)

wer : Op. Cit., T. 1, PP. 219 — 220. Runciman : Op. Cit., V. I, P. 229, Stevenson : The Crusaders in the East, P. 26.

هنا يذكر الأستاذ الدكتور سعيد عاشور نقلا عن

Riant : Inventaire des Lettres des Croisades.

ان الصليبيين لم ينسوا نصيحة الامبراطور البيزنطى مما جعلهم يرجعون
بالسفارة التى ارسلها اليهم الافضل فى اوائل ١٠٩٨ م أمام أنطاكية .

Runciman : Ibid., V. I, P. 229.

(٧٤)

(٧٥) يقصد بالطبع الخلافة العباسية والسلاجقة .

(٧٦) يعنى هنا الوزير الفاطمى الافضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ،

الحاكم الفعلى لمصر آنذاك من ٤٨٧ — ٥١٥ هـ (زامبور : معجم الانساب ...

ص ١٤٩) ١٠٩٤ — ١١٢١ م والذى ظل يحكم مصر طوال عهد الخليفة المستعلى

والعشرين سنة الاولى من حكم الخليفة الامر (د. عاشور : الحركة الصليبية

ج ١ ، ص ١٩٧) .

(٧٧) يقصد الخليفة الفاطمى .

William of Tyre : Op. Cit., V. I, PP. 223 — 224.

(٧٨)

J. Prawer : Op. Cit., T.I, P. 220, Runciman .

(٧٩)

Op. Cit., VI. P. 229.

د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

- J. Prawwer : Ibid., T. I, P. 220. (٨٠)
Runciman : Op. Cit., V. I, P. 229. (٨١)
Runciman : Ibid., V. I, P. 229. (٨٢)
J. Prawwer : Op. Cit., T. 1, P. 220. (٨٣)
د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١٦٨ . (٨٤)
J. Prawwer : Op. Cit., T. 1, P. 220. (٨٥)
Runciman : Op. Cit., V. 1, P. 229. (٨٦)
د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، عن (Chalandon : Alexius Comnene) (٨٧)

الباب الثالث

التحالف بين الصليبيين والروم ضد مصر

- **الفصل الأول : الصليبيون وضرورة الاستيلاء على مصر**
- **الفصل الثاني : الدور الايجابي للتحالف بين الصليبيين والروم**
- **الفصل الثالث : الهجوم الصليبي الرومي على دمياط ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م**

الفصل الأول

الصليبيون وضرورة الاستيلاء على مصر

تجددت هجمات نور الدين محمود (١) على ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام بعد فشل الحملة الصليبية الثانية ، ففتح ما تبقى في يد الصليبيين من امارة الرها ، واستولى على مدن عديدة تقع في شرق امارة أنطاكية . وقد حاول بلدوين الثالث ملك بيت المقدس (١١٤٤ - ١١٦٢ م / ٥٣٩ - ٥٥٨ هـ) أن يوقف تلك القلاقل والاضطرابات بتجديد التحالف القديم مع دمشق من جهة وبازدياد التقرب من مانويل امبراطور الروم (٢) (١١٤٣ - ١١٨٠ م / ٥٣٨ - ٥٧٦ هـ) من جهة أخرى . وهو ما أشار اليه (أبو شامة) بقوله : « أن المصالحة بين ملك الفرنج وبين ملك الروم تقررت والمهادنة انعقدت » وذلك في ٥٥٤ هـ (٣) / ١١٥٩ م .

بل انه لمن المرجح أيضا ان العلاقات المصرية الصليبية والمصرية الرومية كانت مستتبة الى حد ما في ذلك الوقت أيضا . فقد ذكر (ابن ميسر) أنه في ٥٥٢ هـ / ١١٥٨ م « وصل رسول الفرنج يطلب الصلح ورسول من صاحب قسطنطينية يطلب مراكب نجدة له على صاحب صقلية » لذلك فعندما خرجت القوات المصرية في البر والبحر في تلك السنة عادوا بكثير من الأسرى منهم شقيق

صاحب جزيرة قبرص فأكرمه الصالح - طلائع بن رزيك وزير مصر آنذاك - وسيره الى امبراطور الروم (٤) .

ولقد ظل الاتصال مستمرا بين مملكة بيت المقدس ودولة الروم ، أثناء حكم بلدوين الثالث وعمورى الأول (١١٦٢ - ١١٧٤ م (٥) / ٥٥٨ - ٥٧٠ هـ) . بل أن علاقات الروم مع الصليبيين ظلت حسنة طيبة حتى نهاية عهد مانويل الذى ظل « محافظا على احترامه للأمراء الفرنجة مكبرا فيهم مثلهم العليا فى الفروسية طوال أيامه » (٦) . وقد تزوج كل من بلدوين وعمورى من بيت كومنين . كما تزوج مانويل من ماريا أميرة أنطاكية وابنه ريموند (٧) .

ولم يلبث بلدوين الثالث أن هدد بغزو مصر حوالى ١١٦٠ م (٨) / ٥٥٦ هـ أو ١١٦١ م (٩) / ٥٥٧ هـ منتهزا فرصة الفوضى التى عمتها عقب مقتل الخليفة الفائز ٥٥٥ هـ (١٠) / ١١٦٠ م ، ولكن الحكومة الفاطمية استطاعت أن تثنيه عن محاولته مقابل تعهدها بدفع جزية سنوية قدرها مائة وستون ألف دينار (١١) .

وقد أفاد بلدوين الثالث من حملته تلك على مصر بأن أحيط علما بفكرة حقيقية عن مدى ضعفها وأيضا بمدى أهميتها الاستراتيجية . وقد جهز نفسه لعملية سياسية وعسكرية لاسترجاع غزة وأخذ عسقلان . وقد أتبعته تلك السياسة خلال العشر السنوات التالية أى خلال فترة حكم أخيه وخليفته عمورى الأول (١٢) . والواقع أن مصر بدأت تحتل مكان الصدارة فى خطط الفرنجة منذ عهد جودفرى بوايون وبلدوين الأول (١٣) . « ولم يتركوا التفكير فى مشروع التحالف البيزنطى ، بالرغم من خيبة الآمال المتراكمة فيه » (١٤) .

وبوفاة بلدوين الثالث واعتلاء أخيه عموري عرش مملكة بيت المقدس ، وبالتحديد في مستهل حكمه ، تحجج بعدم وفاء الفاطميين بوعدهم بدفع جزية سنوية ، وقام بمغامرته الأولى فغزاها في سبتمبر ٥٥٨ هـ / ١١٦٣ م وعبر برزخ السويس وحاصر بلبيس ولكن ضرغام استغل فرصة فيضان النيل وأجبر عموري الأول على الانسحاب الى فلسطين(١٥) . بل قيل أن المصريين حفرُوا الخنادق وأجبروه على الانسحاب(١٦) .

ومع أن عموري الأول عاد الى فلسطين فاشلا ، فإن تلك الحملة الاستطلاعية لم تخل من فائدة بالنسبة له وللصليبيين ، يكفي أنها أطلعتهم عمليا على مدى ضعف مصر وعظم ثروتها وسهولة الاستيلاء عليها » وهذا ما كتبه عموري الى لويس السابع ملك فرنسا «(١٧) . مما جعل عموري يستعد لغزوة كبرى تمكنه من وضع يده على مصر . ولقد كان أخطر ما يخشاه عموري في رأى (ستون) أن تقع مصر في قبضة النفوذ السوري السنّي الاسلامي، وبذلك تطوق الامارات اللاتينية هذا بالاضافة الى أهمية مصر ومينائها العظيم ، الاسكندرية ولقد كان ذلك هو سبب اصرار عموري فيما بعد على الاندفاع جنوبا(١٨) .

ومن ناحية أخرى فإن جرأة عموري في مهاجمة مصر أثارت مخاوف نور الدين محمود الذي كان قد استولى على دمشق ١١٥٤ م / ٥٤٩ هـ وأخذ يتطلع الى الاستيلاء على مصر لاتمام الجبهة الاسلامية المتحدة من ناحية واحكام حصار مملكة بيت المقدس الصليبية من ناحيتي الشمال والجنوب من ناحية أخرى(١٩) .

هنا تدخل القدر ليسرع بتحقيق رغبات كل من نور الدين وعموري في مصر . فقد خرج على وزير مصر المسمى شاور

السعدى (٢٠) ، رجل يقال له ضرغام وتغلب عليه وقتل ولده وتولى الوزارة مكانه « كان يروم منصبه ومكانه فجمع له جموعا كثيرة لم يكن له بها قبل وغلب عليه وأخرجه من القاهرة » . وقتل ولده طيا وولى الوزارة (٢١) . وخطورة ذلك الوضع كانت تكمن في أن المصريين كانوا يخضعون للأقوى وأن « قوتهم كانت بعسكر وزيرهم وهو الملقب عندهم بالسلطان » (٢٢) .

لذلك عندما قهر شاور - أمير الجيوش أبو شجاع - وأخرج من القاهرة اتجه الى بلاد الشام وقصد نور الدين بن زنكى في ربيع الأول ٥٥٨ هـ مستصرخا ومستنصرا على ضرغام بن سوار الملقب بالمنصور (٢٣) فطلب نور الدين من أسد الدين شيركوه الخروج الى مصر لأنه لم ير لهذا الأمر الكبير أقوم ولا أشجع منه (٢٤) . وذلك « قضاء لحق الوافد المستصرخ وحفظا للبلاد وتطلعا على أحوالها » (٢٥) الى جانب رغبته الملحة في « الاستيلاء على اقليم اشتهر بالهرطقة (المذهب الشيعى) اعادته الى المذهب الصحيح ، وهو المذهب السنى واتمام تطويق مملكة بيت المقدس » (٢٦) .

فاستجاب أسد الدين بسرعة لطلب نور الدين ، فقد « كان هوى أسد الدين في ذلك وكان عنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالى معه بمخاوفه » (٢٧) . وقد قيل ان شاور شرط لنور الدين أنه ان سير معه قواته ليقوى بهم على خصمه ضرغام وينتزع الوزارة منه « أن يكون لنور الدين حصته من البلاد ويكون شاور متصرفا تحت أمره ونهيه واختياره » (٢٨) وبمعنى آخر اطمع شاور نور الدين في البلاد وقال له : « اكون نائبك بها واقنع بما تعين لى من الضياع والباقي لك » (٢٩) .

ولا عبرة هنا بما ذكره ميخائيل السرياني من أن سبب استنجد بعض المصريين بنور الدين هو تشككهم في نوايا الملك عمورى الذى كان قد قدم لأخذ الضريبة السنوية (٣٠) .

ويبدو أن نور الدين كان مترددا في بادئ الأمر في إرسال حملة الى مصر ، وربما يرجع ذلك الى سببين : أولهما في رأى برويه « أن الذى يطلب النجدة أو الدعم السورى هو شاور وحزبة وأن ذلك يجعل من الممكن أن يصبح نور الدين سيدا لبلد شيعى (٣١) . والثانى هو الخوف من أن يتورط في ذلك المشروع وهو لا يزال أمام أعداء أقوياء في الشام (٣٢) . فكان يقدم في ذلك رجلا ويؤخر أخرى » تارة تحمله رعاية قصد شاور وطلب الزيادة في الملك والتقوى على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق وكون الفرنج فيه إلا أن يوغلوا في البر فيتعرضوا لخطر آخر مع الخوف من الفرنج أيضا (٣٣) . والدليل على ذلك أنه « استخار الله سبحانه في ذلك » ثم خرج بنفسه بصحبة أسد الدين « الى طرف بلاد الاسلام مما يلى بلد الافرنج في بقية العسكر ليشغلهم عن التعرض لأسد الدين » (٣٤) . وصحب أسد الدين معه ابن أخيه صلاح الدين على كره منه (٣٥) . وكان ذلك في جمادى الأولى ٥٥٩ هـ (٣٦) .

وثمة رأى لابن شداد يذكر فيه أنهم وصلوا الى مصر في جمادى الآخرة ٥٥٨ هـ (٣٧) . والراجح أنه أخطأ في ذكر السنة . وأنها سنة ٥٥٩ هـ (٣٨) ١١٦٤ م (٣٩) لاجماع المصادر والمراجع على ذلك ، بل أن (ستيفنسون Stevenson) « يعتبر سنة ١١٦٤م نقطة تحول في تاريخ تلك الفترة لأنها شهدت أولى خطوات الوحدة بين مسلمى مصر وسوريا » (٤٠) .

وفي الوقت الذى استنجد فيه شاور بنور الدين ، استنجد ضرغام بالصليبيين ، وتعهد لعمورى ، مقابل مساعدته ، أن يعقد

معه معاهدة تصبح مصر بمقتضاها تابعة للصليبيين(٤١) . والحقيقة أن عمورى وجد في تلك الحرب « وسيلة للافلات من مصيدة نور الدين وازدياد الاتصال المباشر المثمر بالتجارة الشرقية(٤٢) » الا أن جيش القائد الكردي الماهر شيركوه وصل قبل الجيش الصليبي رغم كبر سن أسد الدين(٤٣) .

وعند اقتراب أسد الدين من مصر خرج الى لقائه ناصر الدين أخو الضرغام بقوات مصر ، فلقبهم فانهزم ناصر الدين وعاد الى القاهرة ، فلما وصل أسد الدين القاهرة خرج اليه ضرغام فقتل عند مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب(٤٤) . « وبذلك كانت مدة وزارة ضرغام تسعة أشهر وعشرة أيام » وعاد شاور الى وزارته الثانية آخر جمادى الآخرة ٥٥٩ هـ (٤٥) / آخر مايو ١١٦٤ م (٤٦) .

عندئذ طلب أسد الدين من شاور أن يفي له بما تعهد به ، فتنكر له شاور بل طلب منه الرجوع الى الشام(٤٧) فامتنع أسد الدين وطلب منه ما وقع الاستقرار عليه فلم يجبه شاور «(٤٨) . وأمام اصرار شاور على النكث بالعهد وعلى الغدر أرسل أسد الدين نوابه الى مدينة بلبيس فتسلموها وحكم اقليم الشرقية(٤٩) . وعندئذ خاف شاور من قوات الشام(٥٠) واستنجد بالفرنج(٥١) وخوفهم من نور الدين وأنه ان ملك مصر فلن ينعموا بالاستقرار(٥٢) .

والحقيقة أن الفرنج كانوا في حالة خوف شديد عندما سمعوا بتوجه قوات نور الدين الى مصر فقد أيقنوا بالهلاك اذا استولى عليها نور الدين ، لذلك فعندما وصلتهم رسل شاور تطلب المساعدة ساروا بذلك وسارعوا بتلبية طلبه(٥٣) .

وهنا يؤكد (برييه) ذلك القول بأن عمورى لم يتردد في التدخل وأنه لبي رغبة شاور « كي يحطم الخطر الذي قد يطوق

الامارات المسيحية ، اذا وفق نور الدين في تقوية وتعزيز مركزه في وادي النيل « (٥٤) . وبذلك نجح شاور في تأليبهم ضد أسد الدين بعد أن وعدهم باعطائهم مبلغا من المال (٥٥) وبمعنى آخر عقد معهم صلحا (٥٦) ووعدهم « بتأييد عسكري ومساعدة مالية » (٥٧) .

عندئذ ساروا الى مصر . فوصلت تلك الأخبار الى نور الدين فما كان منه الا أن سار بقواته الى أطراف بلادهم ليمتنعوا عن المسير ، لكنهم لم يكثرثوا لذلك لعلمهم « أن الخطر في مقامهم اذا ملك أسد الدين مصر أشد من الخطر في مسيرهم » لذلك ترك ملك بيت المقدس بعض قواته في مملكته وسار بالقوات الباقية الى مصر ، مستعينا في ذلك بجموع الصليبيين الكثيرة التي وفدت لزيارة بيت المقدس في ذلك الوقت (٥٨) كي لا يستنزف دفاع المملكة (٥٩) .

كان أسد الدين في ذلك الوقت - كما سبق القول - متحصنا في مدينة بلبيس « معتمدا على مساعدات عرب كنانة » (٦٠) فهاجمته القوات المصرية بقيادة شاور والقوات الصليبية بقيادة عموري (٦١) التي اتحدت لأول مرة (٦٢) وحاصروه ببلبيس عدة اشهر (٦٣) فاستبسل في قتالهم رغم بساطة معداته وتحصيناته لكنهم لم ينالوا منه شيئا (٦٤) .

وثمة رأى هنا لأبن أيبك يذكر فيه أن أسد الدين عندما رأى اتحاد الصليبيين والمصريين ضده ، واشتم رائحة الغدر من شاور، أرسل الى الملك عموري وطلب منه الصلح على أن يعطيه ما بقي معهم من مال ، وأخبره أنه اذا رفض فسوف يستبسلون في القتال ضدهم « فان تركت البغي ، وقنعت بما في أيدينا من فضلات نفقاتنا نفذناها اليك . . وان أبيت فنحن والله ما يقتل الواحد منا حتى يقتل عدة منكم . . » (٦٥) .

لم تلبث أن وصلت الى مسامع الصليبيين عندئذ أخبار
استيلاء نور الدين على حارم (٦٦) ، ثم توجه بعد ذلك الى بانياس
لأخذها فساورهم الخوف فراسلوا أسد الدين في الصلح وتسليم
ما بيده من البلاد الى المصريين فوافق (٦٧) . ويقال أن سبب موافقته
أنه « لم يعلم بما فعله نور الدين بالفرنجة في الساحل » (٦٨) .
وأن الأقوات قلت مع قواته (٦٩) و « علم عجزه عن مقاومة الفريقين
فصالحهم » (٧٠) وعاد الى بلاد الشام بعد أن « بذلوا له
قطيعة » (٧١) ونحن نرجح أن قلة الأقوات مع شيركوه هي التي
جعلته يوافق بسرعة على الصلح .

وجع شيركوه وكله رغبة في العودة الى مصر ، « عاد منها
وقد غرس في قلبه الطمع في البلاد وعرف أنها بلاد بغير رجال ،
تمشى الأمور فيها بمجرد الإيهام بالمحال » (٧٢) . ولكنه انشغل مع
نور الدين في تدبير أمور بلاد الشام ولم ينس مطلقا التفكير في
الرجوع الى مصر « أقام بالشام مدبرا لأمره مفكرا في كيفية
الرجوع الى البلاد المصرية » (٧٣) .

ويرى (ستون) أن تلك الحملة التي كان يرجى من ورائها
نتائج مختلفة تماما للصليبيين ، « انتهت وهم في مأزق بسبب
الحكم المتفائل للملك » (٧٤) عموري الأول ، اذا أخذنا في اعتبارنا
شدة الحاجة الى تقوية الحدود الشمالية في مواجهة نور الدين .

هنا يشير (ستون وبروييه) أنه منذ ذلك الوقت أيضا بدأ
نور الدين يشعر بالخوف من أي تدخل بيزنطي يحفظ توازن القوى
في شمال سوريا (٧٥) وان ذلك كان سبب احجامة عن مهاجمة
أنطاكية نفسها (٧٦) .

وهكذا انتهت تلك الجولة وعاد الجميع وكلهم رغبة في العودة ثانية الى مصر : فأسد الدين كانت في قلبه « نار لا تنطفئ من فعل شاور » (٧٧) وكان تفكيره دائماً في كيفية الرجوع الى مصر (٧٨) . وربما كان نور الدين نفسه مهياً جداً في ذلك الوقت لما يدور في خلد شيركوه لأنه كان في قلبه من شاور حزازة لكونه غدر بأسد الدين شيركوه واستنجد عليه بالفرنج (٧٩) .

أما عمورى فكان يطمع في العودة الى مصر لينعم بثرائها وبموقعها الاستراتيجي الممتاز ، لكى يستطيع في نفس الوقت ان ينعم بشيء من الراحة تجاه نور الدين وتوسعاته .

والحقيقة ان أشد ما كان يخشاه نور الدين - كما سبق الذكر - هو الخوف من تحالف بين الروم والصليبيين يضعه بين فكي الكماشة ، يضاف الى ذلك رغبته الملحة في ضم مصر الى حظيرة المذهب السني والسيادة العباسية .

ومهما يكن من امر فقد رغب نور الدين في أن يمتلك مصر ، لذلك أمر أسد الدين « بتجنيد الأجناد واستخدام الرجال » (٨٠) .

كذلك ما ان سبر شاور غور أسد الدين واستشف حقيقة ما في نفسه من طمع في مصر وأنه لابد له من قصدها (٨١) حتى اشتد خوفه على البلاد من الأتراك ، فأعاد الاستنجد بالصليبيين مرة ثانية ، واتفق معهم على أن يحضروا الى مصر « ويمكنوه فيها تمكينا كلياً ويعينوه على استئصال أعدائه » (٨٢) .

وما ان علم عمورى الأول بخروج شيركوه - الذى يصفه ستون - « بالثابر » في يناير ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ متجها الى مصر « ليستعيد مكاسبه فيها » (٨٣) أو للانتقام من شاور (٨٤) ،

حتى عقد مجلسا في نابلس ضم كبار رجال مملكته وتقررت فيه ضرورة ارسال حملة جديدة لتعترض سبيل شيركوه ، وقد قرر المجلس أن يدفع رجال الدين والمدنيين ممن لن يصاحبوا تلك الحملة الى مصر ضريبة تقدر بحوالى ١٠٪ على كل الممتلكات ، وعليه فقد جمع الملك قواته وتقدم بها في آخر يناير في حملته الثالثة على مصر . وفى تلك المرة أراد الصليبيون أن يعقدوا اتفاقية مع شاور تضمن لهم أجرهم قبل أن يساعده في محاربة شيركوه ، فما كان من شاور الا أن جدد تعهداته السابقة لعمورى من جديد . وبالفعل تم توقيع اتفاق جديد بين عمورى من ناحية وشاور من ناحية أخرى ، بل أن الملك عمورى حرص على اعطائها صفة رسمية فأرسل سفارة الى الخليفة الفاطمى زارته في مصر حيث تم اعتماد الاتفاق (٨٥) .

هنا يذكر (ابن شداد) أن جيش أسد الدين شيركوه وصل مصر في نفس الوقت الذى وصل فيه جيش عمورى اليها « مقارنا لوصول الفرنج اليها » (٨٦) . أما غالبية المصادر العربية الأخرى (٨٧) فتشير الى أن شيركوه وصل أولا ثم تلا ذلك استنجاد شاور بملك بيت المقدس . ويتفق ونسيمان مع الراى الثانى حيث يذكر أن قوات عمورى « وصلت متأخرة جدا » (٨٨) .

بينما انفرد أبو شامة برواية أخرى توضح أن الملك عمورى هو الذى أخبر شاور بتحرك شيركوه الى مصر فأعاد شاور طلب النجدة منه فسار عمورى بجيشه الى مصر بجوار البحر بينما كان أسد الدين يسير في البر فسبقه الفرنج ونزلوا بلبيس واجتمعوا بشاور وانتظروا وصول الجيش النورى ، عندئذ وصلت تلك الأخبار لأسد الدين فغير طريقه ووصل الى الصعيد وعبر الى البر الغربى فلم يستطع الفرنج وشاور اللحاق به (٨٩) .

جاء الصليبيون الى مصر وكان « الرجاء يقودهم والخوف يسوقهم » (٩٠) وكان أسد الدين شيركوه قد عبر النيل الى البر

الغربي ، ذلك أنه عمل حسابا لاستنجد شاور بالصليبيين ، فلم يشأ أن يغامر بقواته في القيام بهجوم على القاهرة (٩١) . وسار الى الصعيد واستقر في مكان يعرف بالبابين فتتبعته القوات المصرية والصليبية وأدركوه في الخامس والعشرين من جمادى الأولى ٥٦٢ هـ (٩٢) / ١٨ مارس ١١٦٧ م (٩٣) . وقد استطاع شيركوه أن ينزل بهم هزيمة ساحقة رغم قلة قواته بالنسبة لقواتهم ورغم محاولة بعض أصحابه اقناعه بالرجوع الى الشام (٩٤) . وكان ذلك « من أعجب ما يؤرخ أن ألفى فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل » (٩٥) .

وقد قتل في تلك المعركة « العديد من فرسان الصليبيين وأسر حشد كبير أيضا ، بالاضافة الى استيلاء المسلمين على كمية كبيرة من معدات العدو الحربية » (٩٦) .

وهكذا رجع شاور والملك عمورى الى القاهرة « في أنحس الأحوال » (٨٧) أما أسد الدين فقد سار الى الاسكندرية « ففتح له حاكمها أبوابها » (٩٨) وتسلمها من أهلها بغير قتال (٩٩) ، ثم أناب بها ابن أخيه صلاح الدين وسار هو الى الصعيد فاستولى عليه « وجبى أمواله » (١٠٠) .

عندئذ حشد الصليبيون من جيش عمورى بالاضافة الى المصريين بقيادة شاور جيشا كبيرا تقدموا به الى الاسكندرية وحاصروها حصارا شديدا (١٠١) فأبدى صلاح الدين شجاعة نادرة في الدفاع عن المدينة رغم قلة الطعام والسلاح مع قواته (١٠٢) . عندئذ توجه شيركوه بمن معه لنجدة صلاح الدين ومن معه (١٠٣) اى أنه توجه الى الاسكندرية رأسا عندئذ علم الصليبيون أنه حشد لهم جيشا كبيرا « استنهض لقصد القوم العموم والخصوص ... فرحلوا عن الحصار » (١٠٤) .

وثمة رأى هنا لابن أيبك يذكر فيه أن أسد الدين جاء من الصعيد و « نازل القاهرة وحاصرها ، وضيق على من بها وعلى العاضد صاحب القصر » (١٠٥) والراجح أنه ربما فكر في محاصرتهم وهو في طريقه الى الاسكندرية ، ولكنه توجس من أن يقابل بمقاومة ضارية (١٠٦) . عندئذ وصلته رسل المصريين والصليبيين تطلب الصلح (١٠٧) . خصوصا بعد أن وصل للصليبيين اخبار هجمات نور الدين في بلاد الشام على ممتلكاتهم (١٠٨) .

اتفق الجانبان - المصريون والصليبيون من ناحية وشيركوه من ناحية أخرى - على عقد صلح وأن يقدم المصريون والصليبيون لشيركوه « خمسين ألف دينار » (١٠٩) والا يقيم الصليبيون بمصر ولا يتسلموا منها قرية واحدة وأن تعاد الاسكندرية الى المصريين (١١٠) .

كذلك عقد اتفاق داخلي بين الصليبيين والمصريين - بمعنى أصبح بين عمورى وشاور على أن يكون للصليبيين شحنة بالقاهرة ، وأن تكون أبوابها بيد فرسانهم ، ويكون للصليبيين كل سنة مائة ألف دينار (١١١) وهذا ما أورده (برييه) تحت اصطلاح « فرض الحماية الفرنجية الحقيقية على مصر » (١١٢) وأوضحه ستون في قوله « أن شيركوه لم يكن قد حطم ، ولكن اللاتين كانت لهم السيادة في مصر » (١١٣) .

عاد أسد الدين شيركوه حزينا الى دمشق في سبتمبر ١١٦٧ م (١١٤) ذى القعدة ٥٦٢ هـ (١١٥) . أما الملك عمورى الذى وصل عسقلان فى أغسطس ١١٦٧ م (١١٦) / شوال ٥٦٢ هـ ، فقد رجع هو الآخر الى مملكته مضطرا نظرا لصعوبة موقف الصليبيين بالشام تحت وطأة ضربات نور الدين محمود (١١٧) الا أن الصليبيين لم يتخلوا مطلقا عن فكرة ضرورة الاستيلاء على مصر ، وهو ما ستثبته لنا الحوادث التالية .

هوامش الفصل الأول

(١) قال عنه ان الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل) ، ص ١٦٣ « قد طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الاسلام وفيه الى يومنا هذا ، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن العزيز ، ملكا احسن سيرة من الملك العادل نور الدين ولا أكثر تحريا للعدل والانصاف منه ، قد قصر ليله ونهاره على عدل ينشره وجهاد يتجهز له ، ومظلمة يزيلها ، ومبادة يقوم بها واحسان يوليه ، وانعام يسديه » .

ومما قاله العماد محمد بن حامد انكاتب عنه : « كنت للفرنج في أيام غيره على بلاد الشام قطائع فقطعها ، وعفى رسومها ومنعها ، ونصره الله عليهم مرارا ، حتى أسر ملوكهم ، وبدد سلوكهم ، وصان الثغور منهم وحماها عنهم ... » (ابن الأثير : الباهر ، ص ١٧٤) .

(٢) أونسيت باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور السيد الباز العرينى ، ص ٧٧ .

(٣) أو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ١٢٣ . ولو أن امبراطور الروم دخل في نفس الوقت في علاقات ودية مع نور الدين ايضا في جمادى الأولى سنة ٥٥٤ هـ « تجددت المهادنة المؤكدة لنور الدين مع ملك الروم بعد تكرر المراسلات والاقتراحات في التقارير » وقد أوضح لنا ذلك أبو شامة في نفس المصدر السابق والصفحة وأضاف قائلا « ان ملك الروم أجيب الى ما التمسه من اطلاق مقدمى الفرنج المقيمين في حبس نور الدين فأنقذهم بأسرهم وقابل ملك الروم هذا الفضل بما يضاهيه من الاتحاف بأثواب الديباج الفاخرة المختلفة الاجناس الوافرة العدد ومن الجواهر النفيس وخيمة من الديباج لها قيمة وافرة ، وما استحسّن من الخيول الجبلية ... » .

{٤} ابن ميسر ! أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٩٧ - ٩٨ . والصالح طلائع
ابن رزيق تولى الوزارة في مصر للخليفة الفاطمي الفاتح وذلك في الفترة ما بين
٥٤٩ هـ الى ٥٥٥ هـ . (زامبور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة ... ،
ص ١٥٠) .

{٥} 'نن عمورى الأول يمتلك من المواهب ما جعلت منه ملكا ممتازا ،
فمثلا كان يفضل التسلية بأشياء تحتاج لجهد مثل الصيد عن المسرحيات
الكوميديّة وكان مأكرا ، ورغم أنه كان لم يكن مثقفا ما فيه الكفاية الا أنه كان
يهوى القراءة والدخول في مناقشات مع رجال مثل وليم الصورى - الذى كتب
تاريخه بالحاج منه - وكان متدوقا لكل ما يسمعه أو يقرأ له . الى جانب
شهرة في الدبلوماسية والاستراتيجية . ولكن رغم كل انجازاته لم تكن له
شعبية أخيه بلدوين ، فقد كنت تنقصه عدوبة معاشره بلدوين وكان يميل
للصمت وأحيانا كان استبداديا ، كما كان مفرطا في فرض الضرائب ، قادرا على
تبرئة نفسه من الاتم بما يقدمه من مبررات . عارضة بعض البارونات بسبب
زوجته A. Snes of Court enry التى كانوا يعتبرونها حقيرة تافهة ، وقد
صدق حدسهم فيما بعد حيث مارست تأثيرا شديدا على شئون المملكة .

(Setton : A History of the Crusades, V. 1, P. 549, Norman
Daniel : The Arabs and Mediaeval Europe P. 179).

تزوج عمورى أيضا من أميرة رومية واعترف بسيادة الامبراطور مانويل
الذى أنفق الكثير على كنائس الأماكن المقدسة وآثارها ، وقد اعترف الملك
عمورى بذلك وأقام النقوش تخليدا لاهتمام سيده « ولا تزال هناك كتابة
باليونانية تحفظ ذكر ما يدل على سيادة الفيلسوف (الامبراطور) وهذا النقش
التاريخي يبدأ بعبارة : في عهد عمانوئيل وكما كان أمورى ملك اورشليم »
د. أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٤ عن
(Corpus Inscript, Graecarum)

هذا وقد كان عمورى مولعا بالتنجيم والمنجمين الذين لعبوا دورا مهما
في فترة حملاته على مصر . (Norman Daniel : Op. Cit., P. 179).

{٦} أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

{٧} أرنست باركر : المرجع السابق ، ص ٧٧ ، المؤلفة : المرأة في
الحضارة البيزنطية ص ٤٣ - ٤٦ . بعد وفاة زوجة الامبراطور مانويل الاولى

(برته الألمانية) اتجه نحو قصور الأمراء الصليبيين ليفتش عن « فسيلسه » جديدة (أى امبراطورة) وكاد يجدها في طرابلس في شخص شقيقة أميرها الصليبي . ثم أثار الاقتران بمريم ابنة قسطنطس (ماري ابنة كونستانس) وريثة أنطاكية فتزوج منها في سنة ١١٦١ م (أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٣ من Chalandon) .

(٨) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص ٢٠٤ عن وليم الصوري وميخائيل السرياني .
The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, P. 286. (٩)

(١٠) هو أبو القاسم عيسى تولى في مستهل صفر ٥٤٩ هـ وتوفي في ١٧ رجب ٥٥٥ هـ (زامبور : معجم الانساب ... ، ص ١٤٥) .

كان احتمال سقوط الخلافة الفاطمية وسط مؤامرات القصر وعمليات القتل الكثيرة التي حدثت في مصر ، تجعل الصليبيين في بيت المقدس في حالة قلق شديد من وقوع مصر في قبضة مسلمي بلاد الشام السنيين أى نور الدين ورجاله
The New Encyclopaedia Britannica, V. 5 (1768) P. 302.

بل قيل أن من أكبر العوامل التي حركت بلدوين الثالث آنذاك هو ذلك التحالف الذي تم بين حلب ودمشق بواسطة نور الدين
(Setton : Op. Cit., V. I. P. 549).

Runciman : A History of the crusades. V. 2, (١١)
P. 867.

د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢٠٤ عن وليم الصوري وميخائيل السرياني ،
The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, P. 286.

وهنا يعقب أستاذنا الدكتور سعيد عاشور تعقبا منطقيا ووجيها على عدد من المصادر العربية لذلك الخبر بأنه إذا كانت الدولة الفاطمية في ذلك الدور أضعف من أن تدفع خطر أعدائها بالقوة فلا أقل من أن تشتري مسألتهم بالمال .. وهذا موقف معيب يتطلب التستر عليه بحيث لا يصل خبره الى الرعية فيستنيرهم ، وإلى كذبة المسلمين فيؤذى شعورهم ويسئ الى الخلافة الفاطمية نفسها وربما كان هذا هو السر في عدم وصوله الى المؤرخين المسلمين وبالتالي عدم اشارتهم اليه .

J. Prawer : Histoire du Royaume Latin de
Jerusalem, T. I. P. 427. (١٢)

(١٣) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة د. الباز العرينى ،
ش ٧٨ .

J. Prawer : Op. Cit., P. 427. (١٤)

Setton : A History of the Crusades, V.I, P. 550,
Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 367. (١٥)

د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ص ٢٠٤ عن : (Schlumberger :
Campagnes du roi Amoury de Jersusalem en Egypte), J. Prawer :
Op. Cit., T. 1, P. 432.

وهنا يذكر برويه أن عموري الذي كان قبل اعتلائه العرش أميرا ليافا
وعسقلان ، وكان مرتبطا بالمنطقة الساحلية الفلسطينية في جزئها الجنوبي المتجه
نحو مصر ، لذلك أسهم وضعه هذا في توجيه نظره الى مصر ، بالإضافة الى
تكملة للخط السياسي الذي سار عليه الفرنج منذ عهد بلدوين الثالث
(J. Prawer : P. 430).

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 550. (١٦)

والراجع ان هذه الحملة هي التي اشار اليها ميخائيل السرياني وخطط
بينها وبين حملة عموري التالية على مصر لأن الحملتين ورد فيهما ذكر حصار
عموري لبليس . ومن المرجح أن المقصود بها حملة ١١٦٤ م / ٥٥٩ هـ والتي
سيأتي ذكرها فيما بعد . فقد ذكر ميخائيل السرياني أن عموري خرج الى مصر
لجمع الضريبة فانقسم المصريون قسمين : قسم قدم له فروض الولاء والقسم
الثاني كانوا ممثلين بالربة فقاوموه واستنجدوا بنور الدين ضدّه .

(Michel Le Syrien : Recueil des Historiens des Croisades,
Documents Armeniens, T. 1, P. 359).

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 432. (١٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 540. (١٨)

(١٩) د. عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢٠) اسمه بالكامل « شاور بن مجير بن نزار بن عثائر بن شاس بن
مفيث بن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبي ثؤيب . كان الصالح

بن رزيك قد ولى في أيام وزارته أبا شجاع شاور الصعيد بكماله . وكان شاور ذا شهامة ونجابة وفروسية وشجاعة . وكان الصالح قد أوصى ولده العادل رزيك الا يتعرض لشاور بمساءة قط ولا يغير عليه ، وأن يتلافاه جهده فانه لا يأمن عصيانه وخروجه » (ابن أبيك الدوادارى : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٧ ، الدر المطلوب في أخبار ملوك بنى أيوب ، ص ١٨ - ١٩ حوادث ٥٥٧ هـ) وهو ما حدث فعلا فقد تغلب شاور على الوزارة وانتزعها من بنى رزيك وقتل رزيك بن طلائع بن رزيك الذى وزر بعد أبيه (أبو شامة : الروضتين : ج ١ ، ص ١٣٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ مطبعة دار الكتب ١٩٣٥) ، ص ٣٦٣ .

(٢١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة ١٩٣٥) ص ٣٦٤ . وكان ضرغام مقدم الأمراء البرقية ، ونائب الباب (ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٧ طبعة (١٩٧١) ويقال ضرغام كان يتمتع بشعبية كبيرة واستحوذ على حب العامة (J. Prawer : Op. Cit., P. 432)

(٢٢) ابن شداد : المصدر السابق والصفحة ، أبو شامة : المصدر السابق والصفحة فقد كانت عادة المصريين أنه اذا غلب شخص صاحب المنصب وعجز صاحب المنصب عن دفعه ، وعرفوا أعجزه وقموا للقاهر منهم ورتبوه ومكنوه .

(٢٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٧ . وكان الخليفة يومئذ هو العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن أبي الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله والحكم للوزراء .

(٢٤) هو أسد الدين شيركوه أخو نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، كان شيركوه وأيوب أبناء شادى من بلدة دوين - وهى بلدة من آخر بلاد أذربيجان مما يلى البروم وكانوا من أصل كردى - كانوا فى خدمة مجاهد الدين بهروز شحنة العراق ، وبعد قتل شيركوه لأحد المسيحيين المقربين للأمير ، فر الإخنان الى زنكى فى الموصل حيث بدأ نجمهما فى الصعود ، فلما قتل الشهيد عمل نجم الدين فى خدمة صاحب دمشق ، أما أسد الدين شيركوه فقد خدم نور الدين ، فرأى منه فى حروبه أثارا يعجز عنها غيره فزاد فى إقطاعه وقربه حتى صار

له حمص والرحبة وغيرهما وجعله مقدم جيشه (ابن الأثير . الباهر ، ص ١١٩ - ١٢٠) ،

The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, P. 289.

(٢٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٠ . والمصدر الأخير يضع كلمة حبسا مكان حفظا . وسواء كان غرض نور الدين حبسا للبلاد أو حفظا لها فنحن نلمح في التعبيرين رغبته في المحافظة عليها من الصليبيين حتى لا تذهب لأيديهم وفي نفس الوقت نلاحظ أيضا رغبة نور الدين في تملكها بعد الاطلاع على أحوالها عن قرب .

(٢٦) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ،

ص ٧٩ .

(٢٧) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٢٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٠ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٠ . ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ١ ، ص ١٢٧ . ويضيف ابن الأثير هنا أن نور الدين طلب من أسد الدين إمادة شاور إلى منصبه والانتقام ممن تازمة في الوزارة .

(٢٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، القاهرة ١٩٣٥ ،

ص ٢٤٦ .

Michel Le Syrien : Recueil des Historiens des Croisades, Documents Arméniens, T, 1, P. 359.

(٣٠)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 432.

(٣١)

(٣٢) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ، ص ٢٠٥ .

(٣٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٠ - ١٢١ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٣٤) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ابن واصل : مفرج

الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٨ ، ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٧ . هنا يذكر برويه أن شيركوه هو الذي أزال ترددده « ورجح كفة » تلبية رغبة شاور لأن في ذلك تحقيقا لحلمه في أن يكون خاكما لمصر تحت سيادة نور الدين

(J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 433).

- (٣٥) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٦ .
- (٣٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢١ .
- (٣٧) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٣٦ .
- (٣٨) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٩ . ذكرا أنهم وصلوا القاهرة في أواخر جمادى الأولى . أما ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٦ وابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٧ فقد ذكرا أنهم وصلوها في جمادى الآخرة من السنة ٥٥٩ هـ .
- (٣٩) L. Bréhier : Vie et Mort de Byzance, P. 338.
Gibb : The life of Saladin, P. 5, Setton : Op. Cit , V. I., P. 550.
- ويذكر ستون أن الحملة تحركت الى مصر في ابريل ١١٦٤ م .
Stevenson : Op. Cit., P. 186.
- (٤٠)
- (٤١) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات .. ص ٢٠٥ هن (عمارة اليمنى ، Wiet) ، د. عبد الرحمن الراعى ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ص ٢٨٥ .
- (٤٢) أونست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة الباز الفريزى ، ص ٧٩ :
- (٤٣) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢٠٥ .
- (٤٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٧ .
- (٤٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٧ ، الدر المطلب ... ص ٢٦ ، ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٧ ، هنا يذكر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٥ (عن كتاب السيرة الصلاحية ليعبى بن أبي طى الحلبي) أن بعض الأمراء في مصر كانوا غير راضين عن ضرغام وذلك لأن بعضهم حسدوه وكاتبوا شاور الذى كان قد صار الى الشام « فأخذ في أعمال الحيلة عليهم وأحضرهم الى دار الوزارة ليلا فقتلهم جميعا » .. وقيل أنه قتل منهم سبعين أميرا آنذاك .
- (٤٦) Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 368.
- وهو يذكر هنا أن ضرغام مات ولم يشر الى أنه قتل .

(٤٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣١ ، وفي ص ١٦٦ يذكر أبو شامة عن كتاب السيرة الصلاحية أن أسد الدين أرسل إلى شاور يستعجله ما تعهد به لنور الدين بعد أن « ضجر العسكر من الحر والغبار » فأرسل إليه شاور ثلاثين ألف دينار وقال له ترحل الآن . عندئذ أرسل إليه أسد الدين يقول : أن نور الدين أوصاه أنه إذا ملك شاور مصر أن يقيم عنده ويكون له ثلث غلة البلاد والثلث الثاني لشاور والجيش والثلث للخليفة . عندئذ قال له شاور : أنا ما قررت شيئاً مع نور الدين وقد سرت اليكم نفقة فخذوها وانصرفوا .

(٤٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢١ ، ابن واصل : مفرج الكروب... ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٤٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣١ ، الذهبي : دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٣ ، Setton : Op. Ct., V.I. P. 550

The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, P. 289. (٥٠)

هنا يذكر ابن العبري أن شاور أحس من حملة شريكوه أنها قدمت لإزاجه المصريين عن الحكم .
The Chronography of Bar Hebraeus, V.I.P. 289. (٥١)

أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ١٦٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ابن أبيك : كنز الدر .. ، ج ٧ ، الدر المطلوب ، ص ٢٧ ، Setton : Op. Cit., V. 1, P. 550.

هنا أخطأ ابن أبيك عندما ذكر أن شاور استنجد بملك الروم (مري) لأن مري هو نفسه عموري الأول ملك بيت المقدس لا ملك الروم .

(٥٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

(٥٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٢٩ .

هذا يذكر أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٧ عن كتاب السيرة الصلاحية أن شاور ضمن لعموري ملك الصليبيين عن كل مرحلة يرحلها إلى مصر ألف دينار بل أنه قرر شيئاً لدوابه ولطائفة الاسبتارية . ويقال أن عموري قطع المسافة بين مسقلان وفاقوس « في سبع وعشرين مرحلة قبض عنها سبعة وعشرين ألف دينار » .

L. Bréhier : Vie et Mort, P. 338.

(٥٤)

(٥٥) ابن الأثير : الباهر : ص ١٢١ ، ابن واصل : مفرج الكروب . .
ج ١ ، ص ١٣٩ ، د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢٠٦ من
(Schymberzer)

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 289.

(٥٦)

Setton : Op. Cit., V. I, P. 550.

(٥٧)

(٥٨) ابن الأثير : الباهر : ص ١٢١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ،
ص ١٣١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 550.

(٥٩)

وكان قد عقد اجتماعا مع (باريونات) ووضع شئون المملكة تحت رعاية
بوعيموند الثالث أمير أنطاكية .

(٦٠) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢٠٦ ،
د. عبد الرحمن الرافعي ، سعيد عاشور : مصر في العصور الوسيطى ، ص ٢٨٦ ،
قدري قلجى : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٦٨ .

Gibb : The Life of Saladin, P. 5.

(٦١)

L. Bréhier : Vie et Mort, P. 338.

(٦٢)

(٦٣) يذكر ميخائيل السرياني أن مدة الحصار كانت سبعة أشهر

Michel Le Syrien : Recueil des Historiens des Croisades,
Documents Arméniens, T. 1, P. 359.

أما أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٧ عن كتاب السيرة الصلاحية
ليحيى بن أبي طى الحلبي فيذكر أنها كانت ثمانية أشهر . أما أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة ١٩٣٥) ص ٣٤٦ فيقول أنها كانت شهرين .
أما ستون فيحددها بثلاثة أشهر من أغسطس الى أكتوبر ١١٦٤ م .

(٦٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢١ ، الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٢ ،
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٦٥) أنظر الملحق رقم (٣) . وليس معنى ذلك أن القوات المصرية
الصليبية المتحدة أجبرت شيركوه على التنازل عن مصر والرحيل عنها كما
(L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339).

ذكر برييه

(٦٦) هنا يذكر ميخائيل السرياني أن ملك بيت المقدس علم بمهاجمة
نور الدين لحارم أثناء محاصرته بلبيس . فأرسل الى أهالي حارم خطابا

يأمرهم فيه بعدم الخروج من الحصن حتى يصل اليهم . ولكنه بمجرد تركه الحصار وبداية المسير الى حارم علم أن أهالي حارم لم يلتزموا بما أمرهم به وأنهم خرجوا من الحصن ، ووقعوا في أيدي المسلمين الذين أخذوهم على غرة فقتلوا منهم عددا كبيرا وسيطروا على الحصن بعد أن أسروا أمير أنطاكية وحشدا آخر من كبار الشخصيات .

Michel Le Syrien : 'Recueil des Historiens des Croisades, Documents Arméniens, T. 1, P. 359.

(٦٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1. P. 289.

Setton : Op. Cit., V. 1, PP. 550 — 551.

ويفضل لنا بروييه ذلك بقوله أن السبب في اسراع عموري في الدخول في مفاوضات من أجل الصلح مع شيركوه هو أن أكثر قوات الفرنج كانت موجودة في مصر آنذاك معه وأن نور الدين استولى على قلعة حارم وعلى نهر العاصي ، كما أسر عددا كبيرا من الأمراء الصليبيين من بينهم أمير أنطاكية وأمير طرابلس وبذلك انتهت ممتلكات الصليبيين شرق العاصي كذلك هاجم بانياس التي كان حاكمها مع عموري بمصر فسلمها القائد Gautier de Qusenoy لنور الدين . (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, PP. 433 — 434).

وهنا خطأ (جب) في القول بأن طلب نور الدين الهدنة كانت المنقذ لشيركوه من الحصار المضروب حوله آنذاك وأنه كان محظوظا «
(Gibb : The Life of Saladin, P. 5).

كما لا نأخذ هنا أيضا برأي (ستيفنسون) الذي يشير الى سرود شيركوه لشروط الصلح عندما قدمها عموري . (Stevenson : Op. Cit., P. 188)

(٦٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٢ . ويؤيد هذا الرأي أيضا ما ذكره (ستون) من أن نور الدين كان قد طلب ارسال رؤوس القتلى من الصليبيين وأعلامهم ، التي وقعت في أيدي القوات الاسلامية بعد الاستيلاء على حارم في ١٢ أغسطس ١١٦٤ م ، الى شيركوه في مصر وأعطى تعليماته بعرضهم على أسوار بلبس لتخويف المحاصرين (Setton : Op. Cit., V. 1, P. 551) ولكن الراجح أنها لم تكن قد وصلت الى شيركوه بعد .

ولو أن أبو شامة يعود في موضع آخر فيذكر أن أسد الدين علم بذلك ونفذ طلب نور الدين « أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٧ عن السيرة الصلاحية ليحيى بن أبي طى الحلبي »
Setton : Op. Clt., V. 1, PP. 550 — 551. (٦٩)

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ص ١٤٠ .
(٧٠) ابن واصل : نفس المصدر السابق والصفحة .

والواقع ان هذا يتعارض مع ما ذكر من الاشددة بسجاعة شيركوه وانه خرج وأصحابه أمامه « يحمي ساقاتهم وفي يده لت حديد والمسلمون ، والفرنج ينظرون اليه فجاءه رجل من الفرنج وقال له أما تخاف أن يغدر بك ، هؤلاء المسلمون والفرنج قد أحاطوا بك وبأصحابك فلا يبقى لك معهم بقية . فقال شيركوه يا ليتهم فعلوا حتى كنت ترى ما لم تر مثله كنت والله أضع فيهم السيف فلا أقتل حتى أقتل رجلا ، وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفنى أبطالهم فيملك بلادهم ويفنى من بقى منهم ووالله لو أطاعنى هؤلاء - يعنى أصحابه - لخرجت اليكم أول يوم لكنهم امتنعوا . فصلب الفرنجى على وجهه وقال كنا نتعجب من فرنج هذه الديار ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذرناهم » (ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٢) .

(٧١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث ٥٥٩ هـ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٢ - ١٦٧ . فقد تعهد شاور لشيركوه بدفع ثلاثين ألف دينار أخرى . أما ابن آيك : كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٧ فيذكر أنه كانت هناك عقبات في طريق عودة أسد الدين الى الشام فأخذ منه الملك عمورى بعض المال في مقابل افساح الطريق لهم . وهو يشير لعبورى بملك الروم كما سبق الذكر .

(٧٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٦ .

(٧٣) ابن شداد : نفس المصدر والصفحة . هنا يضيف أستاذنا الدكتور سعيد عاشور عن (شلومبرجيه) الذى لم يسعدنا الحظ بالاطلاع عليه أنه لو ترك الأمر لشيركوه لعاد الى مصر سنة ١١٦٥ م أو ١١٦٦ م (٥٦٠ - ٥٦١ هـ) ولكن يبدو أن نور الدين خشى أن يقوم بمحاولة جديدة ضد مصر في هاتين البسنتين خوفا من تشتيت جهوده وتقسيم قواته في الوقت الذى كان الموقف في بلاد الشام

يستدعى شيئا من اليقظة والانتباه ، د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ، ص ٢٠٧ .

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 551.

(٧٤)

هنا نتضح لنا مدى خطورة الوضع بالنسبة لمملكة بيت المقدس بل وللصليبيين عامة مما ذكره (ستون) من أن نور الدين بعد استيلائه على حارم كان قد أسر عددا كبيرا من كبار أمراء الصليبيين وفرسانهم مثل بوهيموند الثالث أمير أنطاكية وريموند الثالث أمير طرابلس وقنسطنطين كولومان حاكم قيليقية البيزنطي وجوسلين الثالث أمير الرها الاسمي ، هذا بالإضافة الى أن عموري الأول كان قد أخذ معه في حملته على مصر معظم القوات الصليبية ، وبذلك كانت المملكة معرضة للهجوم والخطر .

Setton : Ibid V. 1, P. 552. J. Prawer : Op. Cit.,

(٧٥)

T. 1, P. 434.

بل قيل أن الامبراطور مانول كان يفكر في الاستيلاء على أنطاكية نفسها
Stevenson : Op. Cit., P. 189.

آنذاك .

J. Prawer : Ibid., T. 1, P. 434.

(٧٦)

(٧٧) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٨ .

(٧٨) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٧ .

(٧٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة ١٩٣٥)

ص ٣٤٨ .

(٨٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٧ . وثمة رأى لرئيسمان

هنا يذكر فيه أن شيركوه كان له دور ملحوظ في حث الخليفة العباسي نفسه في بغداد كي يعلن أن تلك الحرب هي حرب مقدسة ضد (هرطقة) الخلافة الفاطمية الشيعية : (Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 372) والواقع أنه بالرغم من أننا لم نعثر على ما يؤيد رأيه هذا في المصادر العربية فأننا نرجح صحة مضمونه على اعتبار أنه استشفه من طبيعة العلاقات السنية الشيعية آنذاك .

(٨١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٢ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ،

ص ٣٧ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٢ . كان أسد الدين يكثر من التحذير الى من يثق فيهم عن رغبته في الرجوع الى مصر ، حتى وصلت تلك الاخبار الى شاور .

«(٨٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ... ، ص ٢٧ ، اليافعى :
مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج ٣ ، ص ٣٤١ . وهنا يصور لنا أبو شامة
في الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٢ مدى خوف شاور من أسد الدين بيتين من
قصيدة لعرقلة الكلبى جاء فيها :

وهل هم يوما شيركوه بخلق الى الصيد الا ارتاع في مصر شاور
هو الملك المنصور والأسد الذى تنا ذكره فى الشرق والغرب سائر
Setton : Op. Cit., V. 1, P. 552. (٨٣)

يوافق ذلك ربيع الاول سنة ٥٦٢ هـ ، ابن شداد : المصدر السابق ،
ص ٢٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

L. Bréhier : Vie et Mort, P. 338. (٨٤)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 552, J. Prawer : Op. (٨٥)
Cit., T. 1, PP. 434 — 435.

د. عبد الرحمن الرافعى ، د. سعيد عاشور : مصر فى العصور
الوسطى ، ص ٢٨٨ . عن
(Schumberger : Campagnes du Roi Amoury).

وقدرى قلجى : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٧٢ . هنا يذكر ستون أن شاور
تعهد بدفع ٤٠٠.٠٠٠ دينار دفع نصفها مقدما للصليبيين ، وتعهد الملك بالآلات يترك
مصر حتى تسحق جيش شيركوه أو ينسحب من البلاد . وكان الوفد المفوض
من الملك فى توقيع تلك المعاهدة برأسه هيو حاكم قيسرية . وقد أيد الخليفة
الفاطى شاور فى استنجاهه بالصليبيين وعضده بدليل ما ذكره ستون من كرم
الخليفة الزائد وتواضعه فى مقابلة هيو رئيس الوفد وأنه أعاد وراءه نص
المعاهدة فى صدق واخلاص .

(٨٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٢٧ . فى الوقت الذى
يذكر فيه ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٨ أن جيش شيركوه كان
ألفى فارس . يذكر ابن العبرى انه وصل الى مصر فى عدد قليل من المشاه
وذلك بسبب قلقه وميله الشديد للعودة الى مصر ، وذلك دون إعطاء رقم
معين لهذا الجيش .

(The Chronography of Bar Hebraeus. V. 1, P. 290).

ثم يعود بعد ذلك فيذكر أن عدد الجيش كان ألفى فارس :

أما برويه فيؤكد أن جيش شيركوه كان ألقى جندي يضاف عليهم بعض القوات من الاسكندرية على رأسها نجم الدين بن مصال . أما جيش الصليبيين فكان يقدر ب ٢٧١ فارسا و ٥٠٠٠ راجل يضاف اليهم الجنود المصريون التابعون لشاور (J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 435).

(٨٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٤٦ ، ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٨ ، اليافعي مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٣٧٠ ، Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 372. (٨٨)

(٨٦) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٨ . عن كتاب السيرة الصلاحية ليحيى بن أبي طي الحلبي هنا يذكر نفس المصدر أن أسد الدين حاول أن يتعاون مع شاور ضد الصليبيين وأنه أرسل اليه رسولا يقول له : « أنا أحلف لك بالله الذي لا اله الا هو وبكل يمين يثق بها مسلم من أخيه اننى لا أقيم ببلاد مصر ولا أعاد اليها أبدا ولا أمكن أحدا من التعرض اليها .. وما أوصل منك الا نصر الاسلام فقط وهوان العدو ... وأريد منك أن نجتمع أنا وأنت عليه وننتهز فيه الفرصة التي قد أمكنت والغنيمة التي قد كتبت فنستأصل شافته ونخمد تائره » فلما وصل الرسول الى شاور قتله وأطاع عموري بفحوى الرسالة . فلما علم أسد الدين ذلك ندم على ما فعله مع شاور وقال : « لعنه الله لو أطاعني لم يبق بالشام أحد من هؤلاء الفرنج » عندئذ كتب الى أهل الاسكندرية يستنجد بهم على شاور .

هنا أيضا نقرأ رأيا خاطئا للذهبي يذكر فيه أن الصليبيين دخلوا الى مصر سنة ٥٦٢ هـ « من بحر دمياط » (الذهبي : دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٦) .

(٩٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ٢٣٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٩١) د. عبد الرحمن الراغبى ، د. سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٧ .

(٩٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٠ . هنا ذكر أبو شامة البابين خطأ (البابين) والراجع آتبه خطبا مطبوعا .

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 553, Runciman : Op. (١٣)
Cit., V. 2, P. 374.

أما برويه فيذكر أن ذلك كان في مارس أو أبريل ١١٦٧ م
(J. Prawer : T. 1, P. 435)

(١٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٢ ، أبو شامة : المصدر السابق ،
ج ١ ، ص ١٤٢ . فبالرغم من معرفة كثرة عدد المصريين والصليبيين وعددهم
فإن أسد الدين صمم على ضرورة قتالهم : إلا أنه خاف أن تضعف نفوسهم
في هذا المكان الخطير الذي « عطيهم فيه أقرب من السلامة لقلة عددهم وبعدهم
من بلادهم فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بعبور النيل إلى الجانب الشرقي
والعودة إلى الشام وقالوا له : نحن إن انهزمنا وهو الذي لاشك فيه فإلى
أين نلتجئ وبمن نحتسئ وكل من في هذه الديار عدو لنا .. فقام أحد المالك
النورية يسمى (برغش) وقال ما ملخصه : من يخاف القتل لا يخدم الملوك
بل يبقى في بيته مع النساء ، والله لو رجعت إلى الملك العادل نور الدين من
غير علة فسوف يأخذ أقطاعاتكم وأموالكم التي أعطاها لكم إلى يومنا هذا
ويقول كم تأخذون أموال المسلمين وتفرون من عدوهم ، فقا أسد الدين : إن
هذا رايه وبه يعمل ووافق صلاح الدين . ثم اجتمعت كلمتهم على ضرورة القتال ،
فوضع أسد الدين خطة محكمة ضمنت لهم النصر . وبالفعل انزلوا بالقوات
المشتركة هزيمة منكرة .

(١٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٣ ، أبو شامة : الروضتين ؛ ج ١ ،
ص ١٤٢ .
Setton : Op. Cit., V. 1, P. 553. (١٦)

هنا ينفرد ستون كمرجع أجنبي بالكلام عن الخسائر بين الجانبين فيذكر
أن الملك عموري أحصى القتلى في الجانبين فوجد قتلاهم ١٠٠ وقاتلي المسلمين
١٥٠٠ . ويبدو أن هذا الرقم فيه شيء من المبالغة . أما المصادر العربية
فقد ذكرت عدة روايات مختلفة عن هذا الموضوع فمثلا أبو شامة : الروضتين ،
ج ١ ، ص ١٤٥ ذكر أن أسد الدين أمر « سبعين فارسا من باروناتهم »
أما ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٩ فقد ذكر أن أسد الدين كسر
قوات أعدائه كسرة عظيمة و « أخذ صاحب قيسارية أسيرا مع جماعة من
أصحابهم » . بينما ذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة

١٩٣٥ ، ص ٢٤٩ أن أسد الدين وصلاح الدين قتل من الصليبيين « ألوف » وأسرا مائة وسبعين فارسا .

أما برييه فيعطينا رأيا خاطئا عندما ذكر أن عمورى « هاقب شيركوه بهزيمة فاصلة » في تلك المعركة .

L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339

والواقع أن عمورى وجد أن « الواجب يحتم عليه أن يهرب حيا » في ذلك اليوم كما ذكر رنسيمان .

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 374.

(٩٧) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٧ ... ، ص ٢٩ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 436

(٩٨)

(٩٩) هنا يذكر ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٢ أن أهل الاسكندرية ساعدوا جيش شيركوه خوفا من الفرنج . أما ابن واصل مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ فقد ذكر أن ذلك يرجع الى ميلهم للذهب السنة وكراهيتهم لرأى المصريين ؛ بينما أعطانا الدكتور سعيد عاشور رأيا آخر له قيمته وهو أن أهل الاسكندرية عرفوا دائما بالنخوة والشهامة . بالاضافة الى أن بعدهم عن العاصمة وملاستهم الخطر الصليبي عن طريق البحر جعلهم أكثر احساسا بذلك الخطر وأكثر حرية في التعبير عن شعورهم (د. عاشور : بحوث ودراسات ... ص ٢١٠) أما رنسيمان وستيفنسون فيذكران ان ذلك كان راجعا الى ان شاور كان مكروها من بعض السكندريين (Runciman : Op. Cit., V.I. P. 375) Steveon : Op. Cit., P. 91.

(١٠٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ . وقد ظل أسد الدين بالصعيد حتى شهر رمضان ٥٦٢ هـ . وهنا يعقب الدكتور حامد غنيم : الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية ج ٢ ، ص ٢٩ بأن مصر شهدت لمدة حوالى شهرين وجود نظامين متصارعين على أرضها ففي الاسكندرية والصعيد كان يوجد نظام يمثل حركة المقاومة الاسلامية . وفي القاهرة ومناطق أخرى كان يوجد نظام يمثل تحالف شاور مع الصليبيين وهو تحالف معاد لحركة المقاومة الاسلامية .

(١٠١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، ١٦٨ - ١٦٩ . ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ ،

ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٧ ... ، ص ٢٩ وهنا يذكر ونسيما أن أسطولاً صليبيًا اشترك من البحر في الحصار إلى جانب تعزيزات برية وصلت من فلسطين (Puncinan : Op. Cit., V. 2, P. 375).

وهنا يذكر ابن أيبك أن الحصار استمر سبعة وخمسين يوماً بينما ذكر جب أنه استمر ٧٥ يوماً ، والراجع أنه أخطأ في ترجمة العدد (Gibb : The Life of Saladin, P. 5).

بل قيل استمر لمدة « أربعة أشهر » (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٥) وفي موضع آخر ذكر نفس المصدر ص ١٦٨ من كتاب السيرة الصلاحية أنه استمر « ثلاثة أشهر » ويتفق برويه مع ذلك الرأي الأخير (Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 436).

(١٠٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٣ . J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 436.

هنا يعلق برويه على موقف أهل الاسكندرية بقوله أنهم لم يكونوا معتادين على الحملات العسكرية باعتبارها مدينة تجارية لذا تعب أهلها كثيراً وقد نتج عن هذا الحصار مجاعة .

(١٠٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ . (١٠٤) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(١٠٥) ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٢٩ . يؤيد ذلك ما ذكره برويه من أن القاهرة كان يقود الدفاع عنها (Prawer : T. 1, P. 436) Hugues d'Ibelin .

أما أبو المحاسن فيذكر أن أسد الدين ضيع فرصة احتلال القاهرة في الحال لأنه لم يتبع الصليبيين إليها . « أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، (القاهرة ١٩٣٥) ، ص ٣٤٩ . »

(١٠٦) قدرى قلجى : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٧٨ .

(١٠٧) إذا كانت كل المبادرات العربية تقريباً تذكر ذلك وعلى سبيل المثال لا الحصر : ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 291.

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ . فان « برييه أخطأ »
في أنه ذكر أن عمورى وجيشه هو الذى أجبر أهل الاسكندرية على التسليم
وعلى توقيع معاهدة « (L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339)

كذلك أخطأ برويه في القول بأن شيركوه هو الذى بدأ مفاوضات الصلح
(J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 436)

والراجع أن طلب الصلح بدأ من الجانب الصليبي المصرى وأنه جاء في وقت
كان شاور قد استمال فيه جماعة من التركمان الذين مع أسد الدين فوافق
الآخر على الصلح استنادا الى رأى ابن الأثير وأبو شامة .

J. Prawer : Ibid., T. 1, P. 436.

(١٠٨)

وصلت اخبار من بلاد الشام تشير الى عمليات لنور الدين قرب طرابلس
وأنه هاجم مملكة بيت المقدس وهدم قلعة حنين على طريق صور في الجليل
الشمالى .

(١٠٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٤ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ١ ، ص ١٤٢

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 291.

وفي موضع آخر يذكر أبو شامة « عن صاحب السيرة الصلاحية » :
الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٩ أن شاور اتفق مع أسد الدين على أن يعطيه
كل ما تكلفته تلك الحملة وأن يعطى للصليبيين ثلاثين ألف دينار ويعود كل منهم
الى بلاده وأن صلاح الدين طلب من ملك الصليبيين مراكب حمل فيها الضعفاء
من أصحابه فأرسل له عدة مراكب .

(١١٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ١ ، ص ١٤٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ : هنا
يلذكر المصدر الآخر أن المصريين تسلموا الاسكندرية في منتصف شوال .

(١١١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ١ ، ص ١٤٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ ،
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، (القاهرة ١٩٣٥) ص ٢٤٩ ، ابن
خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339. (١١٢)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 554. (١١٣)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 553. Stevenson : Op. Cit., P. 191. (١١٤)

(١١٥) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ابن واصل :
مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥١ ، ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٨ .
Setton : Op. Cit., V. 1, P. 533, Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 376. (١١٦)

(١١٧) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢١١ ،
د. عبد الرحمن الرافعي ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ،
ص ٢٨٩ .

الفصل الثانى

الدور الايجابى للتحالف بين الصليبيين والروم

راينا كيف احتلت مصر مكان الصدارة فى خطط الصليبيين ، وكان ذلك هو سبب تعدد السفارات المبعوثة الى اوروبا لطلب النجدة ولو انها لم تأت بأية نتائج مثمرة . فقد كانت اوروبا لا تزال تحت تأثير الآثار السيئة للحملة الصليبية الثانية . ومن ناحية ثانية كانت المشكلات المعقدة التى نتجت عن العلاقات بين فرنسا وانجلترا من ناحية ، والبابوية ودولة الروم من ناحية ثانية ، قد غطت على كل المشكلات الأخرى (١) .

والحقيقة أن الملك عمورى كان فى بداية حكمه يرى فى الروم عدوا لا يقل خطورة عن المسلمين ، وعليه فقد بنى آماله على لويس السابع ملك فرنسا ، الا أنه بمرور الوقت اتضح له أنه من الواجب عليه ألا ينتظر أى نجدة من فرنسا (٢) .

وهنا نود أن نؤكد ما قيل من أنه اذا كانت أحداث الفترة المبكرة لحكم عمورى الأول قد أثبتت بوضوح مدى ضعف مصر حينئذ ، فانها أيضا تركز الضوء على طبيعة الدفاع الصليبي المحفوف بالمخاطر فى شمال بلاد الشام . وعليه فقد زاد نفوذ ومكانة

امبراطور الروم مانويل كومنين في الشمال ، وهو الذي كان ممسكا بيده توازن القوى في الشرق ، ومن هنا كان على الصليبيين أن يعملوا على حماية استقلالهم بتأييده في أهدافه التي كانت منصبة في الغالب على أنطاكية (٣) .

لم تلبث العلاقات بين الصليبيين والروم أن دخلت في دور ايجابي فعال عن طريق اتمام بعض الزيجات بين الجانبين ، وعن طريق العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين .

فقد تزوج بوهيموند الثالث أمير أنطاكية من حفيدة الامبراطور مانويل بينما تزوج الامبراطور مانويل كومنين من ماريا اخت بوهيموند نفسه . كذلك تزوج الملك عموري من ماريا ابنة حنا كومنين ، في كنيسة صور في ٢٩ أغسطس ١١٦٧ م ، وذلك بعد رجوع عموري من حملته الثالثة على مصر مباشرة (٤) .

وهكذا دعمت تلك الزيجات الروابط بين الصليبيين والروم وشجعت الجانبين على الدخول في علاقات دبلوماسية تزيد من تقوية تلك الروابط ولو لفترة محدودة .

ومما لا شك فيه أن عموري كان قد أدرك بعد احتكاكه عن قرب بمصر أكثر من مرة أنه في حاجة الى قوة خارجية تمكنه من تحقيق حلمه الكبير في الاستيلاء عليها ، بل في المحافظة على مركزه بها ، الى جانب القدرة على مواجهة نور الدين المتكررة (٥) .

لذلك فكر في تقوية الرابطة مع امبراطورية الروم ، ولم يتوان عن الزواج من الأميرة ماري كومنين . وفي نفس الوقت لم يكن أباطرة القسطنطينية في غفلة عما جرى في مصر طوال السنوات الأخيرة من انحلال الخلافة الفاطمية وتنافس نور الدين محمود

وعمورى الأول حول الفوز بوادى النيل ، لذلك لم يلبث الامبراطور أن ارسل مبعوثين سنة ١١٦٨ م / ٥٦٣ هـ الى بيت المقدس للاتفاق على عمل مشترك بحيث تقوم القوات الرومية الصليبية بفتح مصر على أن يكون الثمن الذى اتفق على أن يتقاضاه الامبراطور لقاء مساعدته للصليبيين هو جزءا من مصر ، فضلا عن انطاكية (٦) .

وقد أورد لنا وليم الصورى نصا لتلك الرسالة التى بعث بها الامبراطور الى الملك عمورى (٧) .

وسواء أكان الملك عمورى هو الذى بدأ المفاوضات من أجل مصر (٨) أم أن الامبراطور نفسه هو الذى بدأها (٩) فإن الملك عمورى ارسل بعثة من قبله الى القسطنطينية ، كان أحد أعضائها المؤرخ المشهور وليم الصورى ، رئيس أساقفة صور (١٠) .

لم يكن الامبراطور موجودا آنذاك بالقسطنطينية ، بل كان مشغولا باخماد احدى الثورات فى بلاد الصرب (١١) ، وبعد أن تم له اخضاعهم وأسر زعمائهم ، وفى طريق عودته للقسطنطينية ، تقابل مع الوفد الصليبي عند بلدة Butella فى اقليم Pelagonia (١٢) .

هنا يروى لنا وليم الصورى أن الامبراطور استقبل مبعوثي الملك عمورى « استقبالا مشرفا ، وعاملهم برقة امبراطورية » عندئذ أوضحوا الهدف من رحلتهم وسفارتهم ، كما شرحوا له بعناية فائقة فحوى المعاهدة ، فاستمع الامبراطور للتقرير الكامل بسرور زائد ، وبلباقة وأدب جم وافق عليها ، بل أقر كل ما اتفق عليه . وبعد أن حلف الجانبان قسما مقدسا كل منهما للآخر ، أقر الامبراطور بما له من سلطة التفاصيل التى كانت قد وضعت بواسطة المبعوثين ، وصدق على المعاهدة ، وبذلك نجحت تلك السفارة ، وبدأ وليم ورفاقه رحلة العودة الى بيت المقدس وذلك « فى اليوم الأول من أكتوبر » ١١٦٨ م (١٣) .

واذا كان وليم الصورى لم يذكر لنا تفاصيل المعاهدة التى تم الاتفاق عليها فان برييه قد ذكر لنا باختصار أنها نصت على « اقتسام مصر » (١٤) .

ومهما يكن من أمر فانه قبل أن تعود البعثة الملكية من عند امبراطور الروم الى بيت المقدس ، كان الملك عمورى قد خرج فى حملته الرابعة على مصر والتى بدأت آخر أكتوبر ١١٦٨ م / ٥٦٤ هـ (١٥) .

فما مغزى ذلك التحرك المفاجئ لعمورى ؟ وما سر انفراده بتلك الحملة على مصر وهو الذى كان حريصا على وقوف امبراطور الروم الى جواره فيها ؟ ، وخير دليل على ذلك تلك البعثة التى أرسلها والتى كان يعلم مسبقا مصيرها ؟ وانها كانت ستأتى بموافقة الامبراطور على المشاركة فى الاستيلاء على مصر .

هنا تضاربت الأقوال وكثرت الآراء للرد على هذا التساؤل فيرويه ذكر لنا رأيين : أولهما يستند الى بنود الاتفاق الذى لم يتوافر لدينا نصه ، وهو أن عمورى ، كان ينوى أولا مهاجمة مصر ، ثم يحضر الامبراطور لتأييده . بينما ذكر رأيا آخر - وهو فى رأيه أكثر الافتراضات قربا من الحقيقة - أن عمورى رغب فى أن يختبر قواته كى لا يضطر الى تقسيم ثمره انتصاره مع الامبراطور (١٦) . وبمعنى آخر عدم رغبة عمورى فى أن يشاركه الروم فى اقتسام مصر ولو أن ذلك كان رأى « العناصر المحبة للحرب والشرهة من بارونات المملكة » والتى كانت تضغط بشدة على الملك (١٧) .

أما وليم الصورى فقد أوضح لنا أن الملك تحرك بسرعة الى مصر « ماثرا بواسطة السخط الذى فجرتة الاشاعات التى انتشرت

في مملكة بيت المقدس من أن شاوور كان يرسل باستمرار السفراء الى نور الدين مناشدا اياه سرا المساعدة ، وأنه ادعى أنه ضد ارادته تماما ، أنه ارتبط بأى معاهدة من معاهدات السلم مع أى عدو ، كما أنه رغب في الانسحاب من الاتفاق الذى عقده مع الملك وأنه اذا استطاع الاعتماد على مساعدة نور الدين فإنه سوف يخرق المعاهدة ويتخلى عن الملك تماما «(١٨) .

والحقيقة أن ذلك الرأى وأمثاله كان من آراء الاسبتارية(١٩) التى كان رئيسها المحرك الأول للملك(٢٠) . وأيدهم فى رأيهم هذا ولیم الرابع دوق نيفر الذى قدم الى فلسطين فى نهاية صيف ١١٦٨ م وكان بصحبته عدد كبير من الفرسان(٢١) . بينما وقف فرسان الداوية(٢٢) موقفا معارضا بسبب تنافى الحملة مع ما يمليه عليه الضمير ، أو لأن سيد المجموعة الاسبتارية كان هو المحرك الأول لها - كما سبق الذكر - لذلك رفضوا أن يمدوا الملك بالقوات لأن اعلان الحرب ضد أى قوة صديقة ، يعتبر خطأ مخالفا لمغزى المعاهدة ودون أى اعتبار للحق والعدالة ، وباعتبار أن مصر حافظت على حسن نواياها ، فانها لا تستحق تلك المعاملة(٢٣) . وهنا نود أن نشير الى أن الخرق المتكرر للمعاهدات هو الذى دفع نورمان دانييل الى القول بأن « المبادئ الخلقية للقانون الدولي لم تكن واضحة فى القرن الأول للمملكة اللاتينية »(٢٤) .

والواقع أن عمورى الأول وجد نفسه مضطرا الى الاسراع بهذه الحملة نتيجة لانقلاب سياسة شاوور ضد الصليبيين(٢٥) .

ذلك أن شاوور أخذ يتخوف من المساعدة الصليبية التى تحولت الى حماية بل الى نوع من الوضاية على الدولة الفاطمية ،

فوجود مندوب أو شحنة عن ملك بيت المقدس الصليبي في القاهرة يشاركة في شئون الحكم ، ووجود حامية صليبية تحرس أبواب القاهرة كل ذلك أزعج الفكر الاسلامي خصوصا أن أولئك الصليبيين أساءوا معاملة أهل البلاد(٢٦) « فقال المسلمون منهم أذى شديد ، وجور عظيم وقهر زائد »(٢٧) .

ولقد كان ذلك الاستياء أمرا طبيعيا وكان لابد من حدوث انفجار نتيجة للسيادة الفرنجية المباشرة فلا يمكن لأي مسلم أن يقبل بدون مجادلة أن تصبح بلاد النيل تحت السيادة الصليبية(٢٨) .

هذا بالإضافة إلى أن الضريبة السنوية التي فرضها عموري على شاور - وهي مائة ألف دينار - أثقلت كاهل ميزانية الدولة الفاطمية في الوقت الذي ضعفت فيه تلك الدولة ونضبت مواردها . وهكذا لم يجد شاور مفرأ أمام ضغط الرأي العام وشعوره بالاستياء من أن يهلب سياسته رأسا على عقب ، لذلك اتصل بنور الدين محمود طالبا مساعدته في التخلص من الحماية الصليبية(٢٩) .

والراجع أن شاور قد تناقش في ذلك الموضوع مع ابنه الكامل شجاع الذي كان باستمرار دائم النصيح لوالده بالابتعاد عن الصليبيين ، وعمل كل ما يهم المصلحة الاسلامية ، وانتهى الأمر باتفاق الوالد وابنه على سياسة جديدة يتم الاتفاق عليها مع نور الدين . والدليل على ذلك أن الكامل شجاع بن شاور راسل نور الدين « ينهى محبته وولاءه ، ويسأله أن يأمر باصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته وجمع كلمة الاسلام ، وبذل ما لا يحمله كل سنة » فوافق نور الدين(٣٠) .

وقبل أن نستطرد في الحديث عن حملة عموري تلك نود أن نورد هنا رأيا غريبا لميخائيل السرياني جعله السبب الأساسي

لتحرك ملك بيت المقدس الى مصر تلك المرة . حيث يقول ما ملخصه : « ان المسلمين في مصر كانوا منقسمين الى حزبين أحدهما الشيعة والثاني السنة ، أيد الشيعة نور الدين ، وأيد السنة الصليبيون . وقد أرسل نور الدين مبعوثين للحزب السني لكي يحثوهم على الانفصال عن الصليبيين ، وأن يرفضوا اعطائهم الضريبة السنوية وأن يعملوا كل ما في وسعهم على تدعيم دينهم ، فوافقوا على ذلك الاقتراح ووضعوا أنفسهم تحت تصرف الأتراك . ثم حصنوا بلبيس وامتنعوا عن دفع الضريبة المألوفة للصليبيين عندئذ أسرع ملك بيت المقدس بأخذ بلبيس » (٣١) .

ويكفي للتدليل على عدم صحة ذلك الرأي من القول بأن (الشيعة هم الذين أيدوا نور الدين) لأن نور الدين كان سنيا وبالتالي كان من الأحرى أن يؤيده السنة لا الشيعة .

أما عن المثير الأول لفكرة حملة عموري الرابعة على مصر فهو الحزب الصليبي الذي كان موجودا في مصر آنذاك - وفقا للاتفاق السابق بين الصليبيين وبين شاور - فقد راسلوا الملك عموري وأخبروه بسهولة الاستيلاء على البلاد « أعلموه خلوها من ممانع » (٣٢) وأنه « ليس بها راد ولا عن أخذها صاد » (٣٣) .

عندئذ انقسم الصليبيون في مملكة بيت المقدس الى قسمين - وفقا لما دونه وليم الصوري - فريق حرض الملك وحثه بالحاح على ضرورة القيام بتلك الحملة على رأس هؤلاء الاستبтарыة ومقدمهم - كما سبق الذكر - وفريق عارض بشدة ذلك المشروع وحذر الملك من مغبة عواقبه وعلى رأسهم الداوية (٣٤) .

ولكن ما سر ذلك الانقسام في الرأي الصليبي تلك المرة ؟ ولما لم نر منهم ذلك الموقف من قبل في حملات عموري السابقة ؟

هنا يعطينا بروييه ردا موجزا وكافيا في نفس الوقت عندما يقول « أن الصليبيين تحركوا في تلك المرة الى مصر ، لا لتأثرهم بحزب من الأحزاب المصرية ، بل لانبعاث فكرة جديدة من داخلهم هي السيطرة على مصر لا حمايتها » (٣٥) . ولو أن المصادر العربية تشير الى وجود بعض المؤيدين للفكرة داخل مصر ممثلين في بعض أعداء شاور (٣٦) . ولكن هناك فارق كبير بين ان يكونوا مشايعين فقط للفكرة ، وان يكونوا هم أصحابها الأصليين .

والحقيقة أن الملك عموري تردد بعض الشيء في توجيه حملته . تلك ، وعندما ألح عليه الحزب المتطرف المؤيد للحرب (٣٧) رد عليهم بأنه لا يريد أن يتوجه اليها لأن أموالها تساق اليهم فيتقووا بها على نور الدين ، أما اذا صمموا على صدها « فان صاحبها وعساكره وعامة أهل بلاده وفلاحها لا يسلمونها الينا ويقاثلوننا دونها » (٣٤) . أو يسلمونها الى نور الدين وفي ذلك هلاك الصليبيين (٣٩) . فأكدوا رغبتهم في التوجه اليها وانه بإمكانهم أخذها قبل أن يصل الخبر الى نور الدين . فما كان منه الا ان وافق « على كره شديد » وتجهز للسفر (٤٠) .

وعليه فلا عبرة هنا بما ذكره ابن أيبك وابن الفرات من ان الملك عموري توجه بتلك الحملة الى مصر بدافع شخصي بحت ، والراجع أن ابن الفرات نقل رأيه هذا عن ابن أيبك (٤١) .

والحقيقة أن الصليبيين جاءوا الى مصر تلك المرة « ناكثين لجميع ما استقر مع المصريين وأسد الدين من الصلح والقواعد طمعا في البلاد » (٤٢) .

وكن ما يهمنا هو أن الملك عموري تحرك من عسقلان في منتصف محرم ٥٦٤ هـ / ١١٦٨ م ووصل بجيشه الى بلييس .

أول يوم من صفر ٥٦٤ هـ / (٤٣) وأوائل نوفمبر ١١٦٨ م (٤٤) فقتل الصليبيون الكثير من أهالي بلبيس وأسروا عددا آخر ، كما تعرضت المدينة نفسها للسلب والنهب (٤٥) . وذلك لمدة خمسة أيام (٤٦) أو ثلاثة (٤٧) .

وقد أوضحت لنا المصادر السريانية واللاتينية الى جانب المراجع الأجنبية الحديثة مدى التنكيل الذى حل بأهالي بلبيس آنذاك . فقد ذكر ميخائيل السريانى أن الملك « وجد بالمدينة اثنى عشر ألف فارس ومائتى ألف من المشاة فوضع فيهم حد السيف » (٤٨) . أما وليم الصورى فيقول « أعمل فيهم السيف دون مراعاة لسن أو جنس » (٤٩) . فى حين ذكر رنسيما أن تلام دخول الصليبيين بلبيس مذبحه مروعة للأهالي (٥٠) .

وبعد أن قضى عمورى عدة أيام فى بلبيس لاعادة تنظيم قواته (٥١) ، تقدم الصليبيون الى القاهرة فوصلوها فى العاشر من صفر ٥٦٤ (٥٢) ، وعسكروا قرب بركة الجيش قرب الفسطاط (٥٣) ، وبدأوا يستعدون لمحاصرة القاهرة فخاف أهلها أن يتعرضوا لنفس المصير الذى تعرض له أهل بلبيس « فحفظوا البلد وقاتلوا دونه وبذلوا جهدهم فى حفظه » والحقيقة أنه ربما سلمت القاهرة للصليبيين اذ لم تكن بلبيس قد تعرضت للمصير السابق الذكر « ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك ليقضى أمرا كان مفعولا » (٥٤) .

بل أن شاور نفسه أمر بإشعال النار فى مدينة مصر (أى الفسطاط) فى تاسع صفر ٥٦٤ هـ / ١٢ نوفمبر ١١٦٨ م وذلك قبل نزول الصليبيين عليها بيوم واحد (٥٥) « بعد أن أمر أهلها بالانتقال الى القاهرة وأن ينهب البلد فانتقلوا ، وبقوا على الطرق ونهبت مصر وافتقر أهلها وذهبت أموالهم ونعمهم » (٥٦) ويقال أن

النار ظلت مشتعلة في الفسطاط حوالى أربعة وخمسين يوما (٥٧) .
والراجح أن شاور لجأ الى هذا الأسلوب المدمر بعد أن أعيته
الحيلة في رد عمورى عن مصر بطريقة هادئة (٥٨) .

أما الخليفة العاضد فقد أفزعته تلك الأخبار فأرسل يستنجد
بنور الدين ويعرفه « ضعف المسلمين عن الفرنج » وبعث مع
الرسائل بعضا من شعور نسائه لكى يزيد من حثه على التقدم
لنجدته « هذه شعور نسائي من قصرى يستغثن بك لتنقذهن من
الفرنج » (٥٩) وذلك لما لحق نساء مصر في ذلك الوقت من
« أحوال تقشعر لسماعها الأبدان » (٦٠) على أيد الصليبيين .
وما ان وصلت تلك الأخبار الى نور الدين حتى « قام وقعد »
وشرع في الحال في تجهيز قواته الى مصر (٦١) .

وبوصول الأمر الى هذا الحد كان على شاور أن يتحرك
بسرعة حتى لا تضيق منه البلاد فقد « اشتد الأمر وعظم الخطب ،
وضاق الحصار وخيف البوار وعلم شاور عجزه وضعفه وأن
البلاد ذاهبة لا محالة فسلك طريق التمحل » (٦٢) أى أنه بدا
يطرق طريق الحيلة والخداع . فأرسل الى الملك عمورى « يذكر
له مودته ومحبته القديمة » وأنه معه قلبا وقالبا لولا خوفه فقط
من العاضد ونور الدين ، وطلب منه الصلح على أن يأخذ « ألف
ألف دينار مصرية ، يعجل البعض ويؤخر البعض » فأجابته
الى ذلك (٦٣) .

ووفقا لرأى وليم الصورى فإن الملك عمورى كان قد طلب
مليونين من الدينارات من شاور في مقابل عقد ذلك الصلح لكى
تعوضه عن الخسائر التى لحقت بمملكته من جراء حروبه مع شاور
وجعل ذلك شرطا لاطلاق سراح ابن شاور وحفيده وبقيّة من معه
من أصحاب المنزلة العالية في مصر من أسرى (٦٤) .

أما المصادر العربية فلم تحدد مقدار المال الذى طلبه عمورى آنذاك بل ذكر بعضها أن شاور طلب من عمورى أن يمهله بعض الوقت لكى يجمع له بعض المال وأطمعه فى « ألف ألف دينار معجلة ومنجمة » وقال له « ترحل عنا وتوسع الخناق وتظهر الارفاق » (٦٥) . بينما أشار مصدر آخر أن شاور طلب من عمورى الرحيل وأن يأخذ فى مقابل ذلك ما يريد من المال كى لا تقع البلاد فى يد نور الدين ، لأنه لو حدث ذلك فلن يأخذ مصر ولن يأخذ أى مال (٦٦) .

هنا انقسم الصليبيون الى فريقين أمام ذلك العرض ، فالبعض ومعهم الملك حبذ فكرة العودة وأخذ المال ليتقوا به ويعودوا مرة أخرى بعد ذلك - خصوصا أن بعض الأخبار وصلتهم بتحريك قوات نور الدين اليهم . والفريق الثانى رأى ضرورة الاستيلاء على القاهرة (٦٧) .

والحقيقة أن أخبار حملة عمورى تلك على مصر لم تصل أخبارها الى نور الدين عن طريق الخليفة العاضد فقط بل عن طريق شاور نفسه أيضا الذى بدأ يلعب على الوترين فى وقت واحد . ففى نفس الوقت الذى بدأ يفاوض الصليبيين فى الصلح . أرسل أيضا الى نور الدين يستنجد به . فقد أرسل كتبه الى نور الدين « مستصرخا ومستنفرا وبما نال الاسلام من الكفر مخبرا ، وسير الكتب مسودة بمدادها ، كاسية لباس حدادها » ومعها أيضا بعض شعور أهل القصر « للاشعار بما عراهم من بلية الحصر » (٦٨) .

أما الخليفة العاضد فبمجرد أن علم بأخبار المفاوضات التى دارت بين شاور والصليبيين وأنها انتهت باتفاقهم على أن يعطيهم

شاور مائة ألف دينار وأن يرحلوا عن البلد حتى يتمكن من جمع المال ، حتى أعاد مراسلة نور الدين وأعلمه بما لقي المسلمون من الصليبيين ، وأغراه بعودة وعود منها أن يكون له ثلث مصر واعطاء أراض أخرى لأسد الدين شيركوه يقيم فيها هو وجنده وأن يكون إقطاعهم عليه خارجا عن الثلث الذي لنور الدين (٦٩) .

والراجع أن أخبار عموري وحملته على مصر وصلت بسرعة الى أسد الدين شيركوه قبل وصولها الى نور الدين (٧٠) ، لذلك سار من حمص الى حلب في « ليلة واحدة » وطلب من نور الدين التوجه بنفسه اليهم لأنه وحده القادر على ردهم عن مصر ، فما كان من نور الدين الا أن وضع كل خزائنه تحت تصرف أسد الدين لكي يأخذ منها ما يشاء لاعداد جيش قوى يتوجه به الى مصر « ان خزائني لك فخذ منها ما تريد » وبالفعل تم ذلك في وقت قصير وخرجت القوات النورية متوجهة الى مصر في منتصف شهر ربيع الأول ٥٦٤ هـ (٧١) بقيادة أسد الدين شيركوه الذي توجه الى مصر « بسيفه وملكه وماله وأهله ورجاله » (٧٢) . وصحبه عدد من الأمراء والمماليك — من صفوة الجيش وصلاح الدين ابن أخيه على كره منه (٧٣) .

أما عن الصليبيين وحملتهم فقد رأينا أنهم توقفوا أمام القاهرة ، وكان شاور قد أشعل النار في الفسطاط ، وكان ما كان من أمر المحادثات بين شاور والصليبيين .

وفي نفس الوقت الذي كان فيه عموري قد غادر مملكته ، كان قد أعطى أوامر للأسطول صليبي أن يتحرك الى شواطئ مصر لهماجمها من جهة البحر ، وبالفعل وصل الأسطول ودخل فرع النيل الذي تقع عليه مدينة تنيس ، واستولى عليها وأخذت قواته

في نهب وسلب المدينة ، ثم بدأت قوات الأسطول الصليبي تحاول
اللاحاق بالملك مستخدمة فرع النيل في تحركها ، فوقف المصريون
وقفة جريئة وسدوا النيل بواسطة مراكبهم ومنعوا الصليبيين من
المرور . في الوقت الذي أصدر عموري أوامره الى
Humphrey of Toron - المسئول عن الأمن في قصره - بأن
يستولي على الشاطئ المواجه بواسطة بعض الفرسان ، ولكن
ما ان بدأ همفري في تنفيذ الأوامر حتى وصلت أخبار تفيد باقتراب
شيركوه ، عندئذ كان لابد من تغيير الخطط فصدرت الأوامر
للأسطول بالعودة الى البحر ثم الى المملكة (٧٤) .

ويقال ان شاور ورجاله بذلوا كل ما في وسعهم كي ينسحب
الملك آنذاك من الأراضي المصرية ، وأنه دفع لعموري مائة ألف دينار
مقابل انسحابه ، واستعاد شاور ابنه وحفيده اللذين كانا رهينة
عند عموري . عندئذ تقدم الملك حتى وصل الى سرياقوس . ولم
يلبث شاور بعد ذلك أن أخذ يلهب حماس المصريين للدفاع عن
بلدهم فسدوا كل الثغرات وأعدوا كافة وسائل الدفاع بعد ان
جمع القوات من كافة أرجاء مصر وزود القاهرة بالمؤن الكافية (٧٥) .

ولواقع أن شاور أخذ يماطل ويسوف مع الصليبيين في
اعطائهم المال المتبقى بحجة أنه مشغول بجمعه حتى أصبح جيش
شيركوه على مقربة منه (٧٦) . وكان وصول جيش أسد الدين
الى مصر في ربيع الأول ٥٦٤ هـ (٧٧) .

وهكذا جاء شيركوه بحملته الجديدة الى مصر « كمحرر ومنقذ
لا كعدو » (٧٨) ، فقد جاء شيركوه لينقذ مصر كلها خليفة وشعبا
بعد استنجادهم بنور الدين .

وثمة رأى لابن العبرى هنا يجعل هدف نور الدين من وراء ارسال تلك الحملة هو (الوصول الى حكم مصر ، دون أن يكون دافعه تقديم المساعدة للمصريين » (٧٩) .

والراجح أن نور الدين رمى الى الوصول للهدفين معا ، تحرير مصر من الصليبيين المتربصين بها والذين ألحقوا بها الأذى ، ثم ضمها الى حوزته حتى تدخل تحت ظل المذهب السنى الذى يعضده ، ولما فيه أيضا من تأمين لبلاد الشام . وهذا ما عبر عنه ابن الأثير بعد فتح مصر على يد شيركوه تلك المرة بقوله « أنه كان فتحا جديدا لمصر وحفظا لسائر بلاد الشام وغيرها » (٨٠) .

والحقيقة أنه بمجرد وصول أخبار اقتراب جيش شيركوه من مصر خشى الملك عمورى أن يصبح محصورا بين نارين (٨١) . فأعطى أوامره للجيش الصليبي بالعودة الى بلاد الشام وبدأ تحركه بالفعل فى ٢ يناير ١١٦٩ م .

واذا كانت تلك الحملة ذات سمات مميزة عما سبقها من حملات للملك عمورى على مصر ، باعتبارها تحركت بأهداف تخص الصليبيين وحدهم دون استنجاد من داخل مصر ، ولأنها كانت ترمى الى السيطرة على مصر لا حمايتها ، لذا كانت أصداء اخفاقها كبيرة لذلك أبرزت المصادر العربية تلك النقطة بما تستحقه من الازدراء والشماتة (٨٢) . وأوضحت أنهم جاءوا عن غير حق ورحلوا دون أن يجنوا شيئا الا الندم . فابن الأثير ذكر أنهم « رجعوا بخفى حنين خائبين مما أملوا (٨٣) ، أما ابن شداد فيقول « رحلوا راجعين وعلى أعقابهم ناكسين » (٨٤) . بينما يقول البندارى « وأجفلوا أجفال النعام » (٨٥) . أما ابن واصل وابن الفرات فيقولان « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله

المؤمنين القتال « (٨٦) . وقد توجه عمورى أولا الى بلبيس ثم عاد الى مملكته (٨٧) بل أن ابن الأثير يبرز لنا مدى ضيق عمورى وضجره من نتيجة تلك الحملة الخاسرة بقوله « وسب ملكهم كل من أشار عليه بقصد مصر » (٨٨) . فقد كانت « نهاية واهنة لمحاولة حمقاء » على حد تعبير (ستيفنسون) (٨٩) .

وهكذا كانت نتائج حملات عمورى حتى ذلك الوقت فى رأى برييه « لا تبشر بأى خير ، فقد أنهكت حملاته المتكررة على مصر ميزانية الامارات الصليبية ، وفى مقابل توجيه عمورى نظره الى مصر اضطر الى التنازل عن أنطاكية ، بل ترتب على تلك الحملات أيضا نقص وامكانيات التدخل السياسى والعسكرى فى الدبلوماسية السورية الاسلامية » (٩٠) .

وكان وصول أسد الدين شيركوه الى مصر فى بداية ربيع الآخر ٥٦٤ هـ (٩١) / ٨ يناير ١١٦٩ م (٩٢) . فخلع عليه الخليفة « الخلعة العاضدية وفرح به أهل مصر وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات الكثيرة والاقامات الوافرة » (٩٣) . أما شاور فقد بدأ يخادع شيركوه من جديد ويظهر له الود « تودد شاور الى أسد الدين وتردد ، وتجدد بينهما من الوداد ما تأكد » (٩٤) .

فقد كان شاور يخرج كل يوم الى معسكر شيركوه الذى كان موجودا أمام القاهرة فيقدم له فروض الود والمحبة الى جانب بعض الهدايا ، ويعود مرة أخرى الى القاهرة (٩٥) . وكان شاور يلحظ هوى العاضد والشعب وميلهم لشيركوه ، فظل يماطل فى اعطاء شيركوه المال والاقطاع المتفق عليه مع تخصيص ثلث البلاد لنور الدين (٩٦) . وكان الحقد قد أذهب صوابه من جديد ودفعه الى مكاتبة الصليبيين حيث طلب منهم الحضور بحملة برية بحرية

الى دمياط « يكون مجيئكم الى دمياط في البحر والبر » (٩٧) .
بل انه فكر في التخلص من شيركوه لولا تدخل ابنه في الأمر ومنعه
من ذلك (٩٨) .

فلما أحس شيركوه ومن معه بمماطلة شاور لهم قرروا التخلص
منه ، وبالفعل عهد شيركوه الى صلاح الدين بتلك المهمة فتم
التخلص من شاور بقتله ، تنفيذاً لرغباتهم الى جانب رغبة الخليفة
العاظم أيضاً (٩٩) . « فحم حمامه وحمل الى القصر هامة وذلك
يوم السبت سابع عشر ربيع الآخر » (١٠٠) .

عندئذ تقلد أسد الدين الوزارة ولقب بالملك المنصور أمير
الجيوش (١٠١) وقد اعتبر وليم الصوري أن شيركوه بوضعه الجديد،
أصبح « سيداً لمصر كلها » (١٠٢) . ولم يستطع أن يخفى تحسره
الشديد لذلك واعتبره فاصلاً بين عهدين مختلفين تماماً بالنسبة
لصالح مملكة بيت المقدس (١٠٣) .

والواقع أن شيركوه لم يستقر في الوزارة سوى شهرين
 وخمسة أيام ، فقد توفي في « الثاني والعشرين من جمادى الآخرة »
سنة ٥٦٤ هـ (١٠٤) / ٢٣ مارس ١١٦٩ م (١٠٥) .

وبوفاة شيركوه ولي الخليفة العاضد ابن أخيه صلاح الدين
مكانه في الوزارة (١٠٦) . وذلك في الخامس والعشرين من شهر
جمادى الآخرة ٥٦٤ هـ (١٠٧) . ولقبه بالملك الناصر ، وكان
مما كتبه العاضد في منشور الوزارة لصلاح الدين : « فيومك واسطة
في المجدين : يومك وأمسك . . . وكل ناد من أندية الفخار لك أن تقول
فيه ، ولغيرك أن يمسك ، فبشراك أن أنعمه منكم موصولة بوالد
وولد ، وإن شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت في بيت
أسد » (١٠٨) .

وبتولى صلاح الدين الوزارة وزع على قواته كل ما جمعه
أسد الدين في حياته ، الى جانب جزء طلبه من الخليفة العاضد
فأحبه الجميع (١٠٩) . فما زالت محبته غالبية على مهايته وهو يبالغ
في تقريبيهم كأنهم ذوو قرابته « (١١٠) .

وبذلك خيب صلاح الدين آمال الخليفة العاضد وأمسك بيد
من حديد على زمام الحكم في مصر ، مما ترتب عليه أيضا سريان موجة
من الذعر والقلق في مملكة بيت المقدس بل في كل الممالك الصليبية
في بلاد الشام ، والراجع أن ذلك الذعر ظهر بجلاء بعد تخلص
صلاح الدين من مؤتمن الخلافة الذي كاد أن يعيد من جديد دور
ضرغام وشاور ويستنجد بالصليبيين ضد صلاح الدين (١١١) .

وقد صور لنا ولیم الصوري في تلك السطور القليلة التالية مدى
القلق الذي أصاب الصليبيين بتولى الأتراك حكم مصر : « كان
خضوع مصر للأتراك أمرا غاية في الخطورة بالنسبة لنا فقد أصبح
وضعنا غاية في السوء ، فاذا خرج نور الدين بأسطوله الضخم من
مصر ، كان بإمكانه أن يسد علينا منافذ المملكة وأن يحاصر كل المدن
الساحلية بواسطة البر والبحر بجيشه . بالإضافة الى ذلك فانه
كان بإمكانه أن يعرقل وصول الحجاج الى بيت المقدس أو حتى
يرفض السماح لهم بالمرور كلية « (١١٢) .

كما أعطانا (ستون) رأيا آخر عن نفس الموضوع حين قال :
« تسببت الأحداث التي وقعت آنذاك في قيام ثورة في ميزان القوى
في الشرق . فقد انتهت الحماية الفرنجية على مصر بكل مميزاتها
الاقتصادية والسياسية ، واتحد مسلمو مصر وسوريا وبدأ تطويرو
الدويلات المسيحية الذي أثبتت السنوات التالية مدى
خطورته « (١١٣) .

أما (ستانلى لين بول) فقد زودنا بتفسير ثالث لخطورة الوضع على الصليبيين حين قال : « ان مينائى دمياط والاسكندرية جعلتا للمسلمين القيادة على الأسطول ، وجعلهم قادرين على قطع اتصالات الصليبيين بأوروبا وعلى إيقاف سفن الحج السنوية كما وضع أيدي المسلمين على امدادات الصليبيين » (١١٤) .

والواقع انه كرد فعل لتولى شيركوه الوزارة فى مصر مباشرة (١١٥) وبالتحديد فى بداية ١١٦٩ م تكونت سفارة اختيرت بالاجماع من المبرزين من أصحاب المكانة العالية فى الكنيسة ، توجهت من بيت المقدس الى أمراء الغرب المسيحيين مدفوعة - وفقا لتعبير وليم الصورى - « بهول المحنة » التى كانت مملكة بيت المقدس ترزح تحتها آنذاك . وحمل السفراء رسائل من الملك ومن كل القساوسة الى فردريك امبراطور ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا وهنرى الثانى ملك انجلترا ووليم ملك صقلية ، بل لكل النبلاء والكونتات البارزين فى الغرب وما ان أبحرت تلك البعثة برئاسة هرنسيوس Hernesius رئيس أساقفة قيسرية ووليم أسقف عكا حتى هبت عاصفة شديدة فى الليلة التالية مما اضطرتهم للعودة بصعوبة بعد ثلاثة أيام بعد أن نجوا من حادث غرق سفينتهم . عندئذ تكونت سفارة أخرى من فردريك رئيس أساقفة صور ، وحنا أسقف بانياس ولقد وصلت تلك السفارة بنجاح الى الغرب ولكنها لم تحقق سوى نجاح جزئى فى المهمة التى عهدت اليها . فقد مات الأسقف فى باريس بعد وصوله الى فرنسا بفترة وجيزة وعاد رئيس الأساقفة بعد أن أمضى سنتين بالخارج دون أى نجاح فى مهمته (١١٦) .

والحقيقة أن الأوضاع السياسية فى غرب أوروبا عندئذ لاسيما فيما يتعلق منها بالنزاع بين البابوية والامبراطورية ، حالت دون

تحقيق أمنية عمورى الأول ، فقد اتفقت تلك الفترة مع الدور الثانى من أدوار النزاع بين البابوية والامبراطورية . وهكذا لم يبق أمام الصليبيين بالشام سوى الاتجاه الى دولة الروم وطرق أبواب القسطنطينية طالبين مساعدتها (١١٧) .

ولقد شجع عمورى على أن يتمسك بموقفه فى ضرورة الاستيلاء على مصر ، أن ظروف البلاد فى ذلك الوقت كانت مهيأة لنجاح فكرته خصوصا أنه كان يوجد بمصر عناصر مستعدة لتأييد الصليبيين ، ممثلة فى اتباع شاور القدماء بالاضافة الى هؤلاء الذين تصارعوا للحفاظ على الحكم الفاطمى والذين كانوا موجودين داخل قصر الخليفة نفسه (١١٨) .

ومن حسن حظ الصليبيين أن امبراطور الروم مانويل كومنين لم يكلفهم مشقة تجديد طلب المساعدة منه فقد « كان يقظا ما فيه الكفاية للاتفاق الذى قطعه على نفسه » فى العام السابق ، وعليه فقد « أرسل الأسطول الذى وعده به وفقا لمتطلبات المعاهدة التى عقدها مع الملك » ، والتى كانت قد جاءت - مطابقة تماما لمقترحات الصليبيين ورغباتهم (١١٩) .

وبمعنى آخر كان امبراطور الروم « لا يزال تواقا لانجاز ما تعهد به فى الاتفاق الذى عقده من قبل مع وليم الصورى فى سبتمبر ١١٦٨ م » (١٢٠) وعلى ذلك وجد الملك عمورى فى التعاون الذى وعده به الامبراطور مانويل كومنين (٢٢١) ، ضالته المنشودة ومطلبه الملح ، على عكس ما كان يظن خصوصا بعد موقفه المتسرع فى حملته الرابعة كما أوضحنا من قبل .

وهكذا يفهم من كلام وليم الصورى ومن نقل عنه من مراجع اجنبية حديثة ، أن الامبراطور أرسل أسطولا من قبله دون أن

يطلب الملك ذلك ، أما ميخائيل السرياني فيعطينا رأيا آخر في
حوليته هو أن الملك عموري طلب من نسييه وقريبه امبراطور الروم
بعض القوات كي يسير ضد مصر وأن الامبراطور أرسلها له عن
طريق البحر (١٢٢) . وإذا كان وليم غير موجود في مملكة بيت
المقدس ١١٦٩ م فانه عرف تفاصيل الحملة من مصادر وثيقة (١٢٣) .
بينما كان ميخائيل السرياني هو البطريرك اليعقوبي الأنطاكية من
١١٦٦ م حتى ١١٩٩ م (١٢٤) . الا أننا نميل الى الأخذ برأى وليم
لأنه كان أكثر معرفة بمشاعر الامبراطور لأنه كان أحد أعضاء
البعثة التي تفاوضت معه ١١٦٨ م .

ومهما كان الأمر فان وليم الصوري أعطانا وصفا تفصيليا
للأسطول الذي أرسله امبراطور الروم للصليبيين في ١٠ يوليو
١١٦٩ م فقال : أنه كان مكونا من مائة وخمسين سفينة منقارية
الشكل ذات صفين من المجاديف . وكانت تسمى Galleys
وكانت مصممة خصيصا للاستخدام الحربي . بالإضافة الى ستين
مركبا كبيرا مسلحة تسليحا جيدا ، وكانت معدة لحمل الخيول .
وكان الأسطول يحتوي أيضا على عشرة أو عشرين سفينة من الحجم
الكبير المسمى Dromones التي كانت مخصصة لحمل المؤن من
كل نوع بكميات كبيرة الى جانب الآلات الحربية (١٢٥) .

ووضع الامبراطور على رأس ذلك الأسطول ثلاثة من كبار
النبلاء هم grand duke أو Contostephanus, Megalducas
وكان على صلة رحم بالامبراطور Maurice
أو Theodore Maurozumes الذي كانت له منزلة عالية لدى
الامبراطور الى جانب Conversana, Alexander of Crazina
أحد نبلاء أبوليا Apulia ، والذي ورد اسمه من قبل في السفارة
التي أرسلت من قبل مانويل ١١٦٨ م الى ملك بيت المقدس .

وفي أواخر سبتمبر ١١٦٩ م دخل الأسطول الرومي ميناء صور ثم تقدم الى عكا (١٢٦) . ليكون تحت تصرف ملك بيت المقدس .

والواقع أن ذلك الأسطول كان قد توجه أولا الى قبرص وأرسل جزء صغير منه فقط الى عكا محملا بالاعانة المالية لقوات الملك ، وطلب من عموري أن يرسل الى قبرص ليحدد التوقيت الذي يرغب أن يتحرك الأسطول فيه .

والحقيقة أننا اذا نظرنا الى تاريخ تحرك أسطول الروم من موانيه الأصلية (١٢٧) في ١٠ يولييه ١١٦٩ م حتى دخول ميناء عكا في أواخر سبتمبر من نفس السنة كما أشرنا من قبل نجد أن الأسطول تأخر عن القيام بمهمته حوالى شهرين يقال ان عموري أعاد فيها المفاوضات من جديد مع الروم وكان مترددا خلالها (١٢٨) .

هوامش الفصل الثاني

- J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 428. (١)
- J. Prawer : Ibid., P. 438. (٢)
- Setton : Op. Cit., V. 1, P. 554. (٣)
- Setton : Ibid., V. 1, P. 554, J. Prawer : Op Cit., T. 1, P. 438. (٤)
- L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339, Runciman : Op. Cit., V. 2, PP. 362, 377.
- بعد انفصال الملك عموري من زوجته الاولى Agnes دى كورتناى -
أم بلدوين الرابع وايزابيلا - بتدخل الكنيسة بسبب شدة القرابة بينهما ،
أرسل عموري بعثة الى القسطنطينية فعادت معها ماريا كومنين حيث قابلهم
عموري في صور بعد عودته من مصر وهناك تم الزواج .
- L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339. (٥)
- (٦) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات .. ، ص ٢١١ من
Schlumberger : Campagnes du roi Amoury de de Jerusalem en
Egypte.
- هنا يذكر برويه أن المفاوضات في ذلك الموضوع بدأت في صور في
فترة زواج الملك عموري من ماريا كومنين وأن مبعوثى الامبراطور في تلك المفاوضات
كانا الكسندر الجرافينى Michel d'Otranté Alexandre de Conversano
(J. Prawer : Op. Cit., T. 1, PP. 438 — 439)
- أما اميلى بابكوك Emily Babcock مترجمة كتاب وليم الصورى
الى الانجليزية فتشير في احدى الحواشى الى أنه من الطريف أن يكون مبعوثا

الإمبراطور مانويل من جنوب إيطاليا ، وأنه في ذلك الوقت كان هناك العديد من الغربيين في بلاط القسطنطينية وأن مانويل اعتمد عليهم في الأحداث ذات الأهمية الكبرى .

(William of Tyre : A History of deeds done beyond the Sea V. 11, P. 347).

William of Tyre : Ibid., V. II, P. 348.

(٧)

« فحواها » أن الإمبراطور قد أدرك أن مملكة مصر التي كانت حتى الوقت الحاضر أي عهد عموري ومانويل - قوية وغنية غنى مفرطاً قد وقعت في أيدي سلالة ضعيفة متخنة ، وأن الشعوب المحيطة بها قد تيقنت من عجز وعدم قدرة الحاكم والأمراء .. وأن الإمبراطور يعتقد أنه بمساعدة الملك يستطيع أن يضع مصر بسهولة تحت سيادته .

J. Prawer : Op. Cit., T 1, P. 438, Runciman :

(٨)

Op. Cit., V. 1, P. 379, Stevenson : Op. Cit., P. 193, Setton : Op. Cit., V. 1, P. 555.

William of Tyre : Op Cit., V, II, P. 348, L.

(٩)

Bréhier : Vie et Mort, P. 339.

William of Tyre : Ibid., V. II, P. 348, Setton :

(١٠)

Op. Cit., V. I, P. 555.

هنا يذكر وليم نفسه « أنه أضيف للوفد كأحد أعضائه بأمر الملك .. » وأنه فوض في التوقيع على الاتفاق ، وربما دفع ذلك برييه وبروييه إلى القول بأن وليم كان رئيساً لتلك البعثة

(L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339, J. Prawer : T. I, P. 439)

ولم يكن وليم هو المبعوث الوحيد للإمبراطور ، كما أشارت دائرة المعارف البريطانية

(The New Encyclopaedia Britannica, V. 5, 1768, P. 302).

لأن وليم ذكر في مكان آخر من كتابه : أنه انضم للمبعوثين الإمبراطوريين الذين انتظروا قدومه في طرابلس (William of Tyre : V. 11, P. 348)

William of Tyre : Ibid., V. 11, PP. 348 — 9.

(١١)

هنا يذكر وليم « أن بلاد الحرب هي البلاد الجبلية الواقعة بين

دلاشية وهنغاريا وايليريا . وهى متشابكة الغابات ، صعبة الاجتياز . .
ولذلك فاعتمادا على الطبيعة الجغرافية الصعبة لبلادهم والممرات الضيقة
داخلها ، ثار الصرب ، وكانوا يستمدون أصولهم من المنفى أى لم يكونوا من
سكان البلاد الأصليين . ، وأنهم اقتيدوا الى تلك البلاد للعمل فيها كأرقاء
في المناجم ، وفي قطع أحجار الرخام ، وأنهم استمدوا اسمهم من حالة العبودية
تلك . . خضع الصرب للامبراطور في بعض الأحيان ، وفي أحيان أخرى - باعتبارهم
شعوبا كانت في الأصل شجاعة محبة للحرب - كانوا ينطلقون من جبالهم
ويشيعون الخراب والدمار في كل ما حولهم من أقاليم . ولقد اتجه الامبراطور
ضدهم بجيش كبير ، بسبب الاعتداءات التي لا تحتمل التي ارتكبوها ضد
جيرانهم » .

William : Ibid., V. 11, P. 349.

(١١٢)

ويضيف وليم هنا أن ذلك المكان كان قريبا من المدينة القديمة التي
كانت تعرف في الماضي باسم Justiniana Prima التي كانت الموطن الأصلي
للإمبراطور جستنيان . . . والتي كانت تعرف آنذاك باسم Ochrida
أو Acreda أما بروبيه ورنسيما فليذكر أن البعثة التقت بالامبراطور في
البلقان في مدينة Monastir

(J Praver : Op. Cit., T. 1, P. 439, Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 379).

William of Tyre : Ibid., V. II, P. 349, Setton :

(١٢)

Op. Cit., V. 1, P. 555.

يلذكر لنا وليم هنا أنهم زودوا بخطابات امبراطورية تحوى النص الكامل
للمعاهدة في صيغتها النهائية ، وأنهم انصرفوا محملين بالهدايا القيمة وفقا
للعادة المتبعة آنذاك .

L. Bréhier : Vie et Mort, P. 339.

(١٤)

William of Tyre : Op. Cit., V, 11, PP. 349 — 350,

(١٥)

J. Praver : Op. Cit., T. 1, P. 439, The New Encyclopaedia Britan-
nica, V. 5. 1768. P. 302.

J. Praver : bid., T. 1, P. 439.

(١٦)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 555.

(١٧)

William of Tyre : Op. Cit., V 11, P. 350.

(١٨)

وقد أخطأ وليم الصوري هنا في تسمية شاوور بسلطان مصر .

(١٩) ثمة رأى يقول أن جذور هيئة الاسبتارية ترجع الى ما قبل قيام الحروب الصليبية ، عندما أسس بعض تجار مدينة أمالفي سنة ١٠٧٠ جمعية خيرية في بيمارستان قرب كنيسة القيامة في بيت المقدس ، للعناية بفقراء الحجاج ، ومن ثم أطلق عليهم اسم قرسان المستشفى Hospitallers التي حرفت بالعربية الى اسبتارية . ولم يلبث أولئك الاسبتارية أن دخلوا تحت لواء النظام الديرى البندكتى المعروف في غرب أوروبا ، وصاروا يتبعون البابا في روما تبعية مباشرة . وعند وصول الصليبيين الى بيت المقدس وحصارهم لها ، قام أولئك الاسبتارية - بحكم درايتهم بأحوال البلاد - بتقديم مساعدات قيمة للصليبيين . ومنذ ذلك الوقت أخذت هيئة الاسبتارية تتبلور ويصبح لها كيان ثابت مستقل ونظام خاص بها . وقد تعاقب في رئاسة تلك الهيئة بعض الرؤساء المصلحين الذين عملوا دائما على اكساب منظماتهم أهمية خاصة في النشاط الصليبي . وساعد الاسبتارية على ذلك حصولهم على كثير من الأراضي والإعانات ، فضلا عن أن كثيرا من كنائس بيت المقدس خصصت عشر دخلها لمساعدة الاسبتارية على النهوض برسالتهم . وهكذا لم تخل سنة ١١٣٧ إلا وكان للاسبتارية دور فعال في محاربة المسلمين . (د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٠١) .

William of Tyre : Ibid., V. 11, P. 350, L. Bréhier :

(٢٠)

Vie et Mort, P. 339.

ويعقب برييه على تصرف عموري هذا بأنه كان « غلطة كبيرة » ارتكبها وادت الى تحول مصر الى سيادة نور الدين وممثله الحقيقي صلاح الدين . أما وليم الصوري فيذكر أن Gerbert وكنيته Assallit سيد بيت الاسبتارية في بيت المقدس « كان المحرك الأول لتلك الحملة السيئة المصير . وأنه كان رجلا ذا روح عالية ، شديد الكرم لكنه متردد متذبذب في أخلاقه . فبعد استنفاد كل ثروات الاسبتارية اقترض مبلغا كبيرا من المال وأنفقته كله على فرسانه الذين حشدوا له من كل مكان ، وبذلك أصبح فرسانه مكبلين بدين ثقل ، يبلغ حوالى مائة ألف دينار . وقد قيل أنه أنفق تلك المبالغ الهائلة على الاتفاق الذى عقد بينه وبين الملك على أساس أنه اذا استولى الملك على مصر يكون نصيب رئيس الاسبتارية هو مدينة بلبس » .

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 379.

(٢١)

(٢٢) يرجع تأسيس هيئة الداوية الى ١١١٨ م عندما وضع أساسها فارس فرنسي اسمه هيودي باينز ، وقد اختار هيو جزءا من هيكل سليمان في المسجد الأقصى ببيت المقدس ليكون مقرا لمنظمتة الجديدة . ومن ثم أطلق على أتباعها اسم فرسان المعبد *Tempiars* التي حرفت في العربية الى الداوية . ثم ذهب هيو الى فرنسا وانجلترا لحث الفرسان على الانضمام لهيئته وبالفعل أصبحت تضم نخبة ممتازة من الفرسان والنبلاء الذين جمعوا في الأراضي المقدسة بين الحياة الدينية والحياة العسكرية . (د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٥٠١ - ٥٠٢) .

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, PP. 350 — 351.

(٢٣)

هنا يرى رنسيمان رفض الداوية هذا الى أنهم كانوا يحسدون الاستبشارية لانهم شرطوا على عموري أن يعطيهم مدينة بلبس مكافأة لهم على مساعدته في ذلك المشروع . وهي في الحقيقة كانت في مقابل قلعة غزة التي كانت بيد الداوية فعلا .

(Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 380)

Norman Daniel : The Arabes and Mediaeval Europe, P. 197.

(٢٤)

(٢٥) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢١٢ .

د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٦٥ . عن (Chalendon : Les Commens II).

(٢٦) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢١٢ .

(٢٧) ابن الأثير الباهر ، ص ١٢٧ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 429.

(٢٨)

(٢٩) د. عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢١٢ ، د. عبد الرحمن الرافعي ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٩٠ ولو أن ستيفنسون يرى هنا أن عموري كان غير راض عن الضريبة السنوية التي يدفعها « سلطان مصر » ، وأنه كان يطمع في امتلاك مصر كلية .

(Stevenson : Op. Cit., P. 193)

(٣٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ،

ص ١٤٢ :

Michel Le Syrien : Recueille des Historiens eds (٣١)
Croisades, Documents Arméniens, T. 1, P. 363.

(٣٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ .
The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 293.

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن الفرات : تاريخه ،
مجلد ٤ ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٣٣) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .
William : Op. Cit., V. II, PP. 350 — 351. (٣٤)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 437. (٣٥)

(٣٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٨ ، البنداري : سينا البرق الشامي ،
ق ١ ، ص ٧٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن واصل :
مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن الفرات : تاريخه م ٤ ، ج ١ ،
ص ٢٠ ، هنا ينقل لنا البنداري تعبير العماد في البرق الشامي في هذا المعنى
بقوله « شايهم على قصدهم من اعيان مصر جماعة ما كانت للمصريين عليهم
طاعة وشاوروا الفرنج على شاور لانهم امداءه واغداهم داؤه وهم ابن الخياط
وابن قرجه وامثالهم » .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 437.

(٣٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٧ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ،
ص ١٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن الفرات :
تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ١٩ .

هنا يعقب استاذنا الدكتور سعيد عاشور على ذلك القول بأنه مما يشرف
مصر وتاريخها أن الملك عموري والصليبيين عملوا حسابا لعامة أهل مصر
وفلاحيتها في الوقت الذي كانوا يعلمون جيدا مدى انحلال حكام مصر وضعف
حكومتها (د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢١٣)

(٣٩) يذكر ابن العبري أن ذلك فيه هلاك الصليبيين لانهم سيتحصرون بين
هؤلاء الموجودين في داخل مصر وبين قوات نور الدين في الخارج ، وبذلك
لا يستطيعون الاستيلاء على مصر .

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 293.

- (٤٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ١٩ .
- (٤١) ابن أبيك : كنز الدرر ، ج ٧ الدر المطلوب . ص ٢٩ : ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ١٩ .
- (٤٢) ابن شداد : التوادر السلطانية ، ص ١٣٨ .
وربما يظهر لنا ذلك الطمع في أرض مصر بصورة أوضح إذا رجعنا إلى ما دونته المصادر الإسلامية من أن الملك عموري أحضر وزيره وأمره باقطاع بلاد مصر لغرساته وفتح قراها على جنوده . وهنا يذكر أبو شامة أن عموري كان قد عرف أسماء القرى المصرية كلها عن طريق بعض أصحابه الذين صحبوه إلى مصر . (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٦ ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ١٩) .
- (٤٣) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ : ص ٧٤ .
William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 351, (٤٤)
Stevenson : Op. Cit., P. 193.
ولقد ذكرنا من قبل وفقا لرواية وليم الصوري نفسه أنه كان قد بدأ هجرته ووفاته رحلة العودة إلى بيت المقدس أول أكتوبر ١١٦٨ م أي أنه لم يكن موجودا بالملكة عند خروج الملك بتلك الحملة
(William : Ibid, V. 11, P. 349)
- (٤٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ،
The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 293.
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
- (٤٦) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٤ ، أبو شامة : الروضتين : ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
- William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 351, (٤٧)
Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 381.
Michel Le Syrien, : (R.H.C.), Documents Ar-méniens, T. 1, P. 363. (٤٨)

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 351.

(٤٦)

هنا يضيف وليم الصوري نفسه أن الذين قتلوا كانوا الشباب القادرين على حمل السلاح . أما من استطاع الفرار من الموت بأى وسيلة فقد فقد حريته ووقع تحت نير العبودية ... وهو شيء أشد قسوة على النفس ، خصوصا إذا كان الشخص من أصحاب المربة العالية ، ومن أمثلة ذلك ابن شاور وحفيده ، والواقع أن شهادة وليم الصوري هذه تدلنا دلالة واضحة على مدى الجور الذى تعرض له أهل بلبس آنذاك . ويقال أن أسرى بلبس ظلوا « أكثر من أربعين سنة فى أسر الفرنج » (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٣) .

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 381.

(٥٠)

ويقال أن عددا كبيرا من الضحايا « كانوا من المسيحيين الوطنيين »
Setton : Op. Cit., V. 1, P. 555.

Runciman : Ibid, V. 2, P. 331.

(٥١)

(٥٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٨ ، البندارى : سنا البرق الشامى ، ق ١ ، ص ٧٤ ، أبو شامة الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

J. Parwer : Op. Cit., T. 1, P. 440.

(٥٣)

استقروا بجوار باب خطة البرقية فى شرق القاهرة .

(٥٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الفرات : تاريخه : م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٤ .

(٥٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٨ ، البندارى : سنا البرق الشامى ، ق ١ ، ص ٧٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ١٧٠ - ١٧١ .

Michel Le Syrien : (R.H.C.) Documents Arméniens, T. 1, P. 363.

هنا يضيف أبو شامة من صاحب كتاب السيرة الصلاحية ، ص ١٧١ من الروضتين أن شاور أرسل الى عمورى رسولا بعد اشعال النار فى مصر مباشرة وقال له « هذا دخان مصر وما أتيت الا وقد أحرقت بعشرين ألف قارورة نعط وفرقت فيها عشرة آلاف مشعل وما بقى فيها ما يؤمل بقاؤه ونفعه » .

(٥٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

هنا يذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة ١٩٣٥) ص ٢٥٠ أن شاور أخرج « من كان بمصر من الفرنج بعد أن أساء في حقهم قبل ذلك ، وقتل منهم جماعة كبيرة وهرب الباقون » ثم أمر بعد ذلك بانتقل أهل مصر الى القاهرة .

(٥٧) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ويذكر المصدر الأخير أن أجرة الجمل الى القاهرة بلغت ثلاثين ديناراً .

(٥٨) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ابن الفرات : تاريخه : م ٤ ، ج ١ ، ص ٢١ وهنا يضيف المصدر أنه عندما وصل عموري الى الداروم كان شاور قد أرسل اليه يسأله عن سبب قدومه تلك المرة ، فرد عليه بقوله « أنه قد قدم وفقاً لما تقرر بينهما وأنه جاء لأخذ ما قرره له كل عام » فأجابته شاور أن الذي قرره جعله متى احتاج اليه أو اذا قدم عليه عدو « وأما مع خلو بالي من الاعداء فلا حاجة لي اليك ولا لك عندي مقرر » فأجابته عموري بأن لابد من حضوره وأخذ المقرر . عندئذ تيقن شاور من غدر عموري .

(٥٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ . هنا يذكر ابن العبري خطأ أن الذي أرسل شعور نسائه هو « أسد Asad » خليفة مصر . والراجع أنه خطأ بين اسم العاصد وبين أسد الدين شيركوه .

The Chronography of Bar Hebraeus V. 1, P. 283.

(٦٠) ابن أبيك : كنز الدور ، ج ٧ ، ص ٣٠ . فهو يفصل ذلك هنا بقوله : « انتشر الملاعين في سائر الأعمال ، وعادوا يأخذون حريم أهل مصر وينزلون في الزوارق ما بين مصر والجزيرة ويشربون عليهم الخمر ويفسقون فيهم ... » .

(٦١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٨ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، هنا يذكر ابن العبري أنه استغرق شهرين في تجهيزها .
The Chronography of Bar Hebraeus V. 1, P. 283.

(٦٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٦٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٨ ، البنداري : سنا البرق الشامي
ق ١ ، ص ٧٤ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن واصل :
مفرج الكروب ، ص ١٥٨ ، ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٥ .
William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 352.

(٦٤)

(٦٥) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٤ .
The Chronography of Bar Hebraeus V. 1, P. 294.

(٦٦)

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 353, J.

(٦٧)

Prawer : Op. Cit., T. 1, PP. 440 — 441.

(٦٨) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٦٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٨ — ١٣٩ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ١ ، ص ١٥٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

Prawer. Op. Cit., T.I. P. 441.

(٧٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، ابن واصل : مفرج

الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٨ .

(٧١) البنداري : سنا البرق الشامي ... ق ١ ، ص ٧٥ — ٧٦ .

أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٥ . وهنا يذكر أبو شامة أن أسد الدين
عندما وصلتته كتب المصريين بخبر الصليبيين « بقي مسلوب القرار مغلوب الاضطهاد
لأنه كان قد طمع في بلاد مصر فخاف خروجها من يده وأن يستولي عليها الكفر
فساق في ليلة واحدة من حمص إلى حلب ، عندئذ تعجب نور الدين الذي كانت
الأخبار قد وصلتته منذ وقت قليل ، وفي نفس الوقت تفاعل بها وشكر أسد الدين
وأمره بالتجهز لحرب الصليبيين . أما ابن واصل فيذكر أنه عندما خرج رسول
نور الدين من حلب إلى حمص كي يطلب من أسد الدين التجهز للحرب كان
أسد الدين نفسه قد وصل إلى حلب (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ،
ص ١٥٨) .

(٧٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٣٩ . وهنا يشير ابن شداد

أن نور الدين لم يخرج بنفسه إليها لأنه كان مشغولا بالموصل التي توفي حاكمها
زين الدين على بكتكين في ذي الحجة ٥٦٣ هـ وسلم ما كان بيده من الحصون
إلى قطب الدين أتابك ما عدا أربل التي كانت له من أتابك زنكي ، لذلك طمع
نور الدين في أخذها . أما عن عدد القوات التي صحبت شيركوه في حملته تلك فكان
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 441.

عدها يقدر ب ٨٠٠٠ فارس

فصلها لنا ابن واصل في كتابه : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٥٨ بأن

أسد الدين. اختر من قوات نور الدين الفى فارس وجمع من التركمان ستة
إلاف فارس . أما الياقنى : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٢٧٤ ، ابن الفرات :
تريته : م ٤ ، ج ١ ، ص ٢٧ فالراجح أنهما أخطأ عندما ذكرا أن عدد
القوات كان سبعين ألفا ما بين فارس وراجل . أما الذهبي : دول الاسلام ،
ج ١ ، ص ٧٧ فقد انفرد بالقول بأن عدد القوات كان عشرة آلاف فارس
وخمسين ألف راجل .

(٧٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٢٩ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ،
ص ٢٩ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٥ ،
Gibb : Op. Cit., P. 5, L. Bréhier : Vie et Mort... P. 339.

هنا يذكر أبو شامة أن أسد الدين طلب من ابن أخيه صلاح الدين
المشير معه إلى مصر فكان كمن ضرب قلبه بسكين . فقال له والله لو أعطيتنى
ملك مصر ما سرت إليها ، فلقد قاسيت بالاسكندرية من المشاق ما لا أنساه
أبدا ، فنددت طلب أسد الدين من نور الدين أن يأمره بمصاحبة عمه ففعل فكان
صلاح الدين كمن يساق إلى الموت .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 354, J. (٧٤)
Prawer : Op. Cit., T. ١, P. 441, Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 381,
Setton : Op. Cit., V. 1, P. 556.

... في سعيد هاشور : بحوث ودراسيات ... ص ٢١٥ . عن
Schlumberger

وهنا يذكر رنسيمن أن الجيش الصليبي كان يعسكر في ذلك الوقت في
الطرية وأنه مكث هناك ثمانية أيام ثم وصلت أخبار جيش شيركوه
... (Runciman : V. 2, P. 382)

أما ولیم الصوری فيفصل لنا الحديث من جانب من تصرفات بعض
أمراء الصليبيين الشاذة ويخص بالذكر
Milon de Plancy
يمثل الرجل الذى لا خياء عنده ، الرجل الذى يهوى المنازعات وتشويه سمعة
الغيز ، والذى كان دائما نشطا في إثارة المشاكل . فقد نصح الملك
بالاحتياط على « الملكة المصرية » وأن يأخذ المال المتفق عليه منها ، ثم يعمل
بعد ذلك على الدخول في اتفاق جديد مع شاور والخليفة بدلا من مهاجمة
القاهرة . وكان رأيه يركز على أنه إذا أخليت القاهرة بالقوة فسوف يتولى
كل فرد من الجيش الصليبي على ما يقع تحت يده من غنيمة ، أما إذا دخلها

الملك وفقا لاتفاق معين فسوف يضع الملك يده على كل شيء ، عندئذ يوزعه على كبار رجال مملكته ومنها بالطبع ملون البلنسي نفسه .

(William : Ibid, V. II, P. 355)

William of Tyre : Ibid, V. II, P. 354.

(٧٥)

هنا يذكر وليم « أن شاور ذكرهم بما حدث للمدينة المجاورة من كارثة مروعة - وهو يقصد بذلك ما حدث في بلبس - وذكرهم أيضا بمرارة العبودية حتى يقفوا معه قلبا وقالبا » .

William : bid, V. II, P. 356.

(٧٦)

(٧٧) ابن شداد : النوادر السلطانية ... ، ص ٣٩ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 441.

(٧٨)

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 294.

(٧٩)

(٨٠) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٩ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 441.

(٨١)

William : Op. Ctl., V. II, P. 356, J. Prawer :

(٨٢)

Ibid, T. 1, P. 441.

(٨٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٩ .

(٨٤) ابن شداد : النوادر السلطانية ... ، ص ٣٩ .

(٨٥) البنداري سنا البرق الشامي ... ق ١ ، ص ٧٧ . من العماد

الاصفهاني .

(٨٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ابن الفرات :

تاريخه ، ج ٤ ، ص ٢٨ .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 441.

(٨٧) البنداري : سنا البرق الشامي ... ق ١ ، ص ٧٧ .

(٨٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٩ .

Stevenson : Op. Cit., P. 194.

(٨٩)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 430.

(٩٠)

(٩١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٩ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ،

ص ١٥٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦١ ، أما ابن خلدون :

تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٨ فينفرد بالقول بأن ذلك كان في جمادى ٥٦٤ هـ

والراجح أنه كان في ربيع .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 442, Stevenson :
Op. Cit., P. 194. (١٢)

(١٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٩ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ،
ص ١٥٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦١ .
(١٤) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٧ .
William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 357. (١٥)

(١٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .
(١٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة ١٩٢٥) ،
ص ٢٥١ .

(١٨) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
ج ١ ، ص ١٦١ ، أبو المحاسن : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .
(١٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٠ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ،
ص ٢٩ ، البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٨ ، أبو شامة :
الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٧ ، ص ١٧١ - ١٧٢ ، ابن أيك : كنز الدرر ،
ج ٧ ، ص ٢٤ - ٢٥ ، اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .
William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 359, The Chronography
of Bar Hebraeus, V. 1, P. 494, Gibb : Op. Cti., P. 6.

هنا يستخدم وليم العموري في التأريخ لذلك الحادث تعبيرات غريبة
حيث يطبق على شريكوه اسم وزير الموت
Minister of Murder
وعلى صلاح الدين وأموانه في قتل شاور اسم عملاء الموت
Agents of death
أما ابن العبري فيسمى الخليفة العاضد خطأ باسم (أسد) كما سبق الذكر.
أما أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧١ ، ابن خلدون : تاريخه ،
ج ٤ ، ص ٧٩ ، فيوضح أن الخليفة العاضد كان أول من أوجى إلى
شريكوه بفكرة التخلص من شاور .

(١٠٠) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٨ .
(١٠١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٠ ، ابن شداد : النوادر
السلطانية ، ص ٤٠ ، البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٧٨ - ٧٩ ،
أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ،
ج ١ ، ص ١٦٣ .

١٧٧ .

(م ١٢ - هجمات الروم)

هنا كتب البندارى عن العماد الاصفهاني أنه بمجرد وصول تلك البشري
الى الشام كتب العماد الى شيركوه مهنتاً :

بالجد أدركت ما أدركت لا اللعب كم راحة جنيت من دوحة التعب
افخر فان ملوك الأرض قاطبة أفلاكها منك قد دارت على قطب
فتحت مصر وأرجو أن تصير بها ميسرا فتح بيت القدس من كتب

أما أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٢ فقد كتب عن ابن أبي
طى صاحب السيرة الصلاحية أن نور الدين أظهر قلقه لتولى شيركوه الوزارة
الفاطمية للماضد وظهرت الكراهية منه لذلك في الفاظه ووجهه . ويعقب
أبو شامة على موقف نور الدين هذا بأنه ربما خاف من ميل شيركوه الى
المصريين ومدعبيهم الشيعي وبذلك يفسد جنده عليه . ومن الراجح أن ابن أبي
طى كتب ذلك لأنه كان متحاملاً على نور الدين الذي نفى أباه من حلب لأنه كان
من رؤوس الشيعة ، كما روى أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
أما أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ (القاهرة ١٩٣٥) ص ٣٥٢ - ٣٥٣
فقد أورد نصاً لمنشور الوزارة الذي أرسله الماضد الى شيركوه وكان بخط
القاضي الفاضل .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 357. (١٠٢)

William of Tyre : Ibid., V II, Pk 358. (١٠٣)

« كان العهد الأول - يقصد به عهد شاور - عهد الهدوء في الجبهة
الصليبية والرخاء والتبادل التجاري الهادئ مع مصر ، ففيه كان المصريون
يفدون الى المملكة لزيارتهم مما كان يعود عليهم بفائدة كبرى ويشرفهم في نفس
الوقت ، الى جانب ان ما كان يحمل من جانبهم كل عام من مال كان يثرى
خزانة المملكة . أما في عهد شيركوه فقد أصبح الامر على عكس ما كان عليه
فكل شيء تغير للأسوأ فلم يعد هناك معبر هادئ بالبحر ، وأصبحت كل المناطق
المحيطة بالمملكة خاضعة للعدو ، وكانت كل الممالك المجاورة تستعد لتحطيمهم » .

(١٠٤) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤١ ، ابن شداد : النوادر
السلطانية ، ص ٤٠ البندارى : سنا البرق الشامي ... ، ق ١ ، ص ٨١ ،
أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ابن أيبك : كنز الدرر ... ،
ج ٧ ، ص ٣٧ .

هنا يذكر البندارى أن وفاته كانت يوم الاحد أما ابن أيبك فيقول يوم
الاربعاء بينما تذكر بقية المصادر الأخرى أن ذلك كان يوم السبت .

واذا كان ابن الأثير وابن شداد وأبو شامة يذكرون أنه توفي بعد حوالي شهرين من تقلده الوزارة ، فإن ابن أيبك يذكر أن وفاته كانت بعد ثمانية أشهر من توليه لها . أما وليم الصوري فيقول أن ذلك كان بعد سنة .
William of Tyre : Op. Ctl., V. II, P. 358.

بينما يذكر ابن خلدون أن هناك رأيا يذكر أنه توفي بعد أحد عشر شهرا . (ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٧٩) والراجح أن ذلك كان بعد شهرين .

وبينما يذكر ابن شداد وأبو شامة أن سبب وفاته كان مرض الخانوق ، يشير ابن العبري إلى أن سبب الوفاة كان مرض تقطر البول .
The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 295.

بل أن هناك رأيا فريدا لا نرجح صحته لابن الفرات : تاريخه : م ٤ ، ج ١ ، ص ٤٥ . يذكر فيه أنه قيل أنه مات مسموما .
J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 442, Runciman : (١٠٥)
Op. Cit., V. 2, P. 383.

(١٠٦) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٢ ، البنداري : سنا البرق الشامي ، ص ٨١ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٠ - ١٦١ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٦٨ . وهنا يذكر ابن الأثير وأبو شامة أن الذي حمل العاضد على تولية صلاح الدين هو أنه ظن أنه إذا ولاه « وليس له عسكر ولا رجال » كان في ولايته مستضعفا يحكم عليه ولا يجسر على المخالفة . ويضيف أبو شامة أن صلاح الدين وافق على مضمض . ويعقب على ذلك بقوله « أن الله ليعجب من قوم يقادون إلى الجنة بسلاسل » . والواقع أن الخليفة العاضد كان يعلم تماما أن شخصية صلاح الدين في حد ذاتها من الشخصيات التي يمكن الاعتماد عليها في الجهاد والدور في بيضة الاسلام لما له من قدرات تؤهله لذلك ، وهو ما أشير إليه في منشور توليه الوزارة « والجهاد أنت وضيع دمه وناشئه حجره وظهور الخيل مواطنك وظلال الخيام مساكنك ... » أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦١ عن العباد الاصفهاني .

(١٠٧) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

(١٠٨) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٨١ .

(١٠٩) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٢ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ،

ص ١٦١ .

The Chronography of Bar Hebraeus, V. 1, P. 295.

ولا عبرة هنا بما ذكره وليم الصوري

(William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 359)

من أن صلاح الدين قتل الخليفة عندما كان في إحدى زياراته لتقديم فروض
الولاء والطاعة له ، بل قتل معه أيضا كل أبنائه ما عدا واحدا فقط وأخذ
كل ما يملك وقدمه ببذخ زائد لقواته ، لذلك لم تمض سوى أيام قليلة حتى
كانت الخزائن خالية ، حتى خزائن الثياب أيضا . ثم اقترض ممن حوله
بعد ذلك وأصبح مكبلا بدين ثقیل . والراجع أن وليم الصوري خلط بين قتل
صلاح الدين لشاور بالحديث عن مقتل الخليفة ثم استنتج بعد ذلك استنتاجا
خاطئا هو أن صلاح الدين أخذ أموال الخليفة وأنفقها على قواته ، وهو ما لم
نقرأ عنه في أى مصدر من المصادر العربية حتى التى تناولت صلاح الدين
أحيانا بشيء من الغمز مثل ابن الأثير .

(١١٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦١ .

(١١١) عن مؤتمن الخلافة وحركته والتخلص منه أنظر أبو شامة :

الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٨ .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 360.

(١١٢)

وهو يسمى نور الدين هنا « عدونا الأكثر قوة » .

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 556.

(١١٣)

Stanly Lane Poole : Saladin and the fall of the

(١١٤)

Kingdom of Jerusalem, P. 103.

(١١٥) هنا يذكر لنا ابن الأثير : الكامل ، ج ١١ (١١٦٦)

ص ٣٥١ . أن السفارة التى أرسلت للغرب كانت قد تحركت لاداء مهمتها في
عهد أسد الدين . وكان ذلك في يناير ١١٦٦ ولكنها رجعت بعد وفاته في
مارس ١١٦٦ م .

Cam. Med. Hist., V. IV. Part 1, P. 236.

أبى بعد أن خلفه صلاح الدين .

William : Op. Cit., V. II, PP. 360 — 361.

(116)

واذا كان وليم الصوري قد افادنا بأن الغرب لم يقدم شيئاً من المعونة لعموري آنذاك ، فان المصادر العربية ذكرت أن الصليبيين عندما أرسلوا إلى الأندلس وصقلية وغيرها لطلب المعونة أمدهم بالمال والرجال والسلاح ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٣ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، وأشار ابن خلدون في تاريخه ، ج ٤ ، ص ٨٠ إلى ذلك بأنهم « جاءهم المدد من كل ناحية » لكن الراجح أن المصدر العربي خلط هنا بين الغرب وبين دولة الروم التي أمدت الصليبيين بالنجدة الحقيقية كما سنرى فيما بعد .

(117) د. عاشور : بحوث ودراسات ... ، ص ٢١٩ ، قدرى قلعجي :

صلاح الدين الأيوبي ، ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

J. Prawer : Op. Cit., T. I, P. 442, Stanley Lane-

(118)

Poole : Op. Cit., P. 103.

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 361.

(119)

Setton : Op. Cit., V. I, P. 556.

(120)

J. Prawer : Op. Cit., T. I, PP. 442 — 443.

(121)

Michel Le Syrien (R.H.C.) Documents Arméniens, T. 1, P. 369.

(122)

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 369.

(123)

Grousset : L'Empire du Levant, P. 312.

(124)

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 361.

(125)

أما ستانلي لين بول وستيفنسون فيذكران أن الروم أرسلوا للصليبيين أسطولاً مكوناً من مائتي سفينة

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 103, Stevenson : Op. Cit., P. 196.

William of Tyre : Op. Cit., V II, PP. 361 — 462.

(126)

Hellsponat يشير ونسيما أن الأسطول الإمبراطوري تحرك من

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 385.

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 443, D. Bréhier :

(128)

Vie et Mort, 339.

هنا يتساءل بروييه هل كان سبب ذلك التردد ناتجا عن اختيار بقعة الهجوم ؟ أو عن برنامج الرحلة ؟ هل جاء ذلك التردد نتيجة رغبة عموري في التراجع عن الحملة والبحث عن وسيلة للاختفاء ؟ ثم يشير بروييه الى انه ليس له رد عن تلك الاسئلة . أما عن نتيجة ذلك التأخر فهي ان صلاح الدين عرف الاستعدادات الصليبية عن طريق الرسائل المتبادلة بينهم وبين مؤمن الخلافة (رئيس ديوان) قصر الخليفة والتي وقعت بين يديه - كما سبق الذكر - وانه استعد لمواجهة الصليبيين وحلفائهم الروم .

(J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 443)

وقد حدد لنا رنسيمان تاريخ التخلص من مؤمن الخلافة بـ ٢٠ أغسطس

١١٦٩ م

(Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 386)

الفصل الثالث

الهجوم الصليبي الرومي على دمياط

٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م

راينا كيف اجتمعت القوات الرومية والصليبية في شواطئ بلاد الشام استعدادا للهجوم على مصر التي كانت تمثل في نظرهم بؤرة الخطر على الوجود الصليبي في ذلك الوقت ، خصوصا بعد تولي صلاح الدين الأيوبي - الذي كان يعشق الجهاد (١) - الوزارة في مصر . وبذلك أصبحوا مطوقين من الشمال من ناحية نور الدين ، ومن الجنوب والغرب من ناحية صلاح الدين .

بدأ الملك عموري استعداداته لحملته الخامسة على مصر والتي يشير اليها برويه بأنها كانت « آخر محاولة بدون أمل لتغيير مجريات الأمور » (٢) .

لم يستطع عموري ان يتخذ قرار الهجوم على مصر فور وصول الاسطول الرومي المرسل اليه من قبرص : لأن حملة ١١٦٨ م كانت قد أحدثت اضطرابا شديدا في قواته . فقد كانت خسائر

الاسبتارية هائلة في حين ظل الداوية على رفضهم للمشاركة في أى حملة بالاضافة الى أن البارونات كانت تجربتهم السابقة غير مشجعة بالمرّة (٣) . ولكي يغرى عمورى فرسان الاسبتارية على مساندته في مشروعه الكبير أصدر مرسوما مهما في ١١ أكتوبر ١١٦٩م يقضى بمنح الاسبتارية جزءا مهما من ايراد مصر ونسبة ضخمة من دخل أهم المملدن المصرية مثل القسطا ط وتنيس ودمياط والمحلة والاسكندرية وقوص وأطفيح وأسوان والفيوم (٤) . وهكذا لم يستطع عمورى أن يستدعى الأسطول الرومى الى عكا الا في آخر سبتمبر .

ويقال أن ميناء عكا لم يستطع استيعاب ذلك الأسطول ، لذلك ظلت بعض القوارب بين نهر النعمان والميناء (٥) .

هنا يعلق (ستون) على عظمة أسطول الروم آنذاك بقوله : « أن الأسطول والمعدات التى جاءت معه كانت أكثر عظمة مما كان الامبراطور قد تعهد بإرساله للصليبيين ، وقد أعاد ذلك القيادة المسيحية على البحر » (٦) .

وبعد أن اطمأن عمورى على شئون المملكة ، وذلك بترك قوة من الفرسان لحمايتها خلال فترة غيابه من هجمات نور الدين (٧) . أمر « كل الجيش الضليبي والرومى » بالاجتماع في ١٥ أكتوبر ١١٦٩م في عسقلان وكان أسطول الروم قد أبحر قبل ذلك بعدة أيام واتجه نحو الأراضى المصرية (٨) .

وهنا نتوقف قليلا عند عبارة « كل الجيش الضليبي والرومى » التى ذكرها وليم الصورى فنرى فيها ما يؤكد أن الروم شاركوا بقوة برية الى جانب الأسطول البحرى الذى أرسلوه للصليبيين ، وقد أيد ذلك ما ذكره (ستانلى لين بول) من أن

الأسطول الذي أرسله الروم للصليبيين ، كانت تعاونه قوة برية لها ثقلها (٩) .

ويقال أن قائد الأسطول الرومي كان غاضبا أشد الغضب لتأخر تحركهم الى مصر وأنه عرض على عموري أن ينقل معظم قوات الجيش الصليبي بواسطة سفنه ولكن عرضه قوبل بالرفض . ومن المرجح أن غضب قائد الأسطول كان راجعا الى أن التموين الذي كان قد زوده به الامبراطور كان يكفي فقط لمدة ثلاثة شهور ، ظنا منه أنها حملة قصيرة ، ولكن لم تلبث الشهور الثلاثة أن قاربت على الانتهاء دون أن يتخذ الملك عموري أى خطوة ايجابية بالنسبة للمحكمة المرتقبة (١٠) .

وفي ١٦ أكتوبر ١١٦٩ م بدأ الجيش المشترك التحرك من عسقلان ، وبعد مضي حوالي تسعة أيام وصل الجيش البري الى الفرما فوجد اسطول الروم قد وصل اليها أيضا وعن طريق المجدفين عبر الجيش الى الشاطئ المواجه الى تنيس ثم بعد مسيرة يومين وصل الى دمياط وذلك في ٢٧ أكتوبر (١١) أوائل صفر ٥٦٥ هـ (١٢) وبدأ الجيش في حصارها بالفعل ولكنه لم يبدأ الهجوم انتظارا لوصول الأسطول الرومي الذي تأخر وصوله ثلاثة أيام بسبب « هبوب رياح عاتية » . أعاقته حركته بعض الشيء وفي النهاية هدأت الأمواج ووصل الأسطول عند مدخل النهر (١٣) . حيث أعاق تحركه الى الميناء نفسه سلاسل حديدية على جانبيها برجان حصينان (١٤) .

هنا نتساءل عن سبب توجه الصليبيين وحلفائهم تلك المرة الى دمياط بالذات ؟

وللرد على هذا السؤال هناك إجابتان : احدهما لابن الأثير والآخرى لابن شداد . فابن الأثير يذكر أنهم استعدوا للنزول الى

دمياط « ظنا منهم أنهم يملكونها ويتخذونها ظهرا يملكون به ديار مصر » (١٥) . أما ابن شداد فيذكر أنهم أرادوا قصد دمياط « لتمكن القاصد لها من البر والبحر ولعلمهم أنهم ان حصلت لئما حصل لهم مغرس قدم يأرون اليه » (١٦) .

وقد اصطحب الصليبيون والروم معهم « المنجنقات والدبابات والجروح وآلات الحصار وغير ذلك » (٧١) .

هنا يذكر ابن الفرات « نزل الفرنج على دمياط . . في عالم عظيم لا يدر حصره ، وكان وصولهم في ألف ومائة مركب ما بين شينى ومسطح وطريدة » (١٨) والراجع أن ابن الفرات يقصد بالفرنج هنا الصليبيين والروم ، لأنه يعود بعد ذلك فيشير الى المحاصرين لدمياط بأنهم « -الفرنج والروم » .

وما أن حاصر المهاجمون دمياط حتى دعا حاكم المدينة « شمس الخواص ياروققاش - صلاح الدين لنجدته وأقفل مدخل الميناء بواسطة الأواصر الحديدية الثقيلة » (١٩) وكان أهالى دمياط في بادئ الأمر قد أصابهم « اليأس والبؤس » لكن صلاح الدين لم يلبث أن أرسل اليهم ابن أخيه تقى الدين وخاله شهاب الدين (٢٠) ، كما أرسل القوات فى النيل « وأمدهم بالأموال والذخائر » (٢١) .

أما ابن شداد فيقول : ان السلطان صلاح الدين أنفذ الى دمياط « وأودعه من الرجال وأبطال الفرسان والميرة وآلات السلاح ما أمن معه عليه وغز المقيمين فيه بامدادهم بالعساکر والآلات » (٢٢) .

كما تابع صلاح الدين فى نفس الوقت رسله الى نور الدين يشكو ما هو فيه من المخاوف وأنه « ان تخلف عن دمياط ملكها الفرنج وان سار اليها خلفه المصريون من مخلفيه ومخلفى عسكره

بالسوء وخرجوا عن طاعته وصاروا من خلفه والفرنج من أمامه « (٢٣) .

والواقع أن صلاح الدين كان قد أسرع عندما علم بهجوم الصليبيين إلى تحصين بلبيس والقاهرة والاسكندرية ظنا منه أن الحملة الصليبية في تلك المرة ستحذو حذو الحملات السابقة فقصده القاهرة عن طريق الشرقية . فلما اتجهت الحملة إلى دمياط ، وجد صلاح الدين نفسه في موقف حرج لا سيما وأنه ظل يخشى باستمرار خطر مؤامرة أو ثورة ضده في الداخل بتحريض من الخليفة الفاطمي ورجاله . ومع ذلك فإنه لم ييأس ولم يستسلم وأرسل يطلب النجدة من نور الدين (٢٤) .

كان رد نور الدين حاسما قويا سواء في داخل بلاد الشام أو في الجبهة المصرية ، فقد حشد القوات وكانت « كلما تجهزت طائفة سيرها » ، فسارت القوات إلى صلاح الدين في مصر « يتلو بعضها بعضا » . وفي نفس الوقت شدد نور الدين هجماته على الصليبيين في بلاد الشام وأغار على بلادهم ونهبها واستباحها ، « ووصلت الغارات إلى ما لم تكن تبلغه لخلو البلاد من ممانع » (٢٥) .

والواقع أن بعد نظر صلاح الدين وحسن تصرفه وسرعة تحركه، جعل دمياط مدينة جيدة التحصين في وقت قصير ، وقد ساعد على ذلك موقعها نفسه الذي سهل إمدادها بالرجال والسلاح والمؤن عن طريق استخدام نهر النيل ، بالإضافة إلى أن الأواصر الحديدية الثقيلة أعاقَت دخول الأسطول النهر وشكلت عائقا ضخما للقوات المهاجمة (٢٦) .

هنا يجدر بنا أن نقول أنه يكفي دمياط بل مصر كلها فخرا أن جيوش الحليفين الكبيرين ، الصليبيين والروم ، بكل ما جهزوا

وأعدوا وخططوا ودبروا ، وجدوا أنفسهم منذ اللحظة الأولى في شدة الحاجة الى إعادة النظر في خططهم العسكرية ولا عبء هنا مما قيل من أنه كان من السهل اليسير الاستيلاء على دمياط ، اذا كان المهاجمون قد سارعوا بالهجوم عليها منذ اللحظة الأولى دون تأخر (٢٧) .

وربما كان أسطول الروم هو الأكثر تلهفا على المسارعة بالهجوم لأن امداداته ومؤنه كانت قد قاربت على النفاد (٢٨) . أما الصليبيون فكان الهجوم السريع ، أبعد ما يكون عن تفكيرهم فقد ذكر لنا وليم الصورى أن جيشهم بدأ من الوهلة الأولى يشعر باليأس والقنوط ، فقد أصبحت المدينة طافية في مياء الفيضان . وبدأ بوضوح أنه بدون مساعدة آلات ومعدات الحرب لا يمكن الاستيلاء عليها ، كما أنه بدون وصول قوات مسيحية اضافية كان من غير الممكن أن تستطيع قواتهم الصمود للهجوم الأول (٢٩) .

والراجع أن فكرة المهاجمين عن دمياط كانت غير حقيقية عن مدى حصانتها ، بالاضافة الى الاستعدادات الغاية في السرعة التي زودها بها صلاح الدين .

وبذلك ساد من جديد جو من التردد بين المهاجمين ، وكان ذلك هو سبب قول (برويه) أن « أو عملية عسكرية لم تظهر الا بعد تردد » (٣٠) . وقد انتهت تلك الفترة بالوصول الى حل هو ضرورة اقامة بعض الأبراج العالية حول المدينة لتساعد في عملية الحصار . وبالفعل اختير العمال المناسبون الذين زودوا بالمواد اللازمة « وبالمزيد من النفقات والعمل » أمكن اقامة برج عال مكون من سبعة طوابق يمكن مشاهدة المدينة بأكملها من قمته ، هذا بالاضافة الى اقامة العديد من الآلات المختلفة لخاصة بالخضار (٣١) .

ولكن يبدو أن المهاجمين لم تكن تعوزهم المعدات والقوات الإضافية فقط بل كان ينقصهم أيضا البراعة والذكاء الحربي المطلوب في مثل تلك المواقف . وذلك بشهادة مؤرخيهم أنفسهم . فقد كتب وليم الصوري « ان قواتنا أظهرت قلة براعة وذكاء عن المعتاد . . ، فقد أمر القادة أن يوضع أحد الأبراج الجديدة بجوار سور المدينة في مكان غاية في الحصانة ، في الوقت الذي كان هناك أماكن عديدة من السور أقل تحصينا ، وكان من الممكن أن تكون أسهل في السقوط ، لولا وضع البرج المتحرك في البقعة الأكثر تحصينا ، وفي مكان مليء بالصعوبات عن أي مكان آخر . . وعلى ذلك كان التخريب أكثر ليس على أهالي البلد ومساكنهم بل على كنيسة الأم المقدسة فقط The Holy Mother of God التي كانت ملاصقة للسور » (٣٢) أما ستيفنسون فقد أشار الى « أن اللاتين أظهروا نشاطا غير كاف » في ذلك الوقت (٣٣) .

فاذا أضفنا الى التردد وعدم البراعة في فن القتال عنصرا جديدا تمثل في نقص المؤن بين رجال الأسطول الرومي ، والذي سبق أن أشرنا الى أنه كان مجهزا بمؤن تكفيه لمدة ثلاثة أشهر فقط ، وأنها انتهت بالفعل . لذلك بدأ الروم الذين قدموا في اعداد ضخمة مع الأسطول يعانون من المجاعة ونقص المؤن (٣٤) . وعلى ذلك بدأ الروم يتساقطون من الجوع ، دون أن يوفر لهم حلفاؤهم الصليبيون أي مصدر للطعام على الساحل (٣٥) .

هنا لا يملك وليم الصوري الا أن يدافع عن أتباع الملك من الصليبيين فيعطى تبريرا لعدم تقديمهم المؤن لحلفائهم الروم بقوله أنه « كان لدى الصليبيين مصدر كاف من الخبز والعديد من المواد الغذائية الأخرى ، ولكن اليقظة للمستقبل ، جعلتهم يقتصدون مما لديهم رغم قلته ، لأنهم لو أسرفوا في اقتسام تلك المؤن مع

هؤلاء المعدمين - يقصد الروم - فسوف يكون ذلك خطرا عليهم ،
لأنهم سيصبحون حتما يوما ما في شدة الحاجة ، خصوصا أنهم
كانوا غير متأكدين من مدة اقامتهم بدمياط ٠٠ « (٣٦) وقد عبر
(برويه) عن ذلك بصورة أكثر ايجازا عندما قال أن « الخيمة
اللاتينية رفضت اقتسام مؤنها مع الحلفاء » (٣٧) .

ووسط ذلك الجو المشحون بعدم الاخلاص والجبن والفرقة
بين الروم والصليبيين (٣٨) ، ظهرا عامل جديد ليوسع شقة الخلاف
بين الطرفين بل ليضرب بعري التحالف الصليبي الرومي عرض
الحائط ، فقد هطلت الأمطار بشدة بسبب هبوب الرياح العاتية
فأضافت عاملا جديدا من عوامل القلق والازعاج (٣٩) ، وأغرقت
جميع خيام الصليبيين ، ذلك أنهم « أصبحوا غير قادرين على منع
المطر من الانسياب داخل خيامهم بأية وسيلة ، حتى الأغنياء
الذين كانوا في حالة أحسن ابتلت خيامهم بوابل الأمطار المفاجئة ٠٠
وكان كل ما استطاعوا عمله هو حفر بعض الحفر حول خيامهم
كي تنجرف اليها مياه الأمطار ، وبذلك حموا أنفسهم حماية
بسيطة » (٤٠) .

وإذا كان ذلك هو وضع الجيش الصليبي الرومي فماذا كان
وضع المصريين عامة وأهالي دمياط خاصة ؟

كان صلاح الدين يرسل من القاهرة المدد بعد الآخر ورغم
تشديد المهاجمين للحصار إلا أن الأهالي صبروا « وصابروا
وتآزرُوا ، وأمسوا على القتال وأصبحوا وتاجروا الله وربحوا ،
وهددوا بنيان الكفر المرصوص وأهلكوا بالعشرات الألوف ٠٠ » (٤١) .

وقد فطن المصريون الى خطة ناجحة أسرع بوضع الفصل
النهائي وانزال الستار على تلك الحملة . ذلك أنهم استفادوا من

سرعة جريان مياه النيل ، بسبب هبوب رياح جنوبية قوية فأخذوا قارباً ذا حجم عادي وملأوه حتى نهايته بالأخشاب الجافة والقار وقذفوا عليه بعض المواد المشتعلة فاشتعل على صفحة النهر ، وحملته الأمواج الشديدة في اتجاه الأسطول الراسي عند مصب النهر في البحر المتوسط ، عندئذ اشتعلت النار بسرعة وامتدت الى المواد القابلة للاشتعال التي كان القارب محملاً بها . ثم أبحر القارب المشتعل في اتجاه الأسطول وأمسك في سفينه المتراصة واشتعلت النار به . وهكذا « احترقت ست سفن منقارية الشكل وهي المسماة Galleys ثم انتشرت النار في كل الأسطول في ضراوة » (٤٢) .

والحقيقة اننا نلمح من خلال عرض وليم الصوري لأحداث ذلك الهجوم وتطوراتهِ (٤٣) ، عدة نقاط مهمة منها أولاً : تحامله الشديد على المصريين الذين يطلق عليهم (الكفار) في أكثر من موضع ، بل تحامله أيضاً على الروم أنفسهم من خلال سطور روايته فهو يقول أن المحاصرين كانوا يهاجمون أحياناً معسكر الروم ويشنون عليه هجوماً غير متوقع ، وذلك راجع الى ما قد يكونون سمعوه من أن القوات الرومية أقل قوة من قواتنا . . » وإذا كان وليم أحياناً يعزى ذلك الى أنه قد يكون نوعاً من الإشاعات ، إلا أن كل إشاعة لها جانب من الحقيقة .

ثانياً - اعترافه بأن المحاصرين - أي المصريين - « رغم أنهم كانوا محجوزين داخل المدينة تحت وطأة الحصار - إلا أنهم كانوا مصدر رعب كبير لخصومهم ، أكثر مما كان المسيحيون بالنسبة لهم » .

ويكفي المصريين تلك الشهادة من وليم الصوري ، والحقيقة أنهم جعلوا كل ثقتهم وآمالهم في الله ودافعوا بإخلاص وصدق عن حقهم فكان الله معهم يعضدهم بنصره ويذل لهم كل الصعاب .

والواقع أن وليم الصورى يؤيدنا فى هذا الرأى عندما قال
أن الحملة « كانت ضد ارادة السيد المسيح وأن وجهه قد أدير
عنا فى غضب » (٤٤) .

وبمرور الوقت وتأزم الموقف قرر قائد أسطول الروم ضرورة
القيام بهجوم سريع على دمياط مهما كان فى الأمر من مخاطرة (٤٥)،
وبالرغم من أنه أرسل فى بادىء الأمر ليكون تحت أمرة عمورى (٤٦) .
هنا بدأ قادة الجيش الصليبي يتهامسون فيما بينهم — وهم الذين
كانوا باسئمرار يشكون فى نوايا الروم — بأن حماس قائد أسطول
الروم يرجع الى أنه كان يرغب فى أن يجعل من دمياط جزءا من
غنائم الامبراطورية (٤٧) .

وعليه فقبل أن ينفرد قائد الأسطول بهجومه على دمياط
وصلته أخبار مفاوضات الملك عمورى من أجل الصلح
والانسحاب (٤٨) .

وثمة رأى هنا لمخائيل السريانى يجعل عنصر الخيانة كان
موجودا أصلا لدى الروم وأنهم منذ وصولهم الى مصر ، كانوا
مدفوعين بقدرتهم وقوة معداتهم الى مخادعة الملك والاستيلاء على
تلك البقعة لحسابهم الخاص « الا أن بعض الأشخاص حذروا الملك
فى الوقت المناسب من نوايا الروم (٤٩) » .

لكن ما هى الأسباب الحقيقية للانسحاب ؟ وما هى ملامساته ؟
هنا نجد الاجابات مختلفة للرد على هذا التساؤل ، بعضها
يمثل وجهة نظر المؤرخين الصليبيين والغربيين ، والبعض الآخر يمثل
وجهة نظر المؤرخين المسلمين .

أما الجانب الأول وعلى رأسهم وليم الصوري فنراه يرجع ذلك الى أنه كان من الحكمة أن تعود الحملة الى بلاده بدلا من التوغل في مصر مع المجاعة أو الهلاك بسيوف المسلمين(٥٠) .

أما بروييه فيقول أن الصليبيين كانوا يخشون أن يجدوا أنفسهم بين جيشين من الأعداء : جيش المدافعين عن دمياط من ناحية ، وجيش النجدة القادم من الجنوب من ناحية أخرى(٥١) . بينما يذكر (ستانلي لين بول) « أن الجنود البائسين ، النصف موتى من الجوع والنصف غرقى توسلوا أن يعودوا الى بلادهم »(٥٢) . أما (برييه) فيعزى ذلك الى سوء التفاهم بين كان من قائد أسطول الروم والملك عمورى ، مما أعاق سير العمليات الحربية(٥٣) .

أما المؤرخون المسلمون فيذكر بعضهم أن رحيلهم جاء على أثر توالى ارسال القوات من بلاد الشام الى مصر وتشديدهم الهجوم على الصليبيين والروم ، وفي نفس الوقت انزال نور الدين أشد الضرر بممتلكاتهم في بلاد الشام ونهبها وتخريبها(٥٤) . بل أن بعضهم يجعل شدة هجمات نور الدين على ممتلكاتهم الشامية هو انسبب المباشر في رحيلهم(٥٥) . بينما جعل بعضهم انتشار الوباء والمرض فيهم هو سبب الرحيل . فقد ذكر البندارى « دب فيهم الفناء وهب عليهم البلاء »(٥٦) أما ابن أيبك فيقول « وقع فيهم وباء ومرض ، حتى لا عاد منهم من يطيق يقف على قدميه »(٥٧) . أما ابن شداد فيذكر أنه « بان للافرنج الخسران وظهر على الكفر الايمان ، ورأوا أنهم ينجون برؤوسهم ويسلمون بنفوسهم »(٥٨) .

هنا أيضا يعطينا ميخائيل السرياني رأيا فريدا عن شروط الصلح الذي وقع بين صلاح الدين من ناحية والملك الصليبي من

ناحية أخرى ، فقد ذكر أن « الضريبة التي أجبر المصريون على تقديمها للملك ، دفعت على شكل مبلغ كبير من الذهب ، وانهم تعهدوا بتقديم نفس المبلغ في المستقبل ، بل تعهدوا لاثبات حسن نواياهم أن يقدموا له بعض الرهائن ، ويرجع ذلك الى أن يوسف (صلاح الدين) لم يكن آنذاك في وضع يسمح له بدفع الفرنج » (٥٩) .

والحقيقة اننا نلمح في ثنايا السطور التي دونها ميخائيل السرياني أنه يجعل صلاح الدين في شكل المتلف على عقد تلك المعاهدة وأنه لم يكن بوسعه الصمود لهم . ولكن واقع الأمر كان غير ذلك تماما لأن الصليبيين هم الذين كانوا تواقين لعقد الصلح والعودة السريعة للأسباب التي أشرنا اليها من قبل ، وربما طلبوا ذلك المبلغ الذي دفع لهم كي يستطيعوا أن يشتروا بعض المؤن ، كي يتقوا بها هم وحافاؤهم الروم ، وبذلك يستطيعون أن يبدأوا رحلة العودة بعد أن اضعفهم الجوع والمرض .

وبالإضافة الى ذلك فان بعض المؤرخين الغربيين المحدثين ذكروا فقط أنه اتفق على أن تدفع دمياط فدية للصليبيين قبل أن يرحلوا (٦٠) . ومن المرجح أنهم نقلوا رواياتهم عن مصادر أخرى غير ميخائيل السرياني .

والحقيقة أنه تم بالفعل توقيع معاهدة للسلام والصلح بين الجانبين : الصليبي والمصري ، ووافق الروم على شروطها ، وأعلن السلام وبدأ الجميع يتحركون بحرية حتى أن وليم الصوري ذكر لنا « أن الجانبين استطاعا بحرية أن يتاجرا مع بعضهما البعض ، وأعطى السماح للجميع لبيعوا ويشتروا أو يتبادلوا كما يريدون » (٦١) .

بينما ذكر (ستانلى لين بول) أن الاسكندرانيين الذين عرفوا بالكرم وبأنهم عمليون أكثر فتحوا أسواقهم للغزاة الذين كانوا يعانون من المجاعة (٦٢) ولا ندرى هل كان يقصد هنا أهل الاسكندرية أو أهل دمياط ، خصوصا أن الحديث هنا عن دمياط . وما يرجح أن تكون المقصود هى مدينة دمياط ما ذكره (ستون) من أنه سمح للمسيحيين بالدخول الى دمياط والمتاجرة كيفما شاءوا (٦٣) .

والحقيقة أن حصار الصليبيين والروم لدمياط استمر حوالى شهرين من نهاية أكتوبر حتى نهاية ديسمبر ١١٦٩ م كما دونت المصادر والمراجع الأجنبية (٦٤) . أما المصادر العربية فبعضها ذكر مدة الحصار باحصاء عدد أيامه ، وبعضها الآخر دونها بالتاريخ الهجرى . فمثلا الغالبية العظمى من المصادر العربية ذكرت أن الحصار استمر خمسين يوما (٦٥) . فى حين أشارت بعضها الى أنه دام واحدا وخمسين يوما (٦٦) بينما ذكر البعض الآخر أنه استمر ثلاثة وخمسين يوما (٦٧) . كذلك ذكرت بعض تلك المصادر أن الحصار بدأ فى مستهل صفر وانتهى فى الحادى والعشرين من ربيع الأول ٥٦٥ هـ (٦٨) . أو « لتسع بقين من ربيع الأول » سنة ٥٦٥ هـ (٦٩) .

وهكذا رحل الصليبيون والروم خائبين خاسرين « وحرقت مناجيقهم ونهب آلاتهم وقتل منهم خلق عظيم » (٧٠) .

ولقد كانت تلك النتيجة دافعا لكثير من مؤرخى الغرب الى اعتبارها « كارثة » (٧١) أو الى القول بأن تلك الحملة « انتهت نهاية مخزية شائنة » (٧٢) وهكذا توج الفشل ذلك المجهود الحربى الكبير الذى قام به الصليبيون والروم ضد مصر فى ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م .

ويقال أنه عند عودة الصليبيين الى بلادهم وجدوها خاوية خربة وأهلها بين قتلى وأسرى فانطبق عليهم المثل القائل : « خرجت النعامة تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين » (٧٣) .

وهنا يتبادر للذهن سؤال هو : ماذا كان مصير الحملة الصليبية الرومية المشتركة على مصر بعد عقد الصلح مع صلاح الدين ؟

وللاجابة عن هذا السؤال يجب علينا أن نبرز نقطتين . الأولى هي طبيعة العلاقة بين القوات الصليبية والقوات الرومية آنذاك . والثانية عن رحلة العودة لكل من الطرفين .

أما النقطة الأولى فاننا نقرا عن تأنيب الطرفين بعضهما لبعض (٧٤) . وربما كان الروم أكثر تأنيبا للصليبيين بسبب تأخرهم المستمر حتى تسببوا في النهاية في نفاد مؤنهم وغير ذلك من المواقف الحرجة التي تعرضوا لها ، بل أن كلا منهما كان يشك في الآخر ، فالصليبيون فسروا رغبة قائد أسطول الروم الملحة في الاسراع بالهجوم بأنه كان يريد كسبا لامبراطوريته فقط ، وفي نفس الوقت تهاومت القوات الرومية بخيانة الملك عمورى للقضية التي قدموا من أجلها وأنه دخل في مفاوضات مع المسلمين من أجل الصلح .

وبالنسبة للنقطة الثانية ، فقد رجع الصليبيون بخطوات مكرهة من حيث اتوا ، سالكين نفس الطريق الذي قدموا منه ، فوصلوا عسقلان في ٢١ ديسمبر ، ثم وصلوا الى عكا عشية عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام (٧٥) . أما فيما يخص القوات الرومية فاننا نعود مرة ثانية لنقرا رايا ينفرد به ميخائيل

السرياني يشير فيه الى « أن ملك القدس عاد الى بلاده وترك القوات الرومية وأنها عندما لم تستطع الاستيلاء على أى اراض رحلوا عن طريق البحر » (٧٦) ونحن نستبعد أن تكون القوات الرومية قد تخلفت في مصر بعد رجوع الملك عمورى لكى تستولى على أى اراض خصوصا أن تلك القوات كانت في حالة يرثى لها من الضعف كما اسلفنا .

والواقع أن القوات الرومية أبحرت عائدة في حالة من الاضطراب والفوضى الشديدة (٧٧) . « وبدأت رحلة العودة في صعوبة ومشقة بالغة » (٧٨) . والراجح أن ذلك كان راجعا بالطبع الى سوء حالتهم الصحية الى جانب انخفاض روحهم المعنوية أيضا . وفجأة هبت رياح عاتية أدت الى تحطيم غالبية قطع الأسطول الباقية . وقذفت بحطامها على الشاطئ « وهكذا غرق كل شيء تقريبا » (٧٩) . وراح ضحية تلك العاصفة أعداد كبيرة من الروم (٨٠) .

وهكذا جاء تعليق (لين بول) أصدق ما يكون على ما لحق الأسطول الرومى من ضرر في ذلك الوقت حين قال : « ألقيت جثث موتى الروم على الشاطئ الذى قدموا من أجل الاستيلاء عليه » (٨١) .

هنا يحاول وليم الصورى أن يفلسف لنا حقيقة موقف قوات الروم ، ومدى مسئوليتها عن النتيجة النهائية لتلك الحملة . فيقول أنه بالرغم من عدم تواجده بالمملكة معظم سنة ١١٦٩ م فإنه بمجرد عودته سأل الملك وبعض رجال المملكة البارزين عن سبب النتيجة المؤلمة لتلك الحملة الكبيرة التى وجهت لأداء مهمتها تحت أمره عدد من الأمراء المشهورين وأنه ظل يجمع التقارير المختلفة المستفيضة عن هذا الموضوع كى يكشف حقيقة الأمر .

وكل ما توصل اليه وليم في النهاية هو « أن مبعوثي الامبراطور بذلوا كل الجهود الممكنة لانجاز المهمة الموكلة اليهم لكنهم أجبروا على العودة دون احراز النجاح ، عادوا حزاني القلب ، مروعين بمنافسة القدر . لأنهم خافوا أن امبراطورهم المعظم سوف يتهمهم بجانب ترك مهمتهم بدون اذن ، بأنهم سبب النتيجة المؤلمة للحملة » ثم يعود وليم في موضع آخر فيؤكد أن الروم لا يمكن أن يخرجوا بدون لوم من هذا الحادث . فقد وعد الامبراطور وعدا أكيدا بارسال المال الكافي لتأييد الجيش العظيم ، ولكن الأحداث أثبتت أن وعوده كانت زائفة . فمئذ اللحظة التي ذهب فيها مندبوه الرئيسيون الى مصر ، كان المفروض أن يمدوا حلفاءهم من السخاء الامبراطوري ، الا انهم بدأوا هم أنفسهم يعانون ضغط الحاجة (٨٢) .

والواقع أنه بقدرما كشفت حملة الصليبيين والروم على دمياط ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م من فرقة وتنافر في الاتجاهات بين الحليفين ، بقدر ما أبرزت مدى الترابط بين المسلمين في الشرق ، ولو في ذلك الوقت على الأقل ، فقد تناسى الجميع الى حد ما خلافاتهم المذهبية بين الشيعة والسنة وجعلوا الدفاع عن الاسلام هو هدفهم الأسمى . فهذا نور الدين لم يبخل بارسال كل ما من شأنه أن يعلى كلمة الاسلام والمسلمين الى مصر ، دون النظر الى وضع مصر آنذاك ضمن دائرة الخلافة الفاطمية الشيعية . كما أنه يجب علينا أن ننوه هنا بالدور المرموق والجهد الايجابي الكبير الذي بذله صلاح الدين في صد تلك الحملة مما كان دافعا لكثير من شعراء ذلك العصر على مدحه والاشادة بجهده البارز (٨٣) .

ويعضد رأينا في أهمية القيادة المحنكة ما ذكره الدكتور حامد غنيم حين عقد مقارنة جميلة ومعبرة جدا بين صورتين لمصر : صورة سجلتها أحداث شهر صفر سنة ٥٦٤ هـ ، والصورة الأخرى سجلتها أحداث شهرى صفر وربيع الأول من السنة التالية . ففي

الصورة الأولى هوجمت مصر وانتهكت حاضرتها ، أما في الثانية فقد صمدت دمياط ، وأرغمت الغزاه على التقهقر دون أن يحققوا شيئاً من مخططاتهم ، والفارق بين الحالتين أمر واحد هو تغيير القيادة ، ففي سنة ٥٦٤ هـ كان شاور الذي كانت تحكمه مصالحه الشخصية هو الذي يقود مصر ، وفي سنة ٥٦٥ هـ كان القائد هو صلاح الدين بما يمثله من فكرة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين (٨٤) .

بل أن الخليفة العاضد الفاطمي نفسه جعل كل إمكاناته المالية والعسكرية مسخرة تحت تصرف صلاح الدين كي يتمكن من صد العدوان الصليبي الرومي عن مصر ، وقد أشاد صلاح الدين نفسه بكرم وسخاء الخليفة حين قال : « ما رأيت أكرم من العاضد ، أرسل الى مدة مقام الفرنج على دمياط ألف ألف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها » (٨٥) .

بل أن انتصار صلاح الدين والمصريين على الصليبيين والروم أثلج صدر نور الدين وجعله يسرع بإرسال تهنئة غاية في قمة التعبير اللغوي ، الى الخليفة العاضد تعبر عما يجيش في صدره آنذاك بعد ذلك « الظفر الذي أضحك سن الايمان » (٨٦) .

والحقيقة أن هزيمة التحالف الصليبي الرومي عند مدينة دمياط يعتبر باكورة النتائج الايجابية التي سجلها التاريخ للجبهة الإسلامية نتيجة لتحمل مصر لأعباء الدور الذي كان من المحتم أن تقوم به في حركة المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين (٨٧) .

وبتعبير (ستون) كان اخفاق الحملة الصليبية الرومية في ١١٦٩ م / ٥٦٥ هـ « نقطة فاصلة في تاريخ الشرق » (٨٨) . وكانت أهم نتائج تلك الحملة تقوية مركز صلاح الدين في

مصر (٨٩) . لذا بدأ العاضد يتخوف من ازدياد نفوذه هو ورفقائه من الأتراك ، وأرسل الى نور الدين يطلب منه أن يسحب القوات التركية المصاحبة لصالح الدين بمصر وأن يقتصر فقط على صلاح الدين وأصحابه ، فما كان من نور الدين الا أن رد عليه بخطاب يمدح فيه الأتراك وأنه ما أرسلهم واعتمد عليهم الا لعلمه ان « قنطاريات الفرنج ليس لها الا سهام الأتراك » (٩٠) .

وعليه فان الخليفة العاضد لم يجد بدا من الرضوخ للأمر الواقع لأنه كان قد وصل الى حالة من الضعف لا تمكنه من أن يتخذ أى قرار معاد لنور الدين أو حتى لصالح الدين الذى سطع نجمه بسرعة فى مصر . وستثبت لنا الأحداث التالية أن صلاح الدين سيصبح صاحب الكفة الراجحة على حساب النوريين والفاطمين معا .

نعود مرة أخرى الى الملك عمورى بعد وصوله الى مملكته فى أواخر ديسمبر ١١٦٩ م هل عاوده الحنين الى الدخول فى مخاطرة جديدة على أرض مصر ؟ وماذا كان موقفه من إمبراطورية الروم آنذاك ؟ ثم ماذا كان موقف الروم من مصر وشواطئها بعد تلك الحملة التى ذاقوا فيها الأمرين ؟

هنا يذكر لنا (ستيفنسون) أن عمورى ملك بيت المقدس قصر جهوده من ذلك الوقت فصاعدا على « الدفاع عن أراضيه الخاصة » (٩١) .

ولكن لما كان دفاعه عن أراضى مملكته لا يمكن أن يتأتى له الا بضمان الاستقرار والهدوء لجبهته الجنوبية والغربية من ناحية مصر أولا ، ومن ناحية الشمال أى مع نور الدين ثانيا : لذا نجده

يعاود من جديد مراسله الغرب الأوربي « ليتوسل اليهم أن يرسلوا حملة صليبية جديدة » (٩٢) الى الشرق ، وربما يرجع ذلك الى انه لم يجرؤ في ذلك الوقت بالذات ، ووسط تلك الظروف الصعبة ان يعاود طلب أى نجدة من امبراطور الروم خصوصا أن النفوس لم تكن صافية تماما بسبب الظروف التي مرت بها حملتهما المشتركة على دمياط سنة ١١٦٩ م / ٥٦٥ هـ .

لكن ما هي الظروف الملحة التي طرأت في افق مملكة بيت المقدس والتي جعلت عموري يسارع بطلب النجدة من الغرب في ذلك الوقت ؟ والرد هو الجهود الايجابية المتتالية التي قام بها صلاح الدين بمهاجمته لقلعة الداروم Darom وهي أهم قلاع الصليبيين على ساحل البحر المتوسط الجنوبي ، ومهاجمته أيضا لقلعة غزة واستيلائه على أيلة على خليج العقبة ، وبذلك بدأ بالفعل تطويق الامارات الصليبية (٩٣) .

فماذا كان رد الغرب على سفارته ؟

ان كل ما عادت به سفارته من الغرب ١١٧١ م هو « وعود مبهمة غامضة عن ارسال نجدات » (٩٤) دون أن تنجز شيئا ايجابيا (٩٥) .

والحقيقة ان عموري ظل مخلصا باستمرار لسياسته التي ترمي الى التحالف الشديد مع امبراطور الروم والاستنجاد المستمر والدائم بالغرب (٩٦) .

ثم لم يلبث عموري أن وجد نفسه مرة ثانية في حاجة ملحة الى الالتجاء الى امبراطور الروم. وطلب المساعدة منه ، ولكي يتلافى كل ما كان من نتائجه فشل الحملة التي وجهت الى دمياط من قبل ، توجه بنفسه الى القسطنطينية للوصول مع الحكومة الامبراطورية

الى خطة جديدة لمهاجمة مصر (٩٧) . وقد غادر الملك عمورى عسكا
في ١٠ مارس ١١٧١ م (٩٨) متوجها الى دولة الروم .

وهناك استقبل من الامبراطور مانويل كومنين استقبالا وديا
فاخرا . واذا كان (برييه) قد ذكر أن الامبراطور قد وقع من
جديد معاهدة تحالف مع عمورى (٩٩) . فان (ستيفنسون) ذكر
أن الملك قد وعد بتقديم المساعدة له (١٠٠) . اما (رنسيما)
فيقول أن شروط المعاهدة الجديدة التي تم الاتفاق عليها
« لم تدون » (١٠١) وربما اكتفى فيها فقط بالاتفاق الشفوي ، وكل
ما يهمنا من تلك الشروط هنا هو أن الامبراطور وعد بالتكفل
بالمساعدة البحرية والمالية في أى حملة مقبلة ضد مصر . وهكذا
غادر الملك ومن معه القسطنطينية في ١٥ يونية وكلهم أمل في
المستقبل (١٠٢) .

ولكن مهما كانت الشروط ومهما كان الاختلاف في مدى نجاح
تلك السفارة التي قام بها الملك عمورى بنفسه الى عاصمة الروم ،
فان ما نود أن نؤكد هنا هو أنه لم يرسل حملات مشتركة
— صليبية رومية — في المستقبل ضد مصر وأن حملة ١١٦٩ م كانت
آخر حملة من ذلك النوع .

ومهما كان الأمر ، ففي المحرم سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م
قطعت خطبة العاضد لدين الله الفاطمي في مصر وخطب فيها
للمستضيء بأمر الله العباسي . وقد حدث ذلك بالتدريج ، ففي
الجمعة الأولى دعى للمستضيء بأمر الله فلم ينكر أحد ذلك ، وفي
الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع
خطبة العاضد واقامة الخطبة للمستضيء بأمر الله ، ففعلوا ذلك
« ولم ينتطح عنزان » (١٠٣) .

ثم توفي الخليفة العاضد في يوم عاشوراء ، ولم يعلم بقطع الخطبة . فتولى صلاح الدين حكم مصر ، وأصبح يسيطر على قصر الخليفة وجميع ما فيه (١٠٤) .

والواقع أن العلاقة بين نور الدين وصلاح الدين كانت على أحسن ما تكون حتى ذلك الوقت ، ففي صيف ١١٦٩ م عزز نور الدين صلاح الدين في مصر بكل القوات والاحتياجات ضد المؤامرة والدسائس الداخلية ، كما عززه مرة ثانية في خريف وشتاء نفس العام ضد الحملة الصليبية الرومية ضد مصر بل أنه ضاعف من هجماته على الممتلكات الصليبية في بلاد الشام في نفس الوقت ، وكان لذلك أثره الواضح في وضع الصليبيين بين فكي الكماشة ، وكان ذلك أيضا من الأسباب الجوهرية لانسحابهم كما مر بنا .

لكن لم تلبث أن حدثت جفوة بين نور الدين وصلاح الدين ، لكن حسن رأى نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، كان له اليد الطولى في ازالتها وعليه فقد توفي نور الدين دون أن يكون لديه شك في اخلاص صلاح الدين له وكان ذلك في « يوم الأربعاء حادى عشر شوال » (١٠٥) من سنة ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م ، ثم لم يلبث أن لحق به الملك عمورى في يولية من نفس العام (١٠٦) .

هوامش الفصل الثالث

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ... ، ص ٢١ . فهو يقول :
« كان رحمه الله شديد المواظبة عليه ، عظيم الاهتمام به ، ولو حلف أنه ما أنفق
بعد خروجه إلى الجهاد دينارا ولا درهما إلا في الجهاد أو في الإرفاد ، لصدق
وبرق يمينه . ولقد كان حبه للجهاد والشفق به قد استولى على قلبه وسائر
جوانحه استيلاء عظيما ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ، ولا نظر إلا في آله ،
ولا كان له اهتمام إلا ب رجاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه ،
ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر
بلادهم وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح ميمنة وميسرة » .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1. P. 442.

(٢)

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 385, J. Prawer :

(٣)

Op. Cit., Y. 1, P. 443, Setton : Op. Cit., V. 1, P. 557.

(٤) د. سعيد عاشور : بحوث ودراسات ... ص ٢١١ عن King

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 443.

(٥)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 557.

(٦)

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 362, Setton :

(٧)

Op. Cit., V. 1, P. 557.

هنا يذكر ستيفنسون أن اندفاع الصليبيين حل محله الجبن

Stevenson : Op. Cit., P. 196.

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 362.

(٨)

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 103.

(٩)

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 386.

(١٠)

William of Tyre : Op. Cit., PP. 362 — 363.

(١١)

هنا يفصل لنا وليم الحديث عن الرحلة البرية بقوله : أنه لكي لا تسام قوات المشاه تقدموا على مراحل مستفيدين من الاستراحات الموجودة في الطريق ، لأخذ شيء من الراحة ، وعند الوصول إلى القرما القديمة في اليوم التاسع كانوا يرغبون في اتباع الطريق الساحلي ، لكن حادثاً جديداً جعل من الضروري اتخاذ طريق الداخل الأطول لأن بعض الخنادق بين الساحل والمناطق المجاورة للبحر تكسرت بسبب الانفجارات المتكررة للأمواج ، وبذلك أحدثت ممرات خلال الحواجز المواجهة لها لذلك اضطروا للتوغل في الطريق السهل الخلفي حيث تكونت في المنطقة المجاورة للساحل بركة كبيرة غطتها المياه وامتلات بالأسماك التي استخدمت كمصدر مهم للتموين ولقد كانت القرما تقع في مكان متوسط بين البحر والنهر والصحراء وكانت تبعد ثلاثة أميال عن قم النيل . أما دمياط فكانت تقع على جانب النهر الأقرب عند التقاء النهر بالبحر .

(١٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٢ ، البنداري : سنا البرق

الثامى ، ق ١ ، ص ٨٦ ، أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 363.

(١٣)

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 104.

(١٤)

(١٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٣ .

(١٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤١ .

(١٧) ابن شداد : المصدر السابق نفس الصفحة ، ابن الفرات :

تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٨٢ والمنجنيق آلة من آلات الحصار في العصور الوسطى يقوم مقام المدفع الحالى ، وإن كانت قدائفه من الحجارة . أما الدبابة فهي آلة تتخذ من جلود وختب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقوه وتقيهم ما يرمون به من فوقهم ، وقد سميت بذلك لأنها تدفع فتدب (ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، وحشية للدكتور جمال الدين الشيال محقق نفس الكتاب ، ص ١٨١) . أما الجرح فهي مأخوذة عن الفارسية والجمع جروح وهو نوع من القوس الرامى الذى ترمى منه النشاب أو النفط ... ويقال للذى يرمى عن قوسه السهام أو النفط (الجرحى) والجمع الجرحية . (حاشية للدكتور الشيال محقق كتاب النوادر السلطانية لابن شداد ، ص ٤٢) .

(١٨) ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٨٣ . والشيني هي السفينة الحربية الكبيرة . أما الطريدة والجمع طرائد فهي أنواع من المراكب الحربية أكثر شيها بالبرميل الهائل من السفينة ، وكانت تستعمل في حمل الخيول والفرسان .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 444.

(١٩)

ابن خلدون : تاريخه ، ج ٤ ، ص ٨٠ .

(٢٠) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٨٦ ، ابن أيبك :

كنز الدرر ، ج ٧ ، ص ٤١ .

(٢١) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٣ ، الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ ،

أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ . هنا يذكر ابن خلدون في تاريخه ، ج ٤ ، ص ٨٠ أنه أمدهم بالعساكر والأموال مع بهاء الدين قراقوش وأمراء الفز . أما وليم الصوري فقد أرخ لتلك النقطة بقوله أنه قدم جيش من الأتراك من مصر العليا ، ضخم العدد ، وسفن محملة بالرجال المسلحين .

(William) of Tyre : V. 11, P. 364)

(٢٢) ابن شداد : التوادر السلطانية ... ، ص ٤٣ .

(٢٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٣ ، الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ ،

أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(٢٤) د. سعيد عاشور : بحوث ودراستات ... ، ص ٢٢٠ ،

د. عبد الرحمن الرافعي ، د. سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص ٢٩٥ .

(٢٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ ،

أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 364. Setton :

(٢٦)

Op. Cit., V. 1, P. 557.

William of Tyre : Ibid, V. 11, P. 365, J. Prawer :

(٢٧)

Op. Cit., T. 1, P. 444, Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 387.

هنا يرجع وليم الصوري التأخر في مهاجمة دمياط الى وسوسة الشيطان فهو يقول أنه عند وصول قواتهم الى المدينة كانت خالية ولم يكن بها سوى

أهلها الأصليين « الذين كانوا ضعفاء مسالين ، جاهلين كلية بفن الحرب فلو أن المسيحيين هاجموا المدينة بشجاعة في الحال ، لسقطت في الهجوم الأول ولكن المحاصرين أخذوا مهلة ، زاد عددهم خلالها زيادة كبيرة بواسطة التعزيزات بالفرسان الشجعان الأقوياء ، وكانت النتيجة أنهم أصبحوا قادرين على مقاومة هجماتنا داخل وخارج المدينة » . والواقع أن وليم الصوري نسي أو تناسى هنا أن الملك كان مترددا منذ البداية سواء عند الخروج من مملكته أو عند الوصول إلى دمياط وأنه لم يبدأ بالهجوم إلا بعد وصول الأسطول الرومي الذي أخرته الرياح القوية التي قامت حينئذ ، والتي هدأت فيما بعد ربما بسبب سقوط الأمطار الغزيرة كما سنرى فيما يلي .

Stenvenson : Op. Cit., P. 196, Runcimen : Ibid, (٢٨)
V. 2, P. 387.

William of Tyre : Op. Cit., V. 11, P. 364. (٢٩)

والراجع أن مياه الفيضان هنا كانت مياه الأمطار الغزيرة التي سيأتي ذكرها والتي أغرقت كل شيء مع جيش عموري .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 444. (٣٠)

William of Tyre : Op Cit., V. 11, P. 364. (٣١)

William of Tyre : Ibd, V. II, P. 365. (٣٢)

Stevenson : Op. Cit., P. 196. (٣٣)

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 366 (٣٤)

Stevenson : Op. Cit., P. 196.

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 105. (٣٥)

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 366. (٣٦)

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 444. (٣٧)

William : Op Cit., V. 11, P. 365. (٣٨)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 557. (٣٩)

William : Op. Cit., V. 11, P. 366. (٤٠)

(٤١) البنداري : منا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 367. (٤٢)

هنا أيضا يدافع وليم الصوري عن الملك بقوله أن ما حدث لم يكن مرجعه إلى عدم يقظة الملك لأنه عندما اكتشف النار - لم ينتظر حتى يرتدى

حذاءه - امتطى سهوة جواده بسرعة وايقظ البحارة . وعن طريق الصيحات المفزعة دناهم الى اخمد النار . وكل ما نجحوا فيه هو فصل السفن عن بعضها فقلت ضراوة اشتعال النار . ثم أطفئت السفن المشتعلة بواسطة مياه النهر . ولذلك مقب وليم على ذلك بتقديم شكره للنهر الذي كان في متناول اليد .

William of Tyre : Ibid, V. II, PP. 367 — 368.

(٤٣)

William : Ibid, V. II, P. 368.

(٤٤)

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 387.

(٤٥)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 557.

(٤٦)

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 387.

(٤٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 557.

(٤٨)

Michel Le Syrien : (R.H.C.) Documents Armén-

(٤٩)

iens, T. 1, PP. 369 — 370.

هنا يخطيء ميخائيل حين يشير الى أن بعض الأشخاص حذروا الأمير (Ce Prince) ولم يشر اليه على أنه الملك .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 368.

(٥٠)

وهو هنا يشير الى المسلمين بالكفار كما عهدناه دائما في تحيزه لآخوانه

في الدين .

J. Prawer : Op. Cit., T. 1, P. 444.

(٥١)

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 105.

(٥٢)

Bréhier : Vie et Mort..., P. 339.

(٥٣)

{٥٤} ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٤ ، الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ ،

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨١ .

{٥٥} أبو الفدا : المختصر ... ، ج ٣ ، دار المعرفة ، بيروت ،

ص ٤٨ ، الذهبي : دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٨ ، ابن الوردي : تنمية

المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

{٥٦} البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ١١٧ .

{٥٧} ابن أيك الداوداري : كنز الدرر ... ، ج ٧ ، ص ٤١ .

{٥٨} ابن شداد : النوادر السلطانية ... ، ص ٤٢ .

Michel Le Syrien : (R.H.C.), Documents Armén-

(٥٩)

iens, T. 1, P. 370.

J. Prawer : Op. Cit., T. I, P. 444, Runciman : (٦٠)
Op. Cit., V. 2, P. 387.

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 368. (٦١)

هنا يذكر وليم أن ذلك استمر لمدة ثلاثة أيام وأن المسيحيين استخدموا السوق نفسها مع المسلمين الذين يصر باستمرار على نعتهم (بالكفرة) .
ومما يجدر ذكره أن وليم الصوري لم يصرح لنا بشيء من تلك الشروط وربما يرجع ذلك الى أنه لم يكن لديه بيان واف عنها مما جمعه من معلومات .

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 105. (٦٢)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 558. (٦٣)

هنا يعطينا رنسيمن تفسيراً له وجأته من سبب اقدام الملك عموري على عقد الصلح مع صلاح الدين ، أنه رغب في « أن تحرره صداقته لصالح الدين من نور الدين الذي كانت علاقاته معه تتسم بشيء من قلة المودة .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, PP. 363, 368, (٦٤)
L. Bréhier Vie et Mort..., P. 340.

(٦٥) ابن الأثير : الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ ، الباهر ، ص ١٤٤ ،
ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ،
دار المعرفة لبنان ، ص ٤٨ ، الذهبي : دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٨ ،
البياني : مرآة الجنان ومبرة اليقظان ، ج ٣ ، ص ٣٧٨ ، ابن الفرات :
تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ابن خلدون : تاريخه : ج ٤ ، ص ٨٠ .

(٦٦) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٨٧ .

(٦٧) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨٢ .

(٦٨) البنداري : سنا البرق الشامي ، ق ١ ، ص ٨٦ - ٨٧ ،
أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ - ١٨١ ، ابن أبيك : كنز الدرر ،
ج ٧ ، ص ٤١ .

(٦٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

(٧٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٣ ، ابن الفرات :
تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٨٥ . هنا يذكر لنا وليم الصوري ومن الخلد عنه
مثل رنسيمن أنهم هم الذين أحرقوا بأنفسهم آلالهم الحربية وحطموها كي
لا تقع في أيدي المسلمين وأن ذلك كان في ١٢ ديسمبر ١١٦٦ م .

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 368, Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 388.

(٧١) على سبيل المثال لا الحصر :

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 105, Cam. Med. Hist., V. IV. Part, 1, P. 256.

Stevenson : Op. Cit., P. 196.

(٧٢)

(٧٢) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٤ ، الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ .

Stevenson : Op. Cit., P. 196, Runciman : Op. Cit.,

(٧٤)

V. 2, P. 388, The New Encyclopaedia Britannica, V. 5. (1768). P. 302.

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 368.

(٧٥)

Michel Le Syrien : (R.H.C.), Documents Arméniens, T. 1, P. 370.

(٧٦)

Bréhier : Vie et Mort..., P. 340.

(٧٧)

William of Tyre : Op. Cit., V. II, P. 369.

(٧٨)

William of Tyre : Ibid., V. II, P. 369.

(٧٩)

Michel Le Syrien : (R.H.C.), Documents Lrméniens, T. 1, P. 370.

(٨٠)

Stanley Lane Poole : Op. Cit., P. 105.

(٨١)

Willlad of Tyre : Op. Cit., V. II, PP. 369 — 370.

(٨٢)

(٨٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٢ . على سبيل المثال

لا الحصر :

رجا الكلب ملك الروم اذ ذاك فتحها فخاف فأم الملك والروم هابل

هنت صوتك دمياط التي اجتمعت لها الفرنج فما حلوا ولا ربطوا

انظر الملحق رقم (٥) .

(٨٤) د. حامد فنيح : الجبهة الاسلامية في عصر الحروب الصليبية .

ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٨٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٤٤ ، الكامل ، حوادث ٥٦٥ هـ ،

ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣

دار المعرفة ، بيروت ، ص ٤٩ ، ابن الوردى : تلمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

(٨٦) انظر الملحق رقم (٤) .

(٨٧) د. جامد غنيم : الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية ،

ج ٢ ، ص ٤٤ .

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 558.

(٨٨)

Setton : Ibid., V. 1, P. 558, L. Bréhier : Veit et

(٨٩)

Mort..., P. 340.

(٩٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨١ ، ابن واصل :

مفرج الكروب ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ابن الفرات : تاريخه ، م ٤ ، ج ١ ، ص ٨٧ . هنا يعطينا الدكتور جمال الدين الشيبان محقق كتاب مفرج الكروب لابن واصل تفسيراً لمعنى القنطاريات بقوله : القنطارية نوع من الرمح وهي لفظ من أصل يوناني وسميت هكذا لأنها تصنع من نوع من الخشب يحمل هذا الاسم باليونانية . وقد وصفها مرضى بن على بن مرضى الطرطوسي في مخطوطته (تبصر ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء) بقوله أنها أقرب في شكلها من الرماح المصنوعة من الخشب الزان وما يشبهه . وهي ليست بالطويلة ويطعنون بها .. وأستنتج قصار عراض كهينة البلطية » . Stevenson : Op. Cit., P. 196.

(٩١)

L. Bréhier : Viet et Mort..., P. 340.

(٩٢)

Runciman : Op. Cit., V. 2, - PP. 390 — 391,

(٩٣)

Stevenson : Op. Cit., P. 199, The Cambridge Hist, of Islam, P. 202.

L. Bréhier : Viet et Mort..., P. 340.

(٩٤)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 558.

(٩٥)

Runciman : Op. Cit., V, 2, P. 390.

(٩٦)

L. Bréhier : Vie et Mort..., P. 340.

(٩٧)

Setton : Op. Cit., V. 1, P. 559, Runciman : Op.

(٩٨)

Cit., V. 2, P. 391.

وقد صحبه في رحلته بعض كبار رجال المملكة مثل أسقف عكا وجيرارد

البوجي Gerard of Poughi مارشال البلاد .

L. Bréhier : Op. Cit., P. 340.

(٩٩)

هنا يذكر برييه أنه تم فيها إبعاد كل الشروط والظروف التي لم تعد
مجدية .

Stevenson : Op. Cit., P. 200.

(١٠٠)

Runciman : Op. Cit., V. 2, P. 391.

(١٠١)

Runciman : Ibid., V. 2, P. 392.

(١٠٢)

وهكذا قضى الملك عموري الفترة ما بين مارس ويونية في القسطنطينية
Stevenson : Op. Cit., P. 200.

(١٠٣) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٥٦ ، أبو شامة : الروضتين ،

ج ١ ، ص ١٩٤ .

(١٠٤) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة ، أبو شامة نفس المصدر ،

ص ٢٠٠ هنا يخطئ (ستيفنسون) في القول بأن الخليفة العاضد توفي في
١٣ سبتمبر ١١٧١ م وفي الجمعة التالية تم الدعاء للخليفة العباسي على المنابر .
(Stevenson : Op. Cit., P. 197).

لكن المرجح أن الدعوة للخليفة العباسي سبقت وفاة العاضد كما
أوضحت المصادر العربية ذلك .

(١٠٥) ابن الأثير : الباهر ، ص ١٦١ . ومع الجفوة بين نور الدين

وصلاح الدين أنظر المصدر نفسه ص ١٥٨ - ١٥٩ .

L. Bréhier : Op. Cit., P. 340, Runciman : Op. Cité.,

(١٠٦)

V. 2, PP. 398 — 399, Stevenson : Op. Cit., P. 203.

الخاتمة

وهكذا كان الاستيلاء على شواطئ مصر حلما راود باستمرار المتربعين على عرش الروم فيعيأوا له الجهود ورسموا الخطط وحشدوا القوات وأرسلوا الأساطيل ، ولا غرو فقد كان امتلاك مصر بصفة دائمة هو الأمل المنشود بالنسبة للروم ، لما كانت عليه من موقع جغرافي ممتاز الى جانب غناها الاقتصادي المرموق وخاصة كمنتج مهم للقمح .

ومما يجدر ذكره أن ندون هنا تلك الملحوظة المهمة لأحد المراجع الغربية ، وهي التي أكد فيها أن مصر كانت باستمرار بلدا مميزا بالنسبة لحضارة البحر المتوسط ، حيث « أثرت في تلك الحضارة ولم تتأثر بها » ، ولم تنس الاسكندرية على الاطلاق أنها كانت العاصمة الباعثة على الفخار للبطلمية وأنها لم ترضخ على الاطلاق لسيادة روما أو القسطنطينية سواء في النواحي السياسية أو الدينية . وبالإضافة الى ذلك فإن الملامح والسمات المميزة للحضارة الهندوأوروبية لم تمد جذورها بعمق على الاطلاق على أرض مصر « (١) » .

والحقيقة أن الساحل الشمالى لمصر كان باستمرار عقبة كأداء لأي غاز أو مهاجم لمصر من ناحية البحر المتوسط وعليه

فقد صدق القول بأنه « لا يوجد أى غزو ناجح لمصر من البحر في الفترة ما بين قيصر وبونابرت » (٢) .

وإذا كانت شواطئ مصر الشمالية قد تعرضت - كما مر بنا - للعديد من هجمات الروم البحرية ، فإن دمياط بالذات منيت بأكبر عدد من تلك الهجمات ، ولكنها أثبتت باستمرار قدرتها وشجاعتها في الذود عن أرضها واستطاعت على الدوام أن ترد كيد الروم الى نجرهم وتعيدهم خاسرين .

وإذا كنا قد ركزنا الضوء في هذا الكتاب على فترة العصور الوسطى بالذات فإننا بتناولنا لجميع الهجمات الرومية على الشواطئ المصرية منذ بداية عصر الفتوحات الاسلاميّة لاحظنا باستمرار أن الروم كان يصعب عليهم أن يفرطوا في مصر أو حتى أن يعترفوا بانفصالها عن الفلك الرومى ، وقد ظل الأمر كذلك حتى الحملة الرومية الصليبية على دمياط سنة ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م ، وعندها توقف المد الرومى على مصر من جهة البحر المتوسط فلم نعثر في ثنايا المصادر العربية والأجنبية على مجرد إشارة لآى حملة على الشواطئ المصرية ، فما سر ذلك التوقف في ذلك الوقت بالذات ؟ وهل يحمل هذا التوقيت دلالة معينة بالنسبة للعلاقات المصرية الرومية ؟

لكشف النقاب عن تلك الفترة المهمة يجدر بنا أن نتناول بإيجاز أوضاع امبراطورية الروم في الفترة التالية وطبيعة العلاقات المصرية الرومية آنذاك .

فالملاحظة أن فترة حكم الامبراطور مانويل الأول كومنين ١١٤٣ - ١١٨٠ م (٣) شهدت في بدايتها على الأقل فترة ازدهار وتوازن سياسى في شئون امبراطورية الروم - والمقصود

بالتوازن هنا التوازن بين مصالحها في الشرق والغرب — فقد كان مانويل حاكما بارعا وجنديا ودبلوماسيا ورجل دولة ، وقد خطا خطوات واسعة في سبيل توطيد صداقته بالغربيين . ولقد كللت جهوده في الشرق بالنجاح الى حد بعيد لأنه واصل سياسة أبيه من قبل ، ولعل أبرز ما يوضح — المكانة التي ارتقاها مانويل في الشرق أن يحتل اسمه مكان الصدارة في سجل كنيسة الميلاد في بيت لحم عام ١١٦٩ م ثم يليه بعد ذلك اسم ملك بيت المقدس كما لازمه التوفيق أيضا بالنسبة للجبهة الشمالية ، فقد أنهى الخلافات القديمة بين الهنغارين (المجريين) والروم بزواج ابنته من Bella وريث العرش الهنغاري ، كما أبقى أيضا على سيادته على ستيفن نمانيا Stephen Nemanya مؤسس أشهر أسرة حكمت صربيا .

ولكن واكب ذلك النجاح لمانويل في الشرق وهنغاريا تدهور مستمر في نفوذه في الغرب حيث اكتسب عداء البندقية وفشل في تحقيق التعاون مع البابوية ، كما ووجه بعدو قوى هو فردريك بربروسا الذي دفع سلطان قونية الى الثورة ضد مانويل ومد له يد المساعدة ، ولقى مانويل نتيجة لذلك هزيمة ساحقة في مريو سيفالون Myrio Cphalon في آسيا الصغرى في ١٧ سبتمبر سنة ١١٧٦ م .

عندئذ أرسل فردريك بربروسا خطابا الى امبراطور الروم « يقطر احتقارا » مخبرا اياه أن الأباطرة الألمان الذين تلقوا سلطتهم من الأباطرة الرومان العظام يجب عليهم أن يحكموا ليس فقط الامبراطورية الرومانية بل أيضا (المملكة اليونانية Regnum Graeciae) أي دولة الروم م .

أما في الداخل فإن تزايد الهوة بين المستأجرين والطبقة العسكرية الحاكمة والضرائب الباهظة وتسرب التجارة الى أيدي

التجار الأجانب وهبوط الرجال الأحرار الى مرتبة العبودية كل هذا كان مصحوبا بالسير السريع نحو نظام اقتصادي أضعف سلطة الدولة (٤) .

وقد بدأ ضعف دولة الروم يظهر بوضوح بعد وفاة الامبراطور مانويل كومنين ١١٨٠ م وذلك في عهد ابنه القاصر الكسنيوس الثاني Alexius II Comnenus ١١٨٠ - ١١٨٣ م تحت وصاية أمه ماري الأنطاكية (٥) . وفي سبتمبر ١١٨٣ م تمكن أندرونيكوس كومنين Andronicus comnenus من دخول القسطنطينية وتخلص من الامبراطور الصغير وأمه . والواقع أن عهد أندرونيكوس كومنين كان مليئا بأعمال العنف والمؤامرات والجرائم المخيفة في الداخل .

لكن ما يهمنا هنا هو آثار سياسته الخارجية ، فإذا كان الروم قد حافظوا على علاقاتهم الطيبة مع المجرين والصرب في عهد الامبراطور مانويل ، الا أنه بعد اعتلاء أندرونيكوس العرش ، فإن ملك المجر وملك الصرب جعلوا من نفسيهما المنتقمين لأرملة الامبراطور الراحل . وهكذا تحالف المجريون والصرب في ١١٨٣ م وغزوا الامبراطورية (٦) . وكانت أشد الضربات على الامبراطورية موجهة اليها من جانب نورمان صقلية الذين شنوا من جديد هجوما قاسيا ضد الروم .

هنا حاول أندرونيكوس أن يخلص نفسه من هذا المأزق الحرج بالتخالف مع صلاح الدين في مصر من ناحية ، ومع البنادقة في الغرب من ناحية أخرى (٧) .

لكن لم تلبث سالونيك Thessalonica - وهي المدينة الثانية في الامبراطورية أن سقطت في يد النورمان فأنزلوا بأهلها

أشد أنواع العذاب والموت • عندئذ قامت في العاصمة الرومية ثورة عاصفة في ١٢ سبتمبر ١١٨٥ م انتهت بتقطيع آخر أباطرة أسرة آل كومنينين أربا ونودي بإسحاق الثاني أنجيلوس Isaac II Angelus امبراطورا (٨) ١١٨٥ - ١١٩٥ م • وهكذا شغل عرش الروم خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١١٨٥ ، ١٢٠٤م بأفراد من بيت أنجيلوس الذين لم يكن لأحد منهم حسن سياسة حنا أو مانويل كومنين (٩) •

تطورت الأحداث بسرعة بعد انتصار صلاح الدين الأيوبي الباهر على الصليبيين في حطين في يولييه ١١٨٧ م • هنا تحرك ملوك أوروبا البارزون أمثال فردريك بربروسا وفيليه أغسطس وريتشارد قلب الأسد في حملة صليبية جديدة - الحملة الثالثة - عندئذ اختار فردريك الطريق البري ، وكان قد وصل الى اتفاق مع الروم في خريف ١١٨٨ م بخصوص مرور القوات الألمانية ووقع معهم معاهدة بهذا الشأن ، ولكن الروم ساورهم الشك ، لدخول بربروسا في مفاوضات مع أعدائهم أمثال سلطان قونية السلجوقي (١٠) • بل أن بربروسا عقد تحالفا مع الصرب والبغار ضد البيزنطيين (١١) •

ولقد صعد علاقات العداء بين بربروسا من جهة وبين امبراطور الروم من جهة أخرى تلك الزيجة التي تمت بين الامبراطور الألماني والنورمان ، فقد تم الاتفاق في عام ١١٨٤ م / ٥٨٠ هـ بين كل من بربروسا وبين ولیم الثاني النورمانی ملك صقلية ١١٦٦ - ١١٨٩ م على زواج ابن الأول هنري السادس ، وخليفته في حكم الامبراطورية الرومانية المقدسة من الأميرة كونستانس ابنة ولیم الثاني والوريثة الشرعية لمملكة صقلية ، لذلك لم يكن غريبا أن يرتب إسحاق الثاني في نوایا الامبراطور فردريك حليف ولیم الثاني ، لذا بدأ في وضع العراقيل في طريق الجيش الألماني (١٢) •

بل أن امبراطور الروم اتجه الى صلاح الدين الأيوبي الذي كانت تربطه به آنذاك علاقات ودية وتحالف ضد عدوهما المشترك سبيلطان سلاجقة الروم (١٣) . وجدد اسحاق الثاني انجليوس مرة أخرى المعاهدة التي كان قد عقدها أندرونيكوس مع صلاح الدين على شرط ضرورة « تعويق مرور الجيش الصليبي الألماني » (١٤) .

وأكثر من ذلك فقد أرسل اسحاق الثاني الى صلاح الدين يخبره بقدوم بربروسا على رأس حملة صليبية جديدة لاسترداد بيت المقدس ، وذلك حتى يتخذ صلاح الدين من التدابير ما يكفل له الصمود في وجهه (١٥) .

ولكن رغم كل الاجراءات التي اتخذها الامبراطور اسحاق الثاني لتعويق الجيش الألماني فان بربروسا تمكن من الاستيلاء على أدرنه ، عندئذ لم يجد اسحاق الثاني بدا من الخضوع والتسليم بمطالب الامبراطور الألماني وذلك في ١١٩٠ م (١٦) .

عندئذ لم يسمع امبراطور الروم الا أن يسطر من جديد رسالة يعتذر فيها لصلاح الدين عن سماحه للجيش الألماني بالمرور عبر بلاده ، وهي رسالة تحمل في طياتها التحذير من عدو مشترك يتمنى له اسحاق الثاني الهلاك « وصل من ملك قسطنطينية كتاب يتضمن استعطافا وإستسعاءفا ويذكر تمكينه من اقامة الجمعة في جامع المسلمين بقسطنطينية والخطبة فيه وأنه مستمر على المودة راغب في المحبة ويعتذر عن عبور الملك الألماني وأنه قد فجع في طريقه بالأمانى ونال من الشدة ونقص العدة ما أضعفه وأوهاه وأنه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه أو ينفع ويكون مصرعه هناك ولا يرجع ويموت بما به كاده وأنه قد بلغ في أذاه اجتهاده » (١٧) .

وإذا كان فردريك بربروسا قد اندفع عبر آسيا الصغرى في اتجاه الأرض المقدسة فانه لم يقدر له مطلقا الوصول اليها (١٨) .

ولا يعنينا هنا تتبع حملة بربروسا (١٩) ، بقدر ما يهمنا أن نشير الى أن عهد صلاح الدين شهد كما سبق الذكر تحالفين بين المصريين والروم أحدهما في عهد أندرونيكوس كومنين والثاني في عهد اسحاق الثاني انجيلوس . وكان هذا هو سر توقف الحملات الرومية الى شواطئ مصر في ذلك الوقت .

ويهمنا قبل أن نختم هذه النقطة أن نشير الى أن هذا التحالف لم يكن مثمرا بالمرّة ، وقد أشار الى ذلك صلاح الدين نفسه في إحدى رسائله الى الخليفة العباسي في بغداد عندما قال : « ولا اعتبار بحديثنا مع صاحب القسطنطينية في أننا ننجده على قبرس فانا انما وعدناه بالنجدة عليها لما كانت بيد عدونا ، والله ما أفلح ملك الروم قط ولا نفع أن يكون صديقا ولا ضر أن يكون عدوا » (٢٠) .

وهكذا توقفت هجمات الروم البحرية ضد الشواطئ المصرية على عهد صلاح الدين الأيوبي ، ولم يعد الروم يشكلون خطرا قريبا أو بعيدا بالنسبة لمصر .

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال .

تم بحمد الله

هوامش الخاتمة

- (١) Allan Chester Johnson and Louis C. West : Byzantine Egypt, P. 4.
- (٢) 2. The Cambridge Hist. of Islam, V. I, P. 102.
- (٣) G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 578.
- (٤) ٢٠٧ م هـ : العالم البيزنطى ترجمة د. رأفت عبد الحميد ، ص ١٨٨ - ١٩٨ ، ١٩٤ - ١٩٧ ، د. حسين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢١٧ - ٢١٨ ، ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٢٢٨ - ٢٣١ .
- (٥) G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 394.
- كان الكسيوس الثانى فى الثانية عشرة من عمره عند اعتلائه العرش .
- (٦) G. Ostrogorsky : Ibid., PP. 396 — 399.
- هنا يذكر أحد المراجع الأجنبية أن انتقام ملك المجر كان راجعاً الى رغبته فى الانتقام لموت أخت زوجته ماريا الأنطاكية
- (Cam. Med Hist. V: IV, Part. I, P. 245).
- (٧) G. Ostrogorsky : Ibid., P. 399, Cam. Med. Hist., V. IV, Part, 1, P. 245.
- هنا يحدد لنا الأستاذ الدكتور حسين ربيع ملابس ذلك التحالف المصرى الرومى بقوله « أن الأستاذ اهرنكريتز Enhrenkreutz : Saladin
- أشار الى أنه فى الربع الأخير من القرن الثانى عشر الميلادى تقارب كل من البيزنطيين والايوبيين لمواجهة عدوهم المشترك ، فالنورمان فى صقلية كانوا ذا خطر على مصر كما هو الحال بالنسبة لبيزنطة وسلاجقة الروم فى قونية استولوا على كثير من الأقاليم البيزنطية فى آسيا الصغرى وهددوا مصالح صلاح الدين

في شمال الشام ، وجزيرة قبرص التي ثارت ضد القسطنطينية تطلعت كي ترث الصليبيين في المستقبل . يضاف الى ذلك الصليبيون وحلفاؤهم في غرب أوروبا كونوا جبهة عدائية ضد البيزنطيين وكذلك ضد الأيوبيين . (د. حسين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية) ، ص ٢٢٤ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 400, Cam. Med. (٨)
Hist., V. IV, Part I, P. 245.

(٩) ج ٢٠ هي : العالم البيزنطي ، ترجمة د. رافت عبد الحميد ، ص ١٠٩٩ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 406, Cam. Med. (١٠)
Hist., V. IV, Part, 1, P. 246.

هنا يذكر د. حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ٢٧ .
أن معاهدة ١١٨٨ م التي عقدت في نورمبرج بين اسحاق الثاني وفردريك بربروسا كانت تنظم العلاقة بين الجيش الألماني الذي سيوفر بأراضي الامبراطورية البيزنطية وبين الامبراطور البيزنطي وتعهد اسحاق الثاني بمقتضاها أن يقدم المؤن والعلوفات اللازمة للجيش الألماني .

G. Ostrogorsky : Ibid., P. 406. (١١)

(١٢) د. حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٢١ . هنا يذكر نفس المرجع عن Tout, Finlay أن الأوامر الامبراطورية صدرت بقطع الأشجار الضخمة ووضعها في الممرات والطرق والمسالك لتسدها وتشل تحركات الجيش الألماني وتقدمه في أراضي الامبراطورية البيزنطية كما وضعت الخطط لاختطاف كل من يتخلف أو يخرج عن صفوف الجيش الألماني وفي نفس الوقت منع الامبراطور البيزنطي عن الجيش الألماني تزويده بالمؤن والعلوفات اللازمة والتي كانت ضرورية بالنسبة للجيش الألماني الضخم البالغ عدده مائة ألف مقاتل .

(١٣) د. حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٢٥ . فقد اتفق صلاح الدين الأيوبي وامبراطور الروم اسحاق الثاني على اقامة الخطبة العباسية على منابر جوامع القسطنطينية وأرسل صلاح الدين المؤذنين والقراء الى القسطنطينية لهذا الغرض .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 407, Cam. Med (١٤)
Hist. V. IV, Part. 1, P. 246.

هنا يذكر ونسيमान أن هدف اسحاق الثاني من وراء ذلك التحالف لم يكن تحطيم مصالح الصليبيين بقدر ما كان هدفه كبح جماح قوة السلاجقة
(Runciman : Op. Cit., V. 3, P. 12).

أما الدكتور حسنين ربيع : إارجع السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٧ فيوضح لنا أبعاد المعاهدة التي كانت بين أندرونيكوس وصلاح الدين والتي حالت بعض نصوصها بالإضافة الى الظروف المحيطة بامبراطورية الروم نفسها دون تنفيذها . فقد اقترح الامبراطور أندرونيكوس عن طريق سفارة أرسلها الى صلاح الدين في صيف ١١٨٥ م قيام تحالف بينهما وأن يقوموا بفتح فلسطين وأن تقسم بينهما على أن ينال الروم بيت المقدس والمدن الساحلية ما عدا عسقلان . وأنه إذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى فسوف تعود للروم ، وفي مقابل ذلك وعد أندرونيكوس صلاح الدين بالمساعدة في صراعه ضد الصليبيين في الشام . وهنا يضيف الدكتور ربيع أنه من المحتمل أن القسطنطينية ادمت دون وجه حق نوما من السيادة وطالبت بتنازلات كثيرة في فلسطين بما في ذلك بيت المقدس ومختلف المدن الساحلية لذلك عارض صلاح الدين ذلك ولم يتلق صلاح الدين ردا جديدا على شروطه الخاصة بالتحالف الا في عهد اسحاق الثاني ، حيث تلقى الامبراطور الجديد رد صلاح الدين بالترحاب .

(١٥) د. حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٣٥ - ٣٦ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 406.

(١٦)

(١٧) أبو شامة : الروضتين . . ، ج ٢ ، ص ١٥٩ ، حوادث ٥٨٦ هـ .

G. Ostrogorsky : Op. Cit., P. 407.

(١٨)

(١٩) انظر كتاب الدكتور حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا

لمعرفة تفاصيل تلك الحملة الصليبية .

(٢٠) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

الملاحق

ملحق رقم (١)

كتاب هرقل (لقرة) أسقف الاسكندرية يعتذر عما بدر منه
تجاهه ويطلب منه مداراة المسلمين عن :

Agapitus : Kitab Al-Unvan, Patrologia

Orientalis, V. VIII, PP. 473. — 474.

« أما بعد فإن قوما أعطوني فيك العشوا ورفعوا التي عنك
الباطل فأسرعت الى القبول منهم وأجبتهم الى ما سألوا وقد
علمت أن هؤلاء أرسلوا كافة على الناس وأن الله قد كان وعد
ابراهيم بن اسماعيل أن يخرج من ظهوره ملوكا كثيرة ووعد الله
حق لا مرد له ولا مندفع . فإن قدرت على مداراة القوم ودفعهم عن
مصر بما عز وهان فأفعل وإذا استطعت أن تدفع اليهم الشرط
الأول الذي كتب ووافقته عليه فأفعل ذلك فقد فلدتك أمر مصر
وفوضت اليك أمرها وأعمل بحسبه » .

ملحق رقم (٢)

وصف رسل المقوقس للعرب الفاتحين

عن : ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، ص ٦٥

« ... رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة والتواضع أحب اليه من الرفة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم . فقال عند ذلك المقوقس ، والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد .. » .

ملحق رقم (٣)

خطاب أسد الدين شيركوه الى

عمورى ملك بيت المقدس ٥٥٩ هـ (*)

غن : ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج ٧ ، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ، ص ٢٧ .
« ليس لك فينا غرض ، ولا معنا مال يقنعك ، فان شاور عذر بنا ، ولم يوفنا ما شرطه لنا من المال . ونحن قوم غرباء من

(*) هنا يطلق ابن أيبك اسم مرى قلى عمورى ويسميه ملك الروم وهذا خطأ . والراجع ان هذا الخطاب أرسل الى الملك عمورى بعد سلخ جمادى الآخرة سنة ٥٥٩ هـ وذلك بعد مقتل ضرغام ودخول أسد الدين شيركوه وصلاح الدين القاهرة في وزارة شاور (ابن أيبك : كنز الدر ، ج ٧ ، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ، ص ٢٧ .

هذه الديار ، أتينا لنصرة هذا الغادر والبغى له مصرع . وانت تعلم أن وراءنا مثل الملك العادل نور الدين . وكأنك به وقد أطل عليك بجيوش تعرفها ولا تنكرها وأنت قصدك مال ومصر قدامك . وهي أحب إليك من مطاولتنا بغير فائدة لك . وليس بمصر مانع يمنعك عنها . فان تركت البغى ، وقنعت بما في أيدينا من فضلات نفقاتنا نفذناها إليك ، وتدعنا نرجع الى بلادنا وان أبيت فنحن والله ما يقتل الواحد منا حتى يقتل عدة منكم . وبعد ذلك ، المدد واصل إلينا والسلام » .

ملحق رقم (٤)

مقتطفات من كتاب نور الدين الى الخليفة العاضد
بعد رحيل الصليبيين والروم عن دمياط

٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م

عن : البندارى : سنا البرق الشامى القسم الأول
ص ٨٧ - ٨٨ .

« أطل الله بقاء فلان ، ولا زالت عوادي نعمه محدقة بأوليائه
أحداق الأجفان بالأحداق ، وعوادي نقمه محرقة لأعدائه احراق
النيران أهل الشقاق ، وأعلنت رايات النصر للدين ، وتليت
آيات الذكر المبين .

« الخادم يهنئ بما سنناه الله من الظفر الذى أضحك سنن
الايمان ، وحصل أهل الشرك فى شرك الخذلان ، وأعاد جيش الكفر
واهى الجأش ، ويدا الضلالة بادية الارتعاش حتى عاد حزب
الشیطان مخذولا ، وسيف الله فى رقاب أعدائه مسلولاً . وذلك

ببركات الدولة التى سطع فجرها • ولولا صدق اهتمامه بأهل
الإسلام وحفظ الأولياء الذين يذبون عن الدين ويحافظون على
الذمام ، لكان ركن الحق يميل لكيد الباطل • فوق الله فلانا وأيده
بنصره ، وأجرى قضاءه وقدره على وفق أمره ، ورد كيد العدو
والكافر فى نحره » •

ملحق رقم (٥)

مختارات من الأشعار التى قيلت فى مدح صلاح الدين
بعد انتصاره على الصليبيين والروم فى دمياط ٥٦٥ هـ / ١١٦٩ م
عن أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٢

للشهاب فتيان الشاغورى قصيدة يقول فيها
ولا غرو أن عاد الفرنج هزيمة
ولو لم تعد لم يبق للشرك ساحل
فقد أيقنت أعداؤه أن حظهم
لديه رماح أشرعت أو سلاسل
ولما أتوا دمياط كالبحر طاميا
وليس له من كثرة القوم ساحل
يزيد عن الإحصاء والعد جمعهم
ألف ألف خيلهم والرواجل
وأوا دونهم أسدا بأيديهم القنا
وبيضاً رقاها أحكمتها الصياقل
وداروا بها فى البحر من كل جانب
ومن دونها سد من الموت حائل

رجا الكلب ملك الروم اذ ذاك فتحها
فخاف فأم الملك والروم هابل
فعادوا على الأعقاب منها هزيمة
كانهم ذلا نعام جوافل
وللعماد الأصفهاني :

يا يوسف الحسن والاحسان يا ملكا
بجده صاعدا أعداؤه هبطوا
حللت من وسط العلياء في شرف
ومركز الشمس من أفلاكها الوسط
هنيت صوتك دمياط التي اجتمعت
لها الفرنج فما حلوا ولا ربطوا
وللعماد أيضا :

يوسف مصر الذي ملاحمها
جاءت بأوصافه تعرفها
كتب التواريخ لا يزينها
الا بأيامه مصنفها
وخطت دمياط اذ أحاط بها
من برجوم البلاد يقذفها
لاقت غواة الفرنج خيبتها
فزاد من حسرة تأسفها
أوردت قلب القلوب أرشيا
من القنا للدماء تنزفها
يمضي لك الله في قتالهم
عزيمة للجهاد ترهفها

المصادر والمراجع

(أ) المصادر العربية :

١ - ابن الأثير الجزري : (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)
الشيباني الملقب بعز الدين :

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد .

(أ) الكامل في التاريخ ، ج ١ ، دار الفكر بيروت
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

(ب) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)
تحقيق عبد القادر أحمد طليمات ، الطبع والنشر
دار الكتب الحديثة بالقاهرة ومكتبة المثني
ببغداد .

(ج) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، المجلد الثاني
كتاب الشعب .

٢ - ابن إياس : (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م)
أبو البركات محمد بن أحمد

بدائع الزهور في وقائع الدهور ، من سلسلة كتاب
الشعب ج ١ .

٣ - ابن أبيك الدواداري : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
أبو بكر عبد الله : كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء
السابع ، الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب ،
تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ،
١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

٤ - البلاذري : (ت حوالي ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ،
حققه وشرحه عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس
الطباع ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ /
١٩٥٧ م .

٥ - البنداري : (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م)
قوام الدين الفتح بن علي ، سنا البرق الشامي ،
تحقيق الدكتور رمضان ششن ، القسم الأول ، دار
الكتاب الجديد ، بيروت لبنان ، الطبعة
الأولى ١٩٧١ .

٦ - ابن الجوزي : (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي : تاريخ عمر بن
الخطاب ، تقديم وتعليق أسامة عبد الكريم الرفاعي .

٧ - ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
عبد الرحمن بن محمد : العبر وديوان المبتدأ والخبر ،
ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٨ - الذهبى : (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان :
دول الاسلام ، ج ١ ، تحقيق فهد محمد شلتوت ،
محمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٧٤ .

٩ - السيوطى : ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر :
(أ) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم ، الجزء الأول
دار احياء الكتب العربية الطبعة الأولى ،
١٩٦٧ م - ١٣٨٧ هـ ، ج ٢ ، ١٩٦٨ م -
١٣٨٧ هـ .

(ب) تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيى الدين
عبد المجيد ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة
الأولى ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

١٠ - أبو شامة : (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م)
شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى :
الروضتين فى أخبار الدولتين ، رواية الامام مجد الدين
أبى المظفر يوسف بن محمد بن عبد الله الشافعى
ج ١ ، ٢ دار الجيل بيروت .

١١ - ابن شداد : (ت ٦٢٣ هـ / ١٢٣٤ م)
بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع : النوادر
السلطانية والمحاسن اليوسفية ، تحقيق د. جمال الدين
الشيال ، سلسلة تراثنا ، الطبعة الأولى ١٩٦٤ .

١٢ - الشرقاوى :

الشيخ عبد الله : تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من
الولاة والسلاطين وهو هامش لكتاب فتوح الشام
للواقدي ، طبعة المطبعة العثمانية ١٣١٥ هـ .

١٣ - الأصبخري :

توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري :
أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي المعروف
بالكرخي : مسالك الممالك ، معول على كتاب صور
الأقاليم للشيخ أبي زايد أحمد بن سهل البلخي .

١٤ - الطبري : (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم ، سلسلة ذخائر العرب ، ج ٤ ، ٥
دار المعارف بمصر .

١٥ - ابن عبد البر : (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م)

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد : الاستيعاب في
معرفة الصحابة ، القسم الثاني حرف الخاء ، تحقيق
على محمد البجاوي ، مطبعة النهضة بمصر .

١٦ - ابن عبد الحكم : (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م)

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن
أعين القرشي المصري :

(أ) فتوح مصر وأخبارها ، طبع في مدينة ليدن
بمطبعة بريل ١٩٣٠ - مكتبة المثنى ببغداد .

(ب) فتوح افريقيا والأندلس ، حققه وقدم له
د . عبد الله أنيس الطباع ، دار الكتاب اللبناني
للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤ .

١٧ - العسقلاني : (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)
شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر :
تهذيب التهذيب ، ج ٨ ، دار صادر بيروت .

١٨ - ابن العماد : (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)
أبو الفلاح عبد الحي بن علي بن محمد : شذرات
الذهب في أخبار من ذهب ، ج ١ ، ٢ المكتب التجاري
للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .

١٩ - أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل : المختصر في أخبار
البشر ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، الطبعة الأولى ، المطبعة
الحسينية المصرية .

٢٠ - ابن الفرات : (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)
ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم : تاريخ ابن الفرات ،
المجلد الرابع الجزء الأول : تحقيق ونشر الدكتور
حسن محمد الشماخ ، مطبعة حداد ، بصرة عشار ،
١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م .

٢١ - القزويني : (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)
ذكرى بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد ،
دار صادر بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

- ٢٢ - القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
أبو العباس أحمد : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ٥ .
- ٢٣ - ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)
حمزة بن يعلى : ذيل تاريخ دمشق ، طبعة بيروت ،
مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ .
- ٢٤ - ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر : البداية
والنهاية في التاريخ ، تحقيق ومراجعة محمد عبد العزيز
النجار ، ج ٧ مؤسسة دار العربي للنشر والتوزيع .
الرياض .
- ٢٥ - الكندي : (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)
أبو عمر محمد بن يوسف : كتاب الولاة وكتاب
القضاة ، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين
بيروت ١٩٠٨ .
- ٢٦ - أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)
جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بردى
الأتابكي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،
ج ٢ ، ٥ ، ٦ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ،
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة
والنشر ، ج ٥ مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة
١٩٣٥ م ١٣٥٣ هـ .
- ٢٧ - المقرئزي : (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد :

(أ) اتعاط الحنفا ، ج ٢ ، تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م .

(ب) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير للطبع والنشر ، طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

٢٨ - ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م)
محمد بن على بن يوسف بن جلب : أخبار مصر ، ج ٢ ، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى الخاص بالعاديات الشرقية بمصر ١٩١٩ .

٢٩ - ابن واصل : (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)
جمال الدين محمد بن سالم : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، ج ١ ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشال ، مطبوعات ادارة احياء التراث القديم ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ١٩٤٣ .

٣٠ - الواقدى : (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م)
أبو عبد الله بن عمر : فتوح الشام ، ج ٢ ، دار الجيل ، ج ٢ ، طبعة المطبعة العامرية العثمانية بباب الشعرية ، صفر ١٣١٥ هـ .

٣١ - اليافعى : (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)
أبو محمد عبد الله بن سعد بن على بن سليمان : مرآة الجنان وغبرة اليقظان ، ج ٣ ، الطبعة الثانية ، منشورات مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان : ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

٣٢ - اليعقوبي : (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح :
تاريخه ، المجلد الثاني ، دار صادر وبيروت ،
١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م بيروت .

(ب) المراجع العربية والمعرية :

١ - ابراهيم أحمد العدوى : (الدكتور)
الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، مطبعة
لجنة البيان العربي .

٢ - أرنست باركر :
الحروب الصليبية ، نقله الى العربية الدكتور السيد
الباز العرينى ، دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية
بيروت لبنان .

٣ - أسد رستم : (الدكتور)
الروم سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم
بالعرب ج ١ ، ٢ ، دار المكشوف ، بيروت الطبعة
الأولى ١٩٥٥ .

٤ - اسمت غنيم : (الدكتور)
الامبراطورية البيزنطية وكرت الاسلامية ، دار المجمع
العلمى بجدة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

٥ - السيد الباز العرينى : (الدكتور)
(١) مصر البيزنطية ، دار النهضة العربية ، مطبعة
لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١ .

(ب) الدولة البيزنطية ، ٣٢٣ هـ - ١٠٨١ م .
بيروت ١٩٨٢ .

٦ - ج . م . هسى :
العالم البيزنطى ، ترجمة الدكتور رأفت عبد الحميد .
الطبعة الثانية ، دار المعارف .

٧ - حامد زيان : (الدكتور)
الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية
الثالثة ١٩٧٨ .

٨ - حامد غنيم أبو سعيد : (الدكتور)
الجبهة الاسلامية فى عصر الحروب الصليبية ، الجزء
الثانى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٢ .

٩ - حسن إبراهيم حسن : (الدكتور)
تاريخ الدولة الفاطمية ، الطبعة الثالثة ،
القاهرة ١٩٦٤ .

١٠ - حسنين محمد ربيع : (الدكتور)
دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة
العربية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

١١ - زامبور : (المستشرق)
معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ،
مطبعة جامعة فؤاد الاول ١٩٥١ .

١٢ - سعاد ماهر : (الدكتورة)
البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية ، دار
الكاتب العربى للطباعة والنشر .

١٣ - سعيد عبد الفتاح عاشور : (الدكتور)

(أ) بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ،
جامعة بيروت العربية ، بيروت ١٩٧٧ .

(ب) الحركة الصليبية ، ج ١ ، مطبعة لجنة البيان
العربي ، سنة ١٩٦٣ .

١٤ - سيدة كاشف : (الدكتورة)

(أ) مصر في فجر الاسلام ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٠ .

(ب) مصر في عصر الاخشيديين ، الطبعة الثانية
١٩٧٠ .

(ج) العرب والبحار ، الكتاب السنوى الثانى ، كلية
البنات بالرياض للعام الجامعى ١٣٩٦/٩٥ هـ .

١٥ - عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عبد الفتاح عاشور .
مصر في العصور الوسطى ، الطبعة الاولى ،
القاهرة ١٩٧٠ .

١٦ - على ابراهيم حسن : (الدكتور)

مصر في العصور الوسطى ، الطبعة الخامسة ، مطبعة
السعادة ١٩٦٤ .

١٧ - قدرى قلعجى :

صلاح الدين الأيوبي : قصة الصراع بين الشرق والغرب
خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر للميلاد دار
الكاتب العربى .

١٨ - نظير سعداوى :

جيش مصر فى أيام صلاح الدين ، مكتبة النهضة
المصرية ١٩٥٦ .

١٩ - نقولا يوسف :

تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، الاتحاد القومى
بدمياط .

٢٠ - وسام عبد العزيز فرج : (الدكتور)

العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية
حتى منتصف القرن الثامن الميلاد ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب فرع الاسكندرية ١٩٨١ .

(ج) المصادر والمراجع الأجنبية :

1. Agapitus de Menbidj : Kitab Al Unvan, Patrologia Orientalis, V. VIII (Tomus actavus).
2. Anna Comnena : The Alexiad, translated by Elizabeth. A.S. Dawes, London, 1967.
3. Bréhier (L.) : Vie et Mort de Byzance, Paris, 1947.
4. Butler (A.J.), D. Litt, F.S.A. : The Arab conquest of Egypt and the Last thirty years of the roman dominion, Oxford At the Clarendon. Press 1902.
5. Daniel (N.) : The Arabs and Mediaeval Europe, Longman, London and New York, Librairie du Liban.

6. Dawsan (C.) : Le Moyen-age et les origines de L'Europe, Arthaud, France.
7. Fahmy (A.M.) (Doctor) : Muslim Sea-Power in the works of Imad Al-Din and Baha Al-Din, Oxford. At the Clarendon, Press 1973.
9. Grousset, R. : L'Empire du Levant, Paris 1949.
10. Johnson (A.C.) and Louis C. West : Byantine Egypt, Economic Studies, Preinceton University Press, 1949.
11. Lan-Poole (S.), A.A. :
 - a) Saladin and the fall of the Kingdon of Jerusalem, G.P. Putman's Sons, New York, London
 - b) A History of Egypt V. I, London 1936.
12. Laroussde Encyclopedia of Ancient and Medieval History, General Editor : Marcel Dunan, Honorary, Foreward by Arnold Toynbee Hamyln, London, New York, Sydney, Toronto.
13. Lemerle (P.) Le Monde de Byzance, Histoire et Institutions, Variorum reprints, London 1978.
14. Lewis (B.) : The Arabs in History, Hutchinson of London.
15. Michel Le Syrien Recueille des Historiens des Croisades, Documents Arméniens, T. 1.
16. Ostrogorsky (G.) : History of the Byzantine State, Translated by Joan Hussy, Oxford, 1968.
17. Prawer (J.) : Histoire du Royaume Latin de Jerusalem. Tome 1, Paris 1969.

18. Runciman (S.) : A History of the Crusades Volume 1, 2 1952. V. 3.
19. Setton (K.M.) : A History of the Crusades Volume 1, Edited by Marshall W. Baldwin, the University of Wisconsin Press, Madison, London, 1969.
20. Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East, Cambridge University Press.
21. The Cambridge History of Islam, Volume, 1, edited by P.M. Holt, A NN, K.S. Lambton, Bernard Lewis Cambridge, At the University Press, 1970.
22. The Cambridge Medieval History (Cam. Med. Hist.) V. IV. The Byzantine Empire, Part, 1, Byzantine and its Neighbours, Cambridge, the University Press, 1966.
23. The Chronography of Gregory Abul Faraj, Commonly Known as Bar Hebraeus. Translated by Ernest A. Wallis Budge Volume 1, Oxford University Press London, 1923.
24. The New Encyclopaedia Britannica, Volume 5, (1973 — 1974) Helen Hemingway Benton, Published.
25. William H. McNeill : A world History, New Edition, Oxford University Press, 1979.
26. William of Tyre : A History of Deeds Done Beyond the Sea, Volume 1, 2, Translated and Annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

الفهرس

الصفحة

٥	تقديم
٩	تقديم المؤلف
١٢	هوامش التقديم

الباب الأول :

١٥	الروم والشواطىء المصرية حتى موقعة ذات الصوارى
١٧	الفصل الأول : الروم والاسكندرية
٣٧	هوامش الفصل الأول
٥١	الفصل الثانى : موقعة ذات الصوارى
٥٧	هوامش الفصل الثانى

الباب الثانى :

٦١	الروم والشواطىء المصرية حتى الحملة الصليبية الأولى
----	--

الصفحة

٦٣	الفصل الأول : هجمات الروم من ٥٣ هـ حتى حملة ٢٣٨ هـ على دمياط
٦٧	هوامش الفصل الأول
٧٢	الفصل الثاني : حملة ٢٣٨ هـ وأهميتها وآثارها
٨١	هوامش الفصل الثاني الفصل الثالث : هجمات الروم من ٢٣٨ هـ حتى
٨٦	الحملة الصليبية الأولى
١٠١	هوامش الفصل الثالث

الباب الثالث :

١١١	التحالف بين الصليبيين والروم ضد مصر
١١٣	الفصل الأول : الصليبيون وضرورة الاستيلاء على مصر
١٢٥	هوامش الفصل الأول
١٤٤	الفصل الثاني : الدور الإيجابي للتحالف بين الصليبيين والروم
١٦٥	هوامش الفصل الثاني
١٨٣	الفصل الثالث : الهجومات الصليبية الرومي على دمياط ٥٦٥ هـ ١١٦٩ م

الصفحة

٢٠٤	هوامش الفصل الثالث
٢١٣	الخاتمة
٢٢٠	هوامش الخاتمة
٢٢٣	الملاحق
٢٢٨	المصادر والمراجع
٢٤١	الفهرس

صدر من هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٢ - علي ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧
- ٤ - التيارات الفكرية في مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى
عليه عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمى المطيعي ، ١٩٨٧
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧
- ٨ - رؤية الجبرتي الأزمة الحياة الفكرية ،
د. علي بركات ، ١٩٨٧
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزي ، ١٩٨٧
- ١١ - مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكري القاضي ، ١٩٨٧
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

- ١٣ - أكلوبة الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ الاسلامي ،
د. علي حسني الخربوطلي ، ١٩٨٨
- ١٦ - فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعي في مصر :
دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٨
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. علي السيد محمود ، ١٩٨٨
- ١٩ - مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين
سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي ،
د. محمد انيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨
- ٢١ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر ،
جمال بدوي ، ١٩٨٨
- ٢٣ - التصوف في مصر ابان العصر العثماني ج ٢ ، امام
التصوف في مصر : الشعراني ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

- ٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل ، ١٩٨٩
- ٢٥ - المجتمع الاسلامى والغرب ،
تأليف : هاملتون جب وهارولد بووين : ترجمة : د . أحمد
عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد اسماعيل على ، ١٩٨٩
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ، ج ١ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أو حديد
١٩٨٩
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ، ج ٢ ،
تأليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أو حديد
١٩٨٩
- ٢٩ - مصر فى عصر الاخشيديين ،
د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
- ٣٠ - الموظفون فى مصر فى عصر محمد على ،
د . حلمى أحمد شلبى ، ١٩٨٩
- ٣١ - خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٩
- ٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
- ٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضاع
الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د . خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
- ٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية الغربية ، منذ مطلع العصور
الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

- ٣٥ - أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
- ٣٦ - المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠
- ٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- ٣٨ - فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر
العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- ٣٩ - قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- ٤٠ - الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقي الجميلى ، ١٩٩٠
- ٤١ - محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- ٤٢ - تكوين مصر عبد العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- ٤٣ - رحلة فى عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- ٤٤ - الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
- ٤٥ - الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د. حسن حبشى ،
١٩٩١

- ٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ - ١٩٥٧) ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١
- ٤٧ - تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١
- ٤٨ - الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى ،
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١
- ٤٩ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
د. سهر اسكندر ، ١٩٩٣
- ٥١ - تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة ، فى إبريل ١٩٩١) أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢
- ٥٢ - مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن
الثامن عشر :
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢
- ٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢
- ٥٤ - الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢
- ٥٥ - الحروب الصليبية ج ٢ ،
تأليف : وليم الصورى : ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشى ، ١٩٩٢
- ٥٦ - المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسة عن اقليم
المنوفية ،
د. حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٢

- ٥٧ - مصر الاسلامية وأهل الذمة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢
- ٥٨ - أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣
- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمهيد الى التأميم
(١٩٥٧ - ١٩٦١) ،
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣
- ٦٠ - المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣
- ٦١ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر ، ج ٣ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبد العصور : تاريخ مصر الاسلامية ،
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ،
وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣
- ٦٤ - مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء دراسة
وثائقية ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧)
سهام نضار ، ١٩٩٣
- ٦٦ - المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣
- ٦٧ - مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات
جامعة عين شمس ، في إبريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر :
د . عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

- ٦٨ - الحروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة : وتعليق : د . حسن
حبشى ، ١٩٩٣
- ٦٩ - نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٥١) ،
د . محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٤
- ٧٠ - أهل الذمة في الاسلام ،
تأليف : س . ترتون ، ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى
ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٧١ - مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د . عبد الرؤوف أحمد
عمرو ، ١٩٩٤
- ٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية
لمصر في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ) ،
أمانة أحمد امام ، ١٩٩٤
- ٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة ،
د . رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤
- ٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، في العصر الفرعوني
د . سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤
- ٧٥ - أهل الذمة في مصر ، في العصر الفاطمي الأول ،
د . سلام شافعي محمود ، ١٩٩٥
- ٧٦ - دور التعليم المصري في النضال الوطني (زمن الاحتلال
البريطاني) ،
د . سعيد اسماعيل علي ، ١٩٩٥

- ٧٧ - الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٤
- ٧٨ - تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ - ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥
- ٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف : فريد دي يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٥
- ٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوروبي
(١٨٨٢ - ١٩٠٤) ،
د. السيد حسين جلال ، ١٩٩٥
- ٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو
الى نصر أكتوبر ،
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥
- ٨٢ - مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٣ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤
- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥
- ٨٥ - تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢) ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) ،
د. أحمد الشربيني ، ١٩٩٥

- ٨٧ - مذكرات اللورد كليرن ، ج ١ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٥
- ٨٨ - التلوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكي ، ١٩٩٥
- ٨٩ - تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني ،
د. عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية ،
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تأليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٦
- ٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)
ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) ،
د. نبيه بيومي عبد الله ، ١٩٩٦
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ،
ج ٢ ،
د. سهر اسكندر ، ١٩٩٦
- ٩٥ - مصر وافريقيا .. الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،
(أبحاث الندوة التي اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس
الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات
الافريقية بجامعة القاهرة) ، أعدها للنشر ، د. عبد العظيم
رمضان

- ٩٦ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠) ،
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ٩٧ - العربان ودورهم في المجتمع المصرى فى النصف الأول من
القرن التاسع عشر ،
د. ايمان محمد عبد المنعم عامر
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية ،
د. محمد سيد محمد
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى -
الرومانى) ج ٢ ،
د. سمير يحيى الجمال
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،
أ. د. عبد العزيز صالح ، أ. د. جمال مختار ،
أ. د. محمد ابراهيم بكر ، أ. د. ابراهيم نصحي ،
أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ. د. عبد العظيم
رمضان .
- ١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد
كفافي ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور
- ١٠٢ - المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ ،
د. تيسير أبو عرجة
- ١٠٣ - رؤية الحبرتى لبعض قضايا عصره ،
د. على بركات
- ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢) ،
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

- ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ - ١٩٨٧) ،
د . أحمد فارس عبد المنعم
- ١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن ، ج ٢ ،
د . سليمان صالح
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية في العصر الحديث ،
تأليف : دليب هير ، ترجمة : عبد الحميد الجمال
- ١٠٨ - مصر للمصريين ، ج ٤ ،
سليم خليل النقاش
- ١٠٩ - مصر للمصريين ، ج ٥ ،
سليم خليل النقاش
- ١١٠ - مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ١ ،
د . البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١١ - مصادر الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين
المماليك) ، ج ٢ ،
د . البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٢ - اسماعيل باشا صدقي ،
د . محمد محمد الجوادى
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان (في عصر الحكم المصرى) ،
د . اسماعيل عز الدين
- ١١٤ - دراسات اجتماعية في تاريخ مصر ،
أحمد رشدى صالح

- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا
- ١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى
- ١١٨ - النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني
- ١١٩ - النقابات في مصر الرومانية ((دراسة وثائقية))
حسين محمد أحمد يوسف
- ١٢٠ - يوميات من التاريخ المصري الحديث (١٧٧٥ - ١٩٥٢) ،
لويس جرجس
- ١٢١ - الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوى
- ١٢٢ - مصر للمصريين ج ٦ ،
سليم خليل النقاش
- ١٢٣ - السيد أحمد البدوى ،
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن ،
د. محمد نعمان جلال
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج ٧ ،
سليم خليل النقاش
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج ٨ ،
سليم خليل النقاش

- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم
- ١٢٨ - معارك صحفية ،
جمال بدوى
- ١٢٩ - الدين العام (وآثره في تطور الاقتصاد المصرى)
(١٨٧٦ - ١٩٤٣) ،
د. يحيى محمد محمود
- ١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧)
سمير فريد
- ١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ - ١٩٥٨) ،
تأليف : جايل ماير ، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو
- ١٣٢ - دار المندوب السامى في مصر ج ١ ،
د. ماجدة محمد محمود
- ١٣٢ - دار المندوب السامى في مصر ج ٢ ،
د. ماجدة محمد محمود
- ١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثمانى
للداندى ،
بقلم : عزت حسن أفندى الداندى ، ترجمة : جمال سعيد
عبد الفنى
- ١٣٥ - اليهود في مصر المملوكية (في ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ،
د. محاسن محمد الوقاد
- ١٣٦ - أوراق يوسف صديق
تقديم : أ. د. عبد العظيم رمضان

- ١٣٧ - تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي
د. محمد عبد الغنى الأشقر
- ١٣٨ - الاخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والارهاب في
مصر ،
السيد يوسف
- ١٣٩ - موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين ،
بقلم : محمد قابيل
- ١٤٠ - سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن
التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ / ١٨١١ - ١٨٤٨ م ،
طارق عبد العاطى غنيم بيومى
- ١٤١ - وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر ،
لطفى أحمد نصار
- ١٤٢ - مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٤ ،
أحمد شفيق باشا
- ١٤٣ - دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق م ،
د. منيرة الهمشرى
- ١٤٤ - كشفوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل
(١٨٦٣ - ١٨٧٩)
عبد العليم خلاف
- ١٤٥ - النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس
(٢٨٤ - ٣٠٥ م)
د. منيرة الهمشرى
- ١٤٦ - المرأة فى مصر المملوكية ،
د. أحمد عبد الرازق

- ١٤٧ - حسن البنا •
متى •• كيف •• لماذا ؟
د • رفعت السعيد
- ١٤٨ - القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية ،
تأليف : د • سمير فوزي ، ترجمة : نسيم مجلى
- ١٤٩ - العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ،
حسام محمد عبد المعطى
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د • سمير يحيى الجمال
- ١٥١ - جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة
السيد يوسف
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م)
د • محاسن محمد الوقاد
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د • عليّة عبد السميع الجنزورى
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى
العصور الوسطى
د • عليّة عبد السميع الجنزورى

رقم الايداع ٨٩٧٤/١٩٩٩

الترقيم الدولي 0 — 6195 — 01 — 977 I.S.B.N.

مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة

هذا الكتاب يقدم صفحة مهمة من تاريخ مصر بعد
الفتح الإسلامي، وبعد تحريرها من حكم البيزنطيين
(الروم). فلم تكف الدولة البيزنطية منذ ذلك الحين عن
شن الهجمات البحرية على مصر من أجل استردادها،
باعتبارها أغنى أقاليم الإمبراطورية إمدادا بالقمح، أو
«مخزن قمح القسطنطينية» - كما كانت تطلق عليها -
ومدينة الإسكندرية كانت هي المدينة الثالية بعد
القسطنطينية في الأهمية، وبها أعظم كنائس الروم.

